

ملخص الكامل
سنة الثانوية الأولى باللغة العربية

انغماس
كلاسيكي

www.lilas.com

Chassey

جريمة في القرية



الأجنال
الترجمة والنشر

دار الآداب الحاصرية
DAR AL ADAB HASSAY
KAWANTER Hassay, Liban

Agatha Christie



The Murder at the Vicarage



جريمة في القرية

كان لكم لو تاني مين

لم يكن في الأمر شك. هناك كان
مليطحا ماداً ذراعاًه على المكتب في
وضع مرأب غير طبيعي. استجسعت
نفسى والاهتت إليه. اليد الباردة التي
رفعها سلطت هامسةً بلا حياة

المستكيلة التي كنت أقول - طبل
ذلك بساعات فقط - إن أي شخص
يخدم على قتل الكولونيل بروتم و
سيقدم خدمة جليلة للعالم.
وقد فعل أتعلم ذلك... في مكلي؟

رواية جديدة من روايات الكاتبة العريقة
التي تعتبر أعظم مؤسلة في التاريخ من
حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها
من نسخ. وهي «بلا جدال» أشهر من
كتب قصص الجريمة في القرن العشرين
وفي سائر العصور. وقد ترجمت رواياتها

أو بعضها لغات الحياة. فاقرب

www.liilas.com

Chassey



الأجنال
للترجمة والنشر
RUE 15

دار الآداب والعلوم
RUE 15



الفصل الأول

أحد صحوبة في تحديد نقطة البداية لقصتي هذه، ولكنني قررت البدء من واقعة غداء في بيتي في أحد أيام الأربعاء. ورغم أن الحديث الذي دار وقتها لم يكن بحثاً إجمالاً لموضوع القصة، إلا أنه انطوى على بعض الإشارات الموحية التي أثرت على التطورات اللاحقة.

كنت قد أنهيت لتوي تقطيع بعض اللحم المسلوق (الذي كان -بالمنامية- قاسياً جداً)، ولدى عودتي إلى مقعدي فلت بطريقة لا تناسب أبداً ثياب رجل الدين التي أرتديها إن من شأن امرئ يشغل الكولونيل بروثيرو أن يقدم بذلك خدمة للعالم بأسره.

قال ديفيس، ابن أخي الشاب، على الفور: إن قولك هذا سيُتخذ دليلاً ضدك إذا ما عُثر على الرجل قتيلاً يسبح في دمه. وسوف تشهد ماري ضدك، أليس كذلك يا ماري؟ وستصف لهم كيف لوحث بسكين تقطيع اللحم بطريقة توحى بحب الانتقام.

أما ماري -التي تعمل عاتمة في بيتنا ريثما تحصل على فرصة أفضل- فقد اكتفت بأن قالت بصوت عملي مرتفع: "الحضارة"، ورمت إليه بالطبق بأسلوب عدائي.

قالت زوجتي بأسلوب يتم عن التعاطف: أكان مزعجاً جداً؟

لم أحبها فوراً، لأن ماري - وقد ألقت بطبق الحضار بقوة على المائدة - تقدمت لتبس تحت أنفي طبقاً من الزلاية اللزجة التي أمقتها. قلت لها: "شكراً لا أريد"، فأعادت إلقاء الطبق على المائدة بشدة وغادرت الغرفة.

قالت زوجتي بشرة أسف حقيقي في صوتها: من المومسف أن أكون ربة بيت سيئة جداً.

كنت أميل للاتفاق معها في ذلك. زوجتي اسمها غريزelda، وهو اسم يلائم زوجة رجل دين، لكن الملائمة تنتهي عند هذا الحد؛ فهي أبعد ما تكون عن الطاعة والامتثال.

لقد كنت دوماً من الذين يرون أن على رجل الدين إلقاء دون زواج، وما زلت حائراً في معرفة السبب الذي دفعني إلى الإلحاح على غريزelda لكي تتزوجني بعد أربع وعشرين ساعة فقط من تعارفنا. لقد آمنت دوماً بأن الزواج مسألة جدية لا ينبغي دحولها إلا بعد طول تفكير وتدبر، وأن تلازم الأمزجة والمصبول مسألة في غاية الأهمية.

تصغرني غريزelda بنحو عشرين سنة. وهي حبيبة جداً بأهل المرء عن نفسه، لكنها عاجزة عن التعامل بجدية مع أي أمر؛ فهي تفتقر إلى الكفاية بكل معانيها، والعيش معها عملية مضنية تماماً. إنها تتعامل مع الأبرشية وكأنها صرح ليس له من هدف إلا تسليتها. وقد سمعت إلى إعادة صياغة تفكيرها وغشلت، وإني مقتنع اليوم أكثر من أي وقت مضى بأن العزوبة أفضل لرجل الدين، ولعلها لمحت بذلك لغريزelda، ولكنها كانت تكفي بالضحك.

قلت لها: يا عزيزتي، لو أنك تبدين فقط قليلاً من الاهتمام...

- إني أهتم أحياناً، ولكنني أظن - عموماً - أن الأمور تسوء أكثر عندما أحاول ذلك. يبدو واضحاً أنني لست ربة بيت بطيحية. أجد أن من الأفضل ترك الأمور لماري وتوطين النفس على تقبل وضع مزعج ومأكولات كريهة.

قلت مؤنية: وماذا عن زوجك يا عزيزتي؟ ألم يقل رجال الدين القدامى إن على المرأة أن تتقن شؤون بيتها..؟

قاطعتني غريزelda بسرعة قائلة: فكر كم أنت محظوظ إذ لم تلق مصيرهم فتقطعك الأسود إرباً، أو تشوى في النار. إن الطعام السيء وكثرة الغبار والحشرات المينة في البيت ليست أموراً تستحق كل هذه الشكوى. أخبرني أكثر عن الكولونيل بروثيرو... إن رجال الدين القدامى محظوظون لأنهم - على الأقل - لم يعرفوا أمثاله.

قال دينيس: إنه متوحش مخزور. لا عجب أن امرأته الأولى هربت منه.

قالت زوجتي: لا أراها كانت قادرة أن تفعل غير ذلك.

قلت بجدية: غريزelda... لا أريدك أن تتحدثي بهذا الشكل.

قالت زوجتي بسحبة: أخبرني عنه يا عزيزي... أين كانت المشكلة؟ أكانت بسبب إصابات هاوز وإشاراته المتكررة؟

هاوز هو مساعد الكاهن الجديد عندنا، وقد بدأ عمله منذ ثلاثة أسابيع. وهو ذو آراء تولي أهمية كبرى للعطوس في حين أن

الكولونيل برونيرو من أشد معارضي الطقوس أياً كان نوعها.

قلت رداً على سؤال زوجتي: لم يكن هاوز هو السبب هذه المرة. لقد أشار برونيرو إليه إشارة عابرة، ولكن المشكلة كلها كانت بسبب حبه السيدة برايس ويدلي المشووم.

كانت السيدة برايس ويدلي من الأتباع المخلصين في أبرشيتي. وقد حدث - أثناء حضورها صلاة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاة ابنها - أن وضعتُ جنبها في صندوق التبرعات. ولدى قراءتها لاحقاً لقائمة التبرعات ألتفت إليها أن تلاحظ أن أكبر فئة من التبرعات تم ذكرها هي عشرة شئات!

وقد اشتكت لي بخصوص ذلك، فقلت لها بطريقة معقولة إنها ربما كانت قد نوهمت في مقدار ما تبرعت به، وقلت - بلهافة - في محاولة لتبرير الأمر: إننا - جميعاً - لم نعد صغاراً كما كنا، ويجب أن ندفع ضريبة التقدم بالعمر.

ولكن الغريب أن كلماتي لم تفلح إلا في زيادة غضبها. قالت إن الأمور تبدو غريبة جداً، وإنها متدهشة لأنني لا أرى ذلك أيضاً. ثم ذهبت وأضفت بشكوكها - كما أظن - إلى الكولونيل برونيرو، وهو من أولئك الذين يجدون متعة في إثارة قضية كبرى بمناسبة ودون مناسبة. وقد أثار قضية بالفعل، والمؤسف أنه أثارها في يوم أربعاء. وأنا أعطي دروساً في مدرسة الكنيسة صباح أيام الأربعاء، وهو ما يسبب لي ضيقاً حاداً ويجعلني قلقاً إلى آخر النهار.

قالت زوجتي وكأنها تحاول تلخيص الموقف بتجرد: حسناً، لقد حصل على بعض المتعة دون شك. فلا أحد بطريقه أو بشئ عليه

أو يهدده مطرّرات نور جوارب هداها بعيد الميلاد، كما أن زوجته وابنته كلتيهما ضاقتا به ذريعاً. أحسب أن من دواعي سعادته أن يشعر بالأهمية في مكان ما.

قلت بشيء من الغضب: ولكن لا مبرر لأن يتصرف بشكل مسيء. لا أظنه أدرك تماماً مضامين ما طرحه من أقوال. إنه يريد مراجعة كل حسابات الكنيسة بحسبة وجود عبث بالأموال... نعم، تلك هي العبارة التي استعملها: العبث بالأموال! أنراه يشبه في اختلاسي لأموال الكنيسة؟

قالت غريزلا: لا أحد يشبه بك لأي سبب يا عزيزي. إنك من الشغافة بحيث ترقى فوق أية شبهات، الأمر الذي يشكل حقاً فرصة رائعة للاحتلاس. ليتك تبتلس أموال الجمعية التبشيرية؛ فإنا نكره الجمعيات التبشيرية... كنت دوماً أكرهها.

كان من شأني أن أوقعها على مشاعرها هذه، ولكن ماري دخلت في تلك اللحظة حاملة فطيرة أرز لم تنضج بعد. وقد اعترضتُ باحتجاج بسيط، ولكن غريزلا قالت إن اليابانيين يأكلون دوماً أرزاً غير ناضج ولذلك فإن لهم عضولاً متدهشة. ثم أضافت قائلة: أحسب لو أنك تناولت فطيرة أرز كهذه كل يوم وصولاً إلى يوم الأحد فإنك ستلقي أكثر المواعظ روعة.

قلت مرتعاً: "لا سمح الله"، ثم أضفت: سيأتي برونيرو مساء غد، وستراجع الحسابات معاً. عليّ أن أنهى عطابي الذي سألني اليوم أمام جمعية رجال كنيسة انكلترا. لقد استغرقت - وأنا أبحث في أحد المراجع - في قراءة مقالة "الواقع" التي كتبها كانون شيرلي

بحيث لم أضر في مقالتي كما ينبغي. ماذا لديك عصر اليوم يا غريزelda؟

- لديك واجبي... الشاي والغنية في الساعة الرابعة والنصف!

- من سيأتيك؟

عددت غريزelda صيفاتها على أحيائها قائلة: السيدة برايس ريدلي، والأنسة وذري، والأنسة هارنتيل، وتلك السيدة الفظيعة: الأنسة ماربل.

- تعني الأنسة ماربل، إن لديها - على الأقل - روح دعاية.

- إنها أسوأ امرأة في القرية. وهي تعرف حوماً كل كبيرة وصغيرة تحدث، وتستخرج من كل حادثة أسوأ ما يمكن استنتاجه.

لقد سبق لي أن قلت إن غريزelda تصغري كثيراً، والمرء - في مثل عمري - يعرف بأن الأسوأ عادة ما يكون صحيحاً.

قال ديتيس: حسناً، لا تخوفي حضوري جلسة الشاي يا غريزelda.

قالت غريزelda: ليعم!

- لقد دعيتي أسرة بروثيرو فعلاً للعب التنس اليوم.

قالت غريزelda ثانية: ليعم!

التسحب ديتيس بتعقل ومغيب أنف وغريزelda معها إلى مكسي.

قالت غريزelda وهي تجلس على طاولة كتابتي: لا أعرف ماذا أقدم مع الشاي. أظن أن الدكتور ستون والأنسة كرام وربما السيدة ليسترينج سيحضرون. وبالمناسبة فقد زرت السيدة ليسترينج بالأمس، ولكنها

كانت عتاج البيت. نعم، إنني واثقة أن السيدة ليسترينج ستأتي لحلتي الشاي. ألا ترى أن من الغامض جداً وصولها إلى هنا بهذا الشكل وتستحارها بيتاً لا تخرج منه إلا لماماً؟ إن ذلك يجعل المرء يفكر بالقصص البوليسية حيث توجد تساؤلات مثل: "من هي تلك المرأة الغامضة ذات الوجه الجميل الشاحب؟ ما هو ماضيها؟ لا أحد يعرف. إن فيها مسحة شر خفية". أظن أن الدكتور هيدوك يعرف شيئاً عنها.

قلت بروود: إنك تقرأين الكثير من القصص البوليسية يا غريزelda.

- وماذا عنك أنت؟ لقد بحثت أسس في كل مكان عن رواية "قضاء على الدرج" عندما كنت أنت هنا تكتب موعظة. فماذا وجدت أخيراً عندما دخلت لأسألك عنها؟

احمر وجهي وقلت: لقد أخذتها عن الرف دون قصد. لفتت انتباهي جملة غامضة...

- إنني أعرف تلك الجملة الغامضة.

ثم أخذت تمثّل نور من قرأ في كتاب قائلة: "... وبعدها حدث شيء بالغ الغرابة... فقد نهضت غريزelda وبعثت الفرقة وقبّلت زوجها الكهل بكل حب". ثم قامت بتطبيق ما قالت، فسألناها: وهل هذا بالغ الغرابة؟

- طبعاً بالغ الغرابة. ألا ترى يا لين أنه ربما كان بمقتوري أن أتزوج وزيراً أو بلدياً أو صاحب شركة غنية أو واحداً من ثلاثة ضباط أو رجلاً حسن الأفعال فاشلاً، ولكنني اخترتك أنت بدل ذلك؟ ألم ينهك ذلك كثير؟

- لقد أذهلني في حبه. نطالما نساءلت عن سبب اختيارك لي؟

- لأن ذلك جعلني أشعر أنني جندٌ قوية. لقد رأى في الآخرون مجرد امرأة رائعة، وكان يسعدهم أن أكون لهم. أما أنت فإني أعتد لك كل ما فكره وتشجبه، ومع ذلك لا تستطيع مقاومتي! وحيلاتي - بدورها - لم تستطع مقاومة هذه المتزلة! إنني أبالغ في إزعاجك وإثارتك والتأكيد عليك طوال الوقت، ومع ذلك فإنك تحبني بحنون. أنت تحبني بحنون، أليس كذلك؟

- أنا أحبك طبعاً بما عزيزتي.

- بل إنك محتون بي. أتذكر ذلك اليوم الذي بقيت فيه في المدينة وأرسلت لك برفقة لم تسلمها أنت لأن أخت مأمورة السريد كانت تله تروماً فتسببت إبهالها إليك؟ أتذكر الحالة التي أصابتك، واتصالك بشرطة سكونلاندهارد والضحة القطيعة التي أترتها؟

لكل امرئ أشياء يكره أن يذكرها بها أحد. لقد نصرفت - حقاً - بحماسة فظيعة في تلك المناسبة. قلت لها: إذا سمحت بما عزيزتي، أريد أن أكمل خطابي أمام تلك الجمعية.

نهذت غريزدا بانزعاج بالغ ونفشت شعري حتى أوقفته، ثم عادت فعمدته وقالت: أنت لا تستحقني... لا تستحقني حقاً!

قلت بهدوء: لقد قضى الأمر!

ضحكت غريزدا وأرسلت لي قبلة في الهواء وغادرت الغرفة.

• • •

الفصل الثاني

إن غريزدا امرأة شديدة الإزعاج. كنت قد أحسست لدى قيامي عن طاولة الغداء بأنني في مزاج رائع يسمح لي بتحضير خطاب قوي فعلاً، أما الآن فإنني أشعر بالقلق والازعاج، وفيما أنا أنها للالتكباب على الخطاب دخلت لينس برونيرو نائمة إلى مكنتي.

إنني أستخدم كلمة "نائمة" عن قصد؛ فقد قرأت روايات نصف الشباب بأنهم يتدفقون حيوية وتحدث عن نصارتهم ونالفهم... إلا أنني - شخصياً - وجدت في كل من التفتتهم من الشباب شيئاً أقرب إلى الأشباح الحيوانية. وقد كانت لينس في هذا المصاء أشبه بشبح. إنها فتاة جميلة، بالغة الطول، بيضاء البشرة، يصعب - تماماً - فهمها وتصنيفها. دخلت نائمة من خلال الباب الزجاجي، وترعت بشيء من الشرود قبعتها الصفراء، وتمنعت بغموض وبدعشة من أنني من عالم آخر: "أوه! هذا أنت".

يمتد عبر الغاية طريق من منزل "أولد هول" ليقضي إلى بوابة حديقةنا، بحيث أن أغلب القادمين من هناك يدخلون من تلك البوابة ويأتون عبر حديقة إلى الباب الزجاجي لمكنتي بدل أن يأخذوا الطريق

الطويل حول البيت وصولاً إلى الباب الأمامي. ولذلك لم يدعني قدوم لبيس بهذا الشكل، ولكنني استأثرت قليلاً من عبارتها؛ فإنك إن أتيت إلى بيت الكاهن لا بد أن تتوقع وجود كاهن فيه.

دخلت مكبتي وألقيت بنفسها كومة واحدة على أحد الكرسي الضعيفة، ثم عثت بشعرها لاهية وهي تحديق في السقف وقالت: هل دينس هنا؟

- لم أره منذ الغداء. فهمت أنه ذهب للعب التنس عندكم.

- أوه، أرجو ألا يذهب؛ إنه لن يجد أحداً هناك.

- لقد قال إنكم دعونموه لذلك.

- أغلقتي دعونه فعلاً، ولكن كان ذلك يوم الجمعة، واليوم هو الثلاثاء.

- بل هو الأربعاء.

- أوه، يا لفظاعة ذلك! هذا يعني أنني نسيت للمرة الثالثة الذهاب لتناول الغداء مع أناس أعرفهم.

ولكنها لم تبت مزعجة كثيراً لذلك. قالت: وهل غريزدا هنا؟

- أظنك متحدثتها في المرسوم في الحقيقة... جلوس أمام لورنس ريدنج.

- لقد حدثت لي مع أبي مشكلة كبرى بشأنه... إن أبي فقطع.

- وما سبب تلك المشكلة؟

- بسبب رسمه لي؛ فقد اكتشف أبي ذلك.

سكت لبيس قليلاً ثم مضت قائلة: إنه لمن السخيف - حقاً - أن يمتع أبي شاباً من دخول المنزل. لقد ملأنا الدنيا صياحاً أنا ولورنس بسبب ذلك. سوف آتي وأدعه يرسمني هنا في مرسمكم.

- كلا يا عزيزتي، لا تفعل ذلك إن كان أبوك لا يسمح به.

تهتبت لبيس وقالت: أوه، كلا. يا للسأم الذي يشبه الجميع! اشتر بالتأتات تماماً. لو كان عندي - فقط - بعض المال لسافرت، ولكني لا أستطيع السفر دون مال. ولو أن والدي يتصرف بشرف ويموت لكنت أنا في أحسن حال.

- لا ينبغي لك أن تقولي أشياء كهذه يا لبيس.

- إن كان لا يريدني أن أضمن موته فإن عليه أن لا يكون مقترناً بهذا الشكل. أنا لا أستغرب هروب أبي منه. أتعرف أنني كنت أظن لسنوات أنها قد ماتت. كيف كان ذلك الشاب الذي هرب معي؟ أكان لطيفاً؟

- كان ذلك قبل أن يأتي والدك للميش في هذا المكان.

- إنني لأتساءل ماذا حل بها. أنا أن فلا أظن إلا أنها تكرهني. صحيح أنها متصفة بي، ولكنها تكرهني. إنها تتقدم بالمرء، وتستاء من ذلك. هذا هو العمر الذي يتهار فيه المرء.

تساءلت في سري إن كانت لبيس ستفضي عصر اليوم كله في مكبتي. وما لبثت أن سألت: ألم ترَ أسطواناتي؟

- يا للإزعاج! أعلم أنني تركتها في مكان ما، كما أنني أضعت الكلب... وساعتي أيضاً مفقودة في مكان ما، إلا أنها لا تهتم لأنها لن تضيع. أوه! يا إلهي، إنني أشعر بعجز شديد.. لا أدري لماذا، إذ لم أنهض حتى الحادية عشرة، ولكن الحياة مملّة كثيراً، أليس كذلك؟ أوه، ينبغي أن أمضي؛ فسوف أذهب الساعة الثالثة لرؤية انظر الأثري الذي اكتشفه الدكتور ستون.

نظرت إلى ساعتني وقلت: إنها الآن الثالثة وعشرون وثلاثون دقيقة. - أوه، حقاً؟ يا للظلمة! لا أدري إن كانوا قد انظروني أم أنهم قد ذهبوا بدوني، الأفضل أن أذهب لأرى ما يمكنني فعله. نهضت وخرجت تالفة مرة أخرى وهي تفتت إليّ قائلة: لا تنس! إيلاخ ديبس.

فنت لها: "نعم" بشكل تلقائي، ولم أدرك إلا متأخراً أنني لا أعرف ما الذي يفترض بي أن أفعله لديبس، ولكنني فكرت بأن ذلك لن يكون في أغلب الأحوال أمراً ذا أهمية. عدت لأتأمل في موضوع الدكتور ستون، عالم الآثار الشهير الذي جاء مؤخراً ليقسم في فندق "بنو مور" ويشرف على أعمال التنقيب عن ذلك القبر الذي اكتشف في أرض الكولونيل برونير، وبعد حدثت نزاعات عديدة بينه وبين الكولونيل. وسررتي دعوة لديبس لرؤية عمليات التنقيب.

لقد عطر بيالي أن في لديبس برونير شيئاً من المكر الصوب. وقسابلت كيف سنستطيع الفتاة أن تتسجم مع سكرتيرة عالم الآثار

الآنسة كرام، والآنة كرام شابة في الخامسة والعشرين من عمرها، يادية الصحة، كثيرة الحركة، ذات حيوية دافقة وفم يبدو للناظر دوماً وكأنه قد امتلأ بأكثر من حصته الطبيعية من الأسنان. وتنقسم الأراء في القرية بين قائل إنها ليست كما ينبغي لها أن تكون وبين قائل إنها شابة ذات عفة صارمة تعطط لتصبح في أقرب فرصة زوجة للسيد ستون، وهي تشكل نقباً للتيبس في كل شيء.

يوسعي أن أتخيل أن الحياة في منزل الكولونيل برونيرو المسمى "أولد هول" ربما لا تكون سعيدة؛ فلفقد نزوج الكولونيل للمرة الثانية قبل نحو خمس سنوات، وكانت زوجته الجديدة، آن، ذات حسن بالغ لا يكاد يكون عادياً. وقد كنت أحسن دوماً أن العلاقات بينها وبين ابنة زوجها لم تكن على ما يرام.

جاء من يقطع عليّ عملي مرة أخرى. كان هذه المرة مساعدي هاوز، وقد أراد أن يعرف تفاصيل لقائي بالكولونيل برونيرو. أخبرته بأمر مختلف تماماً عن الغرض الحقيقي من زيارة الكولونيل، وفي نفس الوقت مررت ملاحظة استياء مني أنا، وقلت له صراحة إن عليه أن يلتزم بتعليماتي. وقد تقبل هاوز ملاحظاتي بصبر رحب عموماً.

شعرت بشيء من تأنيب الضمير بعد مغادرته لعدم محنتي بإياه كما ينبغي. إن مشاعر المحبة والكراهية غير العقلانية تلك، التي يحس بها المرء تجاه الناس، ليست من الدين في شيء بالتأكيد.

أدركت سراً أنني أتهدد - أن عقارب الساعة على مكبي تشير إلى الخامسة إلا رباعاً، وهو ما يعني أنها في الحديقة الرابعة والنصف، وهكذا انطلقت إلى غرفة الحلوس.

اجتمعت هناك أربع نساء من دعايا أبرشيتي وأمامهن قضاة
الشاي. جلست غريزدا خلف طاولة الشاي محاولة أن تبدو طبيعية
ضمن بيتها، ولكنها لم تفلح إلا في الظهور أكثر نشاطاً من المعتاد.

صافحتُ الحضور جميعاً وجلست بين الأنسة ماربل والأنسة
وذري. والأنسة ماربل عجوز بيضاء الشعر ذات سمع لطيف
محب، أما الأنسة وذري فهي مزيج من السرورة والفحاحة في
التعبير والسلوك. وإذا ما قارنا بين هاتين المرأتين فلا شك أن الأنسة
ماربل هي الأخطر بما لا يقاس.

قالت غريزدا بصوت أعذب من العسل: كنا نتحدث -لثونا-
عن الدكتور ستون والأنسة كرام.

عطرت في ذهني عبارة مقذعة ابتكرها دينيس: "الأنسة كرام
لا تبالي بشيء أبداً". وتملكني رغبة شديدة في الحهر ب تلك العبارة
ومراقبة تأثيرها، ولكني انحسرت عن ذلك لحسن الحظ.

قالت الأنسة وذري بالتعصب: ما من فتاة مؤدبة تفعل ذلك.

سألتهما: تفعل ماذا؟

فاجابت بنبوة حول مستهجنة: تعمل سكرتيرة لرجل أعزب.

قالت الأنسة ماربل: أوه! يا عزيزي، إنني أرى أن المتزوجين
أسوأ حالاً. تذكرني المسكينة مولي كارتير.

قالت الأنسة وذري: المتزوجون الذين يتبعون بعيداً عن
زوجاتهم ذرو سمعة سيئة بالطبع.

أجابتها زميلتها: بل حتى بعض المقيمين مع زوجاتهم. إنني
أذكر...

قاطعتُ مثل هذه الذكريات التي لا تحمد عقباها وقلت:
ولكن يمكن للفتيات في هذه الأيام تولي أي عمل شأنهن في ذلك
شان الرجال.

قالت السيدة برايس ريدلي بصوت قاسي: ويمكنهن أيضاً
القدوم إلى الريف؟ بل والإقامة في نفس الفندق؟

ننمت الأنسة وذري قائلة للأنسة ماربل: وغرف النوم في
الطابق نفسه أيضاً.

أما الأنسة هارتيل -التي كانت امرأة مرحة سفعت بشرتها
الأنواء الحوية، وكان فقراء القرية يحشرونها كثيراً- فقد قالت
بصوت جهوري عال: ذلك المسكين، سيئ الإمساك به قبل أن
يعرف موطن قديمه. إنه بريء كطفل لم يولد بعد، هذا واضح جداً.

غريبة هذه العبارات التي نستخدمها. ما كانت واحدة من
الحاضرات لتحلم بالإشارة إلى طفل بهذا الأسلوب ما لم يكن طفلاً
حقيقياً يرقد في مهده أمام أعين الجميع.

مضت الأنسة هارتيل قائلة بأسلوبها القفط المعتاد: أمر مقرف،
لا بد أن الرجل يكبرها بخمس وعشرين سنة على الأقل.

تعاليت في وقت واحد ثلاثة أصوات نسائية تبدي ملاحظات
لا رابط بينها حول الرحلة التي قامت بها فرقة الصبيان، وذلك
الحادث المؤسف أثناء اجتماع الأمهات، والحوار البارد.

ورمشت الأنسة ماريل بجيها لغريز لندا، فضالت زوجتي: ألا تحسبن أن هدف الأنسة كرام قد لا يعلو الرغبة في الحصول على وظيفة مثقفة؟ وأنها تعتبر السبيل ستون مجرد رتبة عمل؟

ساد القليل من الغمط. وهذا واقعاً أن أياً من النساء الأربع لا تتفق معها. ثم قضت الأنسة ماريل المصمت بأن رينت عني فراع غريز لندا وقالت: يا عزيزتي. إنك غداً، وعقول الشباب مبرجة حقاً.

قالت غريز لندا بسخط إنها ليست ذات عقل برميءة لندا، فضاغت الأنسة ماريل متجاوزة اعتراضها: طبعي أن تحسني الظن بالناس.

- أنظنيها حقاً تريد الزواج بذلك الرجل الأصغر حجماً؟

أجابت الأنسة ماريل: لقد فهمت أنه غني لنداً، وأظنه ذا مزاج عفيف. لقد عاض مشاحرة غبطة مع الكولونيل بروثيرو قبل أيام.

مال النسوة بأجسامهن إلى الأمام باهتمام. فيما أكملت الأنسة ماريل: لقد اتهمه الكولونيل بروثيرو بأنه جاهل.

قالت السيدة برايس ريدي: كم هو طبعي من الكولونيل أن يصرف هكذا، وكذا هو طبعي أيضاً.

قالت الأنسة ماريل: إنه طبعي جداً، ولكني غير واثقة به. كان ذلك صغيراً. أتذكر من تلك المرأة التي جازت وفالت وبها متفوية إحدى مؤسسات الضمان الاجتماعي، وبعد أن أخذت التبرعات لم تعد تسمع عنها شيئاً. وثبت أن لا علاقة لها أبداً بأية مؤسسات؟ إن المرأة ميل كثيراً لوضع أفكاره الناشئة وأحفهم بها بقولونه عن أنفسهم.

ما كنت لأحلم بوصف الأنسة ماريل بأنها امرأة تتق بالناس.

سألت الأنسة وفريبي: لقد ذكرت بعض الأفكار من ذلك المكان الشاب. السيد ريدنغ، أليس كذلك؟

لومقت الأنسة ماريل بالإيجاب وقالت: لقد طرده الكولونيل بروثيرو عازج البيت؟ يبدو أنه كان يرسم للنس في ثياب السباحة.

قالت السيدة برايس ريدي: لقد كنت أظن دوماً أن يتبعها شيئاً. فذلك الشاب يتكبح دوماً هناك. من المؤسف ألا تكون لتلك الفتاة أم ترعاها... إن زوجة الأب لا تشكل بديلاً أبداً.

قالت الأنسة هارنيل: أظن أن زوجة السيد بروثيرو تبذل في ذلك كل ما في وسعها.

علقت السيدة برايس ريدي باستهجان: الفتيات وقحات جداً.

لندمطت الأنسة الأرق قلباً ودربي فائلة: هذه قصة غرامية مبررة، أليس كذلك؟ به شاب وسيم جداً.

قالت الأنسة هارنيل: ولكنه متحلل... وهذا طبعي، فهو لنداً!

قالت السيدة برايس ريدي: ويرسمها في ثياب السباحة... ليس ذلك بالتصرف اللائق.

قالت غريز لندا: إنه يرسمي أنا أيضاً.

قالت الأنسة ماريل: ولكن ليس في ثياب السباحة يا عزيزتي. ثم سكتي: هل أخبرتك الغريزة ليس بالمشكلة؟

- أخبرني أنا؟

- نعم، لقد رأيتهما بعد العودة إلى الباب الزجاجي لمكتب.

إن الأنسة ماريل ترى دوماً كل شيء. وبشكل شخصي بالحدائق غطاء مناسباً تماماً لذلك. كما أن هوايتها في مراقبة الطيور بمنظار عالي الكفاءة تعطي دوماً فوائداً إنسانية.

قلت معترفاً: نعم، لقد أشارت إلى الموضوع.

صاحت الأنسة وذريتي بالتفعل: أوه! لقد نسيت تماماً. إن لديّ أخباراً... فلقد رأيت الدكتور هيدوك خارجاً من بيت السيدة ليسترينج!

لبادل الجميع النظرات، وقالت السيدة ريللي: ربما كانت مريضة.

علقت الأنسة هارتنيل قائلة: إن كان الأمر كذلك فلا شك أن مرضها جاء فجأة؛ فقد رأيتها تمشي في حديقتهما في الثالثة من بعد ظهر اليوم، وقد بدت بصحة ممتازة.

قالت السيدة برايس ريللي: لا بد أنها من المعارف القدامى للدكتور هيدوك. لقد أهدى نكتاً نحاء الموضوع

أهدتها الأنسة وذريتي قائلة: غريب أنه لم يأتِ أبداً على ذكر ذلك.

قالت غريزلدا بصوت منخفض غامض: في الحقيقة...

ثم توقفت، فمال الجميع إلى الأمام باهتمام وترقب، ومضت غريزلدا بأسلوب مؤثر تقول: صدق وعرفت أن زوجها كان يعمل في الحملات التبشيرية. إنها قصة مغيرة.. لقد تمّ أكله. أصني حرقاً

بنهم أكلوه، وأجبرت هي على الزواج من زعيم القبيلة لتصبح زوجته الأليفة. وقد كان الدكتور هيدوك في بعثة هناك فأنقذها.

غمر الانفعال الجميع للحظة، ثم قالت الأنسة ماريل مؤببة وهي تنسم: "يا لك من شقية!" ثم ربت على ذراع غريزلدا قائبة وقالت: هذا تصرف يقتصر تماماً للحكمة يا عزيزتي! فإن اخترعت مثل هذه الروايات مال الناس - على الأرجح - لتصديقها، وقد يؤدي ذلك أحياناً إلى تعقيدات.

بدا وكأن طمحينيات قد حطت على رؤوسهن الطير، ثم ما لبثت اثنتان منهما أن تهضتا مودعتين.

قالت الأنسة وذريتي: أنسا! إن كان ثمة شيء بين الشاب لورنس رينديج ولينس بروثيرو، فظاهر الأمر هكذا بالتأكيد. ما رأيك يا آنسة ماريل؟

- ما كنت أنا لأقول ذلك شخصياً. ليس لينس... بل أظنها امرأة أخرى تماماً.

- ولكن لا بد أن الكولونيل بروثيرو ظن أنها...

قلعتها الأنسة ماريل قائلة: لطالما رأيت في الكولونيل رجلاً مغفلاً. إنه من ذلك النوع الذي يُدعى فكرة خاطئة في رأسه ثم يصر عليها. أتذكرين جو باكيل الذي كان يدور فندق بلو بور؟ أثار مشكلة كبرى حول وجود علاقة بين ابنته والشاب بيلي، ثم تبين لاحقاً أن العلاقة كانت دوماً مع زوجته الممرب تلك.

كانت تركز نظراتها على غريزلدا وهي تتكلم، وقد أحسست

فجأة بموجة غضب عارمة. قفت لها: ألا ترين - يا أنسة ماري - أننا فرعي العنان كثيراً لألسنتنا. إن ترك الأنسة تظهر صحافة الإشاعات السيئة يمكن أن يفضي إلى أضرار لا يمكن تقديرها.

قالت الأنسة ماري: يا عزيزي الكاهن، إنك تشديد الورع والمثالية. إنني لأؤكد أقول إن من شأن امرئ راقب النفس البشوية طويلاً كما راقبها أن لا يتوقع منها الكثير. إنني أرى أن النسيمة والأقارب الملاحية أمر عاملي جداً وكرهه، ولكنه ينطوي على الحفظة في أغلب الأحيان، أليس كذلك؟

أصابت تلك الملاحظة الوداعية مقديلاً.

• • •

الفصل الثالث

قالت غريزدا وهي تغلق الباب: يا لها من عجوز ثرثرة قذرة!

وأظهرت لضيفاتها المتعذات وجهها بشوشاً ثم انفتحت إلى وضاحت قائلة: هل نشك حقاً يا لين يامي أقيم علاقة مع لورنس ويدنغ؟

- يا عزيزتي! كلا، بالطبع.

- ولكنك حسبت أن الأنسة ماري تلصق لذلك. ولقد بادرت إلى الدفاع عني بشكل رائع. مثل... مثل نمر غاضب.

انتهى شيء من التعليل، إذ ليس لكاهن مثلي أن يضع نفسه في موقف بوصف فيه بأنه نمر غاضب. ثم قفت لها: لقد شعرت أنه لا ينبغي للنامية أن تمر دون إيلاء ملاحظة احتجاج، ولكنني أتمنى - يا غريزدا - أن تكوني أكثر حرصاً فيما تقولينه.

- أتمنى بذلك قصة القبيلة المتوحشة أم تلميحي إلى أن لورنس كان يرسمني كما رسم تلك الفتاة! نيتهم يعلمون أنه يرسمي وأنا لورندي عبادة وقررة شمعة، ذات بقعة عالية من الفرو، وهي في

غاية الاحتشام حقاً. بل إن لورنس لم يحاول حتى تتودد إليّ.

- طبعاً، إذ يعرف أنك امرأة متزوجة...

- لا تنظروا بأنك قادم من المريخ. أنت تعلم جيداً أن شابة حسنة لها زوج كهو تشكل فرصة تينة لأي شاب. لا بد من وجود سبب آخر... الأمر ليس في افتقاري للجمال، فعندي الكثير منه.

- لا أظنك تريدونه أن يتودد إليك؟

- ك... كلا.

قالت لها غريزelda بتودد وأبته أكثر من المناسب، وعلقت قائلاً: إن كان يحب ليتيس برونيرو...

- ولكن لا يبدو أن الأنسة ماريل ترى ذلك.

- لقد تكون الأنسة ماريل معطلة.

- إنها لا تعطيني أبداً. ذلك النوع من المحاور المترشحات دائماً على صواب.

سكنت قليلاً ثم قالت وهي تلمح إليّ نظرة جانبية سريعة: أنت تصدقني، أليس كذلك؟ أعني بأنه ما من شيء يبني وبين لورنس.

قلت مندهشاً: يا عزيزتي غريزelda... بالطبع أصدقك.

تقدمت زوجتي وقلتني ثم قالت: ليشك لا تكون سهل الانصياع إلى هذه الدرجة بالبن. إنك تصدقني في كل ما أقوله.

- أتعني ذلك. ولكنني أتوسل إليك يا عزيزتي أن تمسكي

بأظفرك وتحرصي فيما تقولين. إن هؤلاء النسوة لا يعرفن للمزاج طريقاً، ومن يأخذن كل أمر على محمل الجد.

- إن ما يحدثه هو القليل من الانحلال في حياتهن، وعندما لن ترأين مشغلات بالبحث عنه في حياة الآخرين.

وعند هذه النقطة غادرت غريزelda الغرفة، فألقيت نظرة على ساعتني وهرعت للقيام ببعض الزيارات التي كان عليّ القيام بها في وقت سابق من هذا النهار.

كان الحضور في مساء الأربعاء قليلاً كالعتاد، ولكنني حين خرجت من الكتيبة بعد نزع عبائتي في الغرفة المخصصة للملك- وجدت المكان عالياً إلا من امرأة وفقت. تحدثت في إحدى نوافذ الكتيبة. وللكتيبة بعض النوافذ ذات الزجاج القديم المطون، بل إن الكتيبة نفسها تشكل صرحاً يستحق النظر. التفتت المرأة حين سمعت صوت خطواتي لمأيت أنها كانت السيدة ليسترينج.

ترددنا كلانا للحظة ثم قلت: أوجو أن نكون كنيسة الصغيرة قد أعجبناك.

- كنت أتأمل بإعجاب واقية النافذة.

كان صوتها عذبة، منخفضاً وعم وصوحه ودقة محارج ألقاظه. ونضابت قائلة: إنني أسفة جداً إذ لم نجدني زوجتك بالأمس.

تحدثنا بضع دقائق أخرى عن الكتيبة، وبدأ واضحاً أنها امرأة ذات ثقافة عالية. ثم تركنا المبنى معاً ومشينا في الطريق، إذ أن أحد الطرق المفضية إلى بيتي كان يمر من أمام بيتها. وعندما وصلنا بوابة

بينها قالت بمرح: لماذا لا تفضل بالدخول لتعطيني رأيك بما فعلته؟
وقد قبضت الدعوة. كان البيت الذي سكنه، واسمعى "ليل
غيتز"، يعود فيها مبنى لضابط أنغلو-هندي، ولم أملك إلا الشعور
بالارتياح لغياب الطوائف النحاسية والأحجام اللورمية التي كانت
هناك سابقاً. لقد فرش البيت الآن بشكل بسيط ولكن بأسلوب
حساس مميز بحيث يجد فيه المرء شعوراً بالراحة والاسترخاء. ومع
ذلك فقد تساءلت أكثر فأكثر عن السبب الذي دفع امرأته كاليند
ليستريح لتسعى إلى قرية "سينت ميري ميد". كانت تبدو بكل
وضوح امرأة خيرة عركتها الشحارب، بحيث بدا دفنها لنفسها في
قرية ريفية أمراً يذل على ذوق عرب.

وفي الخطوة الأولى لغرفة الجلوس والتي فرجة فأمدتها لأول
مرة: كانت امرأة صليخة جداً، كمائن شعرها ذهباً مع مسحة من
الاحمرار فيه. أما حجابها ورموشها فقد كانت سوداء، ولم أستطع
أن أحرم إلا كان ذلك صنعة أم صبيحة. ونحن كان ذلك صنعة وشرجاً
فقد رأيت أنه لم يشكل متفنن. كان في وجهها شيء عابث عندنا
يكون هادئاً، وكانت عيناها أغرب عيني رأيتها... بكاد لونها
يكون ذهبياً في الظل. أما ثيابها فكانت غاية في الكمال. واستوبها
بتميز بساطة امرأة من عائلة ريفية، ومع ذلك كان فيها شيء ناشز
محبب، بشعر المرأة أنها لفت. وقد حضرت لذهني لكنيسة لشي
استخدمتها غريزداً: طيريرة؟ كان ذلك تعبيراً مسجناً بالظن،
ولكن... أتواء مسجناً حقاً؟ وفكرت فكرة إلى ذهني مباشرة: "ليس
لهذه المرأة وزع بينها عن شيء مما تريد".

كان كلاماً في أكثر الموضوعات عمومية، التفوحات والكسب

والهبة القديمة. ومع ذلك فقد أحسست بانطباع قوي يفيد بوجود
شيء آخر... شيء مختلف تماماً تريد السيدة ليستريح أن تقول لي.
لاحظتها نظراً إلى مرة أو مرتين، نظراً بتردد غريب كما لو
أنها لم تكن قادرة على أن تحزم أمرها. ولاحظت أنها أبقت
الحديث مقتصرًا - يحزم - على الأمور العامة، ولم تشر إلى زوج أو
قريب. ومع ذلك كانت في عينيها تلك المناشدة الغريبة الملحة التي
توشك أن تقول: "أعبرك؟ أريد إنجارك. ألا يمكنك مساعدتي؟".
لكن تلك المناشدة تلاشت أخيراً... أو أنها لم تكن إلا خيالاً مني.
شعرت أنني قد استبعدت وأن اللقاء قد انتهى، فنهضت واستأذنت.
ولدى مصادرة الغرفة التفت فرأيتها تعقد ورالي وعلى وجهها
لمحات الحيرة والشت.

وبقرو مفاتيح عدت وسألها إن كان يوسعي المساعدة في أي
أمر. قالت بترتيب: هذا لطيف بالغ منك...

وقتنا معا صامتين. ثم قالت: ليبي أعرف؟ أمر صعب. لا، لا
أظن أن يوسع أحد مساعدتي، ولكن شكراً على عرضك للمساعدة.

بدا ذلك القول نهائياً، وهكذا خرجت. ولكنني كنت أتساءل
وأصعب، إذ لم تعد الألفاظ في بيت ميري ميد. وكنت مستغرباً
في ذلك إلى الحد الذي أتهاني - وأنا خارج من البوابة - عن رؤية
الآنسة هارنيل التي اصطدمت بي... والآنسة هارنيل ماهرة جداً في
الاصطدام العنيف غير المتكافئ!

هتفت بدعابة ثقيلة: رأيتك! وقد أثارني ذلك كثيراً. يمكنك
الآن أن تخبرنا بالأمر كله.

- جنتا انجمن کے

• **بهاجر البديعة العاصفة!** أهي أرملته ثم أن لها زوجاً في مكان ما؟

- لا يمكن الحزم حقا وهي لم تخبرني.

- ما أغرب ذلك! **يَحْيَى** لِي أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ تَذَكَّرَ شَيْئاً عَرَضِيًّا.

يُكَادِ يَهُوْهُ أَنْ لَهَا أَمْبَاهُ لَعَلَّ الْحَدِيثَ قُلُوبِ كَلِمَتُ؟

- أنا - في الواقع - لا أرى ذلك.

- آه، ولعلك - كما قالت الآنسة ماريلي - شديد الغيرة يا

عزیزی المکاشن، انجمنی، آگات نعرف لادکتور ھېڅو څه مدد ښه؟

- لم تأت على ذكره، ولعلك لا أدري.

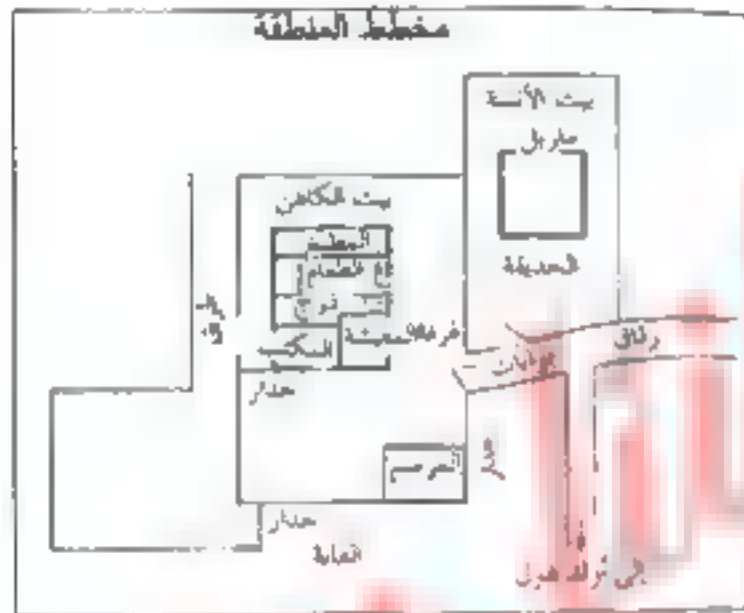
— عجب؟ فیم نمودنما یقین؟

قلت مادامنا نحدثنا عن الملوحة والموسيقى والكعب،

هذه الكتب عازتني مرناة غير معقدة، وهي التي لا تعدو موضوعات أبحاثها الطوارى الشعبية الحرة. التهرت فرصة قراءتها لحظات وهي تدرك في كلية المعنى تحقيقها فتمت لها مساء سعيداً وأعلنت سرّاً.

لأرت بيناً آخر أكثر غريباً من مركز القرية ثم عدت إلى عبي
عن طريق بوابة المدينة مروراً - بحالة هائلة - بالقطعة المحصورة
بمحاذاة حديقة الأتمة ماريل. ولكني - على أية حال - سم أفضل
يكون خير زيارتي للمدينة المستريح قد وصل إلى مستعمها بعد
ولذلك شعرت بقدر لا بأس به من الأمان.

وهذا إذا قرأتم هذا المنطقاً رسماً توضيحياً عاماً سيكون مفيداً في توضيح ما يأتي من الأحداث، مورداً من التفاصيل ما كان ضرورياً فقط.



لم تردوني ففكرة وجود أحد في المرسوم فلم تصدر أية أصوات
من داخله لتبهي لذلك، وأحسب أن أيا لم تكن تصدر
صوتاً على الحسب، ففتحت الباب، وتوقفت مشدوهاً عند العتبة؛ فقد
كان في المرسوم شخصان، وكانت ذراعاً الرجل تطوقان المرأة وهو
يقبّلها بكل حب.

كان الشخص الذي دعا الرسام نورس بـ"يبلغ وزوجة الكولونيل"
مؤتمراً.

عدت فخرجت بسرعة ورجعت أدرأجي إلي مكبتي. وهناك جلست على كرسي وأخرجت غيتوني ورجعت أقفب التفكير في الأمور. لقد جاء هذا الاكتشاف صدمة كبرى بالنسبة لي، خاصة بعد حديثي عصر ذلك اليوم مع لبيس حيث شعرت أنني شبه واثق بأن شيئاً من التفاهم أخذ ينمو بينها وبين الشاب. وفوق ذلك كنت مفتعاً بأنها - شخصياً - تظن ذلك أيضاً، وشعرت بأنني واثق أنها لا تعرف شيئاً عن مشاعر الرسام تجاه زوجته أيها.

يا لها من شبكة قدرة! إنني أعترف - راعماً - بالفضل للأئمة ماربل إذ لم تتخددع، بل عمتت بوضوح حقيقة محرق الرياح بقدر لا بأس به من الدقة. لقد أسأت تماماً تفسير نظرتها الدليقة بالمعاني إلى غريزتها. إنني لم أحلم أبداً بالتفكير بالسيدة برونيرو في هذه القضية. لقد ساد - دعواً - شعور بأن السيدة برونيرو موق التشبهات، بأنها امرأة هادئة مستقلة لا تميل للإسقاط ولا بكاد المسر، يرى لديها أي عمق في المشاعر.

كنت قد وصلت إلى هذه النقطة في تأملاتي عندما أيقظتني طرقات على الباب الزجاجي لمكبتي، فنهضت واتجهت إلى الباب. كانت السيدة برونيرو تقف في الخارج، تحت الباب قد علمت فور انتظار دعوة مني. وعبرت الغرفة لاهثة ورمت نفسها على الأريكة.

تملكني شعور بأنني لم أرها حقاً من قبل. فقد تبهرت شمرة الهادئة المنعزلة التي كنت أعرفها، وحلت محلها معلوقة بائة متلاحقة الأنفاس، وأهركت لأول مرة أن أن برونيرو كانت بائة الحمال. كانت امرأة نية للشعر شاحبة الوجه ذات عيتين رماديين غالزتين، وكان وجهها - في تلك اللحظة - محمراً وصبرها يبدو

وبهبط. بدأ الأمر وكأن شيئاً قد دبت فيه الحياة فجأة، وعرفت حينئذ لمام هذا التحول.

قلت: رأيت من الأفضل أن آتي. لقد... لقد رأيتنا الآن؟

طرقت برأسي فقلت بكل هدوء: إننا نحب بعضنا بعضاً...

ثم تسطح - حتى في حمأة كربنها وانفعالها الواضح - أن تمنح رسم لتمام صغيرة على شفتيها. وبقيت ساكناً فأضافت: أظن أن ذلك يبدو لك خطأ حسيماً.

- وهل تتوقعين مني قول أي شيء آخر يا سيدة برونيرو؟

- كلا... كلا، لا أتوقع ذلك.

مضت قائلاً وأنا أحاول حمل صوني كالطف ما يمكن له أن يكون: أنت امرأة متزوجة...

قاطعتني قائلة: أوه! أعرف.. أعرف. أظن أنني لم أفكر بذلك مررة ونكررة؟ إنني لست امرأة سيئة حقاً... لست كذلك. والأسوأ لست... لست كما قد يحظر بذلك.

قلت متجهماً: أنا سعيد لذلك.

سألت بشيء من التعرج: هل ستعبر زوجي؟

قلت يروود: يبدو أن الفكرة العامة مفادها أن رجل الدين غير فكر على تصرف كرجل مهذب شهم، وهي فكرة غير صحيحة.

رميت بنظرة استن وقلت: إنني سعيدة جداً. أوه! سعيدة جداً

جداً. إنني لا أستطيع الاستمرار. لا أستطيع -يساطة- الاستمرار...
ولا أدري ماذا أفعل.

ارتفع صوتها وشابهته مسحة من الهستيرية وهي تقول: أنت لا تعرف كيف هي حياتي. لقد كنت بائسة مع لوكيوس منذ البداية. ما من امرأة يمكن أن تسعد معه... ليته كان ميتاً! إنها أمنية فظيعة. ولكنني أتمناها فعلاً... إنني بالسة. صلتني، إنني بالسة.

جففت ونظرت من وراءني إلى الباب الزجاجي وقالت: ما هذا؟ أظنني سمعت أحداً؟ ربما كان لورنس.

ذهبت إلى الباب الزجاجي الذي لم أكن قد أغلقته كما غطت. خرجت منه ونظرت إلى الحديقة ولكنني لم أر أحداً. ومع ذلك فقد كنت أكون مفتحة أنا الآخر بأنني سمعت أحداً، أو ربما كانت مفتحة هي التي أفتحتني بذلك.

عندما دخلت الغرفة من حديد كانت تميل بحسبها إلى الأمام وتطرق رأسها. مدت صورة مجسدة للباس. قالت ثانية: لا أدري ماذا أفعل... لا أدري ماذا أفعل.

جلست وجلست بقربها وقلت الأشياء التي رأيت من واجبي قولها، محاولاً أن أكون مفتحة في كلامي، وأنا واع طوال الوقت. وبلا ارتجاع، أنني عثرت في نفس ذلك الصباح عن شعوري بأن عالماً يحلو من الكولونيل بروثيرو سيكون عالماً أفضل بكثير. وقد توسلت إليها -قبل أي شيء آخر- ألا تقدم علي تصريف متهور؟ فمفادرة بيتها وزوجها كانت خطوة خطيرة تماماً، ولكن لا أحب أني أفتنعتها. لقد عشت من الزمن ما يكفي لأعرف أن معادلة امرئ

ولهذه مسألة عقيمة، ولكنني أظن أن كلماتي قد جلبت لها بعض الراحة والجزاء. فقد شكرتني عندما نهضت للمفادرة ووعدت أن تفكر ملياً بما قلته.

ومع ذلك شعرت بعد مفادرتها بالكثير من عدم الارتياح. شعرت أنني أسأت حتى الآن المحكم على شخصية أن بروثيرو. لقد رأيت فيها لتو امرأة شديدة اللباس، امرأة من شأنها ألا تصغي لأي وزع إذا ما أثيرت عواطفها. وقد كانت تحب لورنس وهدنغ بعنون وحدة وبأس، فيما هو يصفرها بالعديد من المنين. وهو الأمر الذي أحسست أنني غير مرتاح إليه بشائناً.

• • •

كنت قد شككت في إمكانية مجيء لورنس ريدنغ، إذ كان
بوسعه -بشكل -هولة- أن يرسل اعتذاراً. لكنه وصل في موعده بدقة،
ومضينا نحن الأربعة لتناول العشاء.

إن لورنس ريدنغ شخصية جذابة لا تُنكر؛ فهو في حوالي
الثلاثين من عمره، أسود الشعر، ولكن في عينيه زرقاء لامعة مذهلة.
وهو من أولئك الشباب الذين يحسنون القيام بكل شيء. فهو ماهر
في الألعاب، ويتقن الصيد، وهو ممثل هاز جيد، وراوي قصص جيد،
ويمكنه إلهام أية حفلة بمواعبه الممتدة. أظن أن في عروقه دماء
إيرلندية. ورغم أنه ليس أبداً من ذلك النمط التقليدي الذي غالباً ما
يراه المرء في الرسامين، إلا أنني أظنه رساماً ماهراً وفق الأساليب
الحديثة، مع أنني -شخصياً- لا أتقنه في الرسم الكثير.

كان من الطبيعي في هذه الأمسية بالذات أن يبدو لورنس
خارداً للذهن، ولكنه تصرف -عموماً- بشكل جيد تماماً. ولا أظن
أن غريزelda أو دينيس قد لاحظا شيئاً غير طبيعي فيه. وربما لم أكن
لألاحظ شيئاً أنا الآخر لو لم أكن أعرف من قبل.

كانت غريزelda و كان دينيس متبهجين بشكل خاص، يوردان
الطرائف على الدكتور ستون والأنسة كرام اللذين أصبحا حديث
القرية. عطر لي فتاة عاظم أحسنه كعزة مولمة، وهو أن دينيس
أقرب عمراً إلى غريزelda مني إليها، وهو يدعوني "العمم لين" بينما
يدعوها غريزelda، وقد أشعرتني ذلك بشيء من الغرلة.

أعشتي كنت مترعماً -دون شك- من السيدة بروثيرو، وأنا
ممن لم يعتادوا الاستغراق في مثل هذه التأملات التي لا فائدة منها.

الفصل الرابع

كنت قد نصبت تماماً أنا دعونا لورنس ريدنغ إلى العشاء في
تلك الليلة، وقد فوجئت عندما اندفعت غريزelda إلى مكثي لتوبخني
مشيرة إلي أن موعد العشاء لم يتبق عليه سوى دقيقتين فقط.

صاحت غريزelda علفي وأنا على الدرج: أمل أن تكون الأمور
جاهزة على ما يرام. لقد فكرت ملياً فيما قلته على العشاء، وقد
فكرت في بعض المأكولات الجديدة حقاً.

يمكنني القول -بإشارة عارضة- إن عشاءنا قد أكد صحة ما
قالته غريزelda من أن تدخلها في سلوك الطبخ يجعل الأمور أسوأ
بكثير؛ فقد كان لديها طموح في تنويع أصناف المأكولات، ويبدو
أن ما يري قد وجدت لذة شديدة في مراقبة زوجتي وهي تتبجح بفضل
الطرق في إفساد الطعام، بحرقه تارة ويرغمه عن النار تارة
أخرى. أما بعض الفواقد التي أرسلت زوجتي في طلبها -وهي
الطعام الذي لا يمكن أن يفسده أي قدر من نقص الحيرة- فأننا لم
نستطع تقديمها مع الأسف لأننا لم نجد في البيت ما نفتحها به...
وهو ما لم نكتشفه إلا عندما أرف وقت تقديمها.

ورغم أن لورنس شارك في الأساطير بابتهاج، إلا أنني كنت ملاحظاً نظراته التي كانت تتوجه باستمرار حيث كنت أجلس، ولم أتدهش حين ناور بعد العشاء ليحملني أذهب إلى مكبي. وحالما أصبحنا بحفرتنا تغير أسلوب تصرفه وقال: لقد كشفت سرّاً ما سيدي، ما الذي ستفعله حيال الأمر؟

كان يوسعي أن أتحدث مع لورنس بصراحة أشد بكثير من صراحتي مع السيدة بروثيرو، وهو ما فمت به، وقد تحمّل الشاب كلامي بشكل جيد. وعندما فرغت قال: لا بد لك من قول ذلك كله بالطبع، وربما كنت محفّاً فيما تقوله كما أظن، ولكن ما يعني وبين أن ليس تلك العلاقة العادية التي قد تصورها.

قلت له إن عبارته تلك يقولها الناس منذ فجر العليقة، فارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة غريبة وقال: أعني أن كل امرئ يرى حالته فريدة لا تتكرر؟ ربما كان الأمر كذلك، ولكن ينبغي أن يصدق امرأ واحداً.

أكد لي أنه "لا شيء في العلاقة" وأن أن من أفضل وأفضل النساء، ثم قال بتعجب: لو كان بروثيرو المحوّر شاعبة في رواية لقتل منذ زمن... وكان في ذلك راحة للجميع.

أثبته على ذلك فقال: أوه! هذا لا يعني أنني سأعزز مكناً في غيره، مع أنني أقدم جزيل شكري لأي امرئ يفعل ذلك. ما من أحد في هذا العالم يذكره بخير، وإنني لأعجب كيف لم تقدم زوجته الأولى على قتله. لقد قابلتها مرة منذ سنوات وبدت لي امرأة قادرة على مثل هذا الأمر. كانت واحدة من فلولك للنساء القهائدات

الخطرات. إنه يرعد ويرق طوال الوقت، ويشير المتعصب في كل مكان، وهو يفعل خفق الله، وذو مزاج قذر لا يحتمل. إنك لا تدري مقدار الأذى الذي اضطرت أن لتعمله منه. لو كان لي في هذه الدنيا أي مال لأخفنها بعيداً جون إضاعة للوقت.

تكلمت معه بعد ذلك بكل جدية. رجوت أن يضار سبوت ميري بهذا فبقاؤه فيها ليس من شأنه إلا التسبب لأن بروثيرو يشقاء أعظم مما شهدته حتى الآن، فالتاس سيتكلمون، وسيصل الأمر إلى مسامع الكولونيل بروثيرو... وسيكون وضعها أصعب بما لا يقارن.

احتج لورنس قائلاً: لا أحد يعلم بالأمر سواك يا سيدي.

قلت: يا فتاي العزيز، أنت تقلل من قيمة القرينة البوليسية في حياة قربتنا، ففيها يعرف الجميع أخصر خصوصياتك. ما من رجل تحر في انكسرتا بضاهي محوّر غريباً لديها من الوقت الكثير.

قال إن ذلك لا يشكل خطورة، فالجميع يظنونه مفرماً بلينيس. فسألته: هل خطر لك أن ليس نلسها قد نظن ذلك أيضاً؟

هذا متحدثاً تماماً للفكرة، وقال إن لينيس لا تأبه له أبداً، وإنه واثق من ذلك. ثم مضى قائلاً: إنها فتاة غريبة نوعاً ما. تبدو دوماً وكأنها في حلم مع ذلك فإني أرى أنها فتاة عملية في أعمالها. أظن أن كل ذلك الغموض والشروط ما هو إلا قناع وتمثيل. إن لينيس تعرف تماماً ما تفعله، وإن فيها عرقاً غريباً من حب الانتقام. الغريب أنها تكره آند... نعتها بالمعنى المحرفي، ومع ذلك فإن أن تعاملها خوفاً معاملة ملائكة.

لم تعتمد عليها - كلامه فيما يخص هذه النقطة الأخيرة؛ فبالنسبة للشباب المتحمسين جداً تكررت المحييات دوماً أشبه بالملاكمة. ومع ذلك فإن آنا - كما لاحظت - تعرفت دوماً بلطف واتصاف مع أخته زوجها؛ لذلك ذهبت عصر ذلك اليوم من التمرارة التي صفت لها في بيتي. وعند تلك النقطة اضطررت لتقطع الحديث لأن غريزدا ودنيس اندفعا إلى المكتب وقالوا إن عليّ ألا أجعل لورنس يصرف كمحور مل.

قالت غريزدا وهي تلمح بنفسها على أحد الكراسي: يا إلهي! كم أنا مثقولة لشيء مثير يحصل. جريمة قتل... أو حتى عملية سطو! قال لورنس محاولاً تقمص حالتها المزاجية: لا أجد ما يستحق السطور... إلا إذا فكرنا بطقم أسنان الأسمه هارنيل.

قالت غريزدا: إنه يطفلق ويصدر أصواتاً فظيعة. لكنك مصطنع في تلك أن شيئاً لا يستحق السطور! ضحى فولد هول بعض التحف الفضية القديمة الرائعة، وبعض الأواني الأثرية والفناجين التي تعود إلى عهد الملك شارلز الثاني، ونحف كثيرة أخرى كهذه. أظنها تساوي آلاف الجنيهات.

علق دنيس قائلاً: إن من شأن المحور أن يطلق عليك النار إن تشرفت من ذلك. وهو ما يستمتع بقطعه.

قالت غريزدا: منعت به قبل ذلك! من منكم يملك مسلحاً؟

قال لورنس: لدي مسدس من طراز ماووزو.

- حقاً! كم هو مثير. لماذا تحتفظ به؟

- إنه تذكير من زمن الحرب.

نطوخ دنيس قائلاً: لقد كان المحور بروثرو بري قطع النقطة السيد ستون اليوم. وكان ستون يتظاهر بأنه مهتم جداً بذلك.

قالت غريزدا: ولكنني ظننت أنهما قد تشاجرا بشأن القبر.

اجابها دنيس: لقد تصالعا. وإن كنت لا أدري لماذا يتحسروا فلنفس في نيت التهورا

قال لورنس: إن هذا الرجل ستون، يحميني. إنه شديد الشرافاً دون شك! يكاد المرء يقسم أحياناً أنه لا يفقه شيئاً في مهنة تصفها.

قال دنيس: هذا من الحب... العالية غلايس كرام، والشباب، والهورى، والمكي في طابق واحد في القنديل...

قالت مؤبداً: كم يا دنيس.

قال لورنس: حسناً، عليّ أن أذهب. شكراً جزيلاً لك يا سيدي. كلبت على هذه الأسمه المحبلة.

ودعته غريزدا، وكذلك دنيس الذي عاد بعد ذلك إلى المكتب بمفرده. بدأ أن شيئاً قد حدث وكثر الفنى. فقد أخذ يفرج الفرفة جيدة ونهاها وهو عابس برفس الأثبات بقدمه. وأثابها بالأسلحة بحيث لا يكاد تترك كل يريده طسراً، ولكنني شعرت أن عليّ إبداء احتجاج بسيط جعل دنيس يتأسف.

سكنت لحظة ثم انقصر قائلاً: يا للتميمة من عادة عفة سيدي!

فوجئت قليلاً وسألته: ما الأمر؟

قال: لا أدري إن كان علي أن أخبرك.

فوجئت أكثر فأكثر، وأكمل دهنيس: إنها عذبة في منتهى المسوء. المسعي هنا وهناك وقول الأشياء... ولا حتى قولها، بل الإبهاء واللمز بها. كلا، لا أكاد أستطيع إخبارك! إنه أمر غرر جداً.

نظرت إليه بفضول، ولكنني لم أنته على الكلام. ومع ذلك فقد عجبت كثيراً لمساوكة؛ فإن التأثير بالأمور بهذا الصغر لم يكن أبداً من صفات دهنيس. وفي تلك اللحظة دخلت غريزelda وقالت: لقد جاءرتني الأنسة وفري ليوها. لقد مرحت السيدة ليسترينج من بيتها في الساعة الثامنة إلا ربعا ولم تعد بعد، ولا أحد يعرف أين ذهبت.

- ولماذا تفرض أن يعرف أحد؟

- ولكن عروجهما لم يكن للذهاب إلى المذكور هيدوك. الأنسة وفري متأكدة من ذلك؛ لأنها اتصلت بالأنسة هارتيل التي تسكن في منزل ملاصق لبيت الدكتور. والثني كان من شأنها - قطعاً - أن تراها فادمة لو صح ذلك.

قلت: إنني لا أفهم أبداً كيف يحصل أهل هذه القرية على التغذية الضرورية. لا بد أنهم يتناولون وجباتهم وقوفاً أمام التوفخذ حتى يتأكدوا من أن شيئاً لم يفتهم.

قالت غريزelda وهي تتنفس فرحاً: وهذا ليس كل شيء. فقد اكتشفوا حديثاً فيما يخص فندق بلو بور. إن للدكتور ستون ولأنسة كرام غرفتين متلاصقتين في الفندق. ثم أشارت بمسببتها

بشكل موحٍ وأضافت: ولكن دون باب يوصل بين الغرفتين!

علقت قليلاً: لا شك أن ذلك شكّل عية أمل للجميع.

وهو ما أثار ضحك غريزelda.

* * *

بدأ يوم الخميس بداية سيئة. فقد اختارت سيدتان من أبرشيته أن يتشاجرا بشأن ديكورات الكنيسة، وهكذا استدعيت لأحكام بين سيدتين في أواسط عمرهما ترتعد كلتاهما غضباً بالمعنى المحرفي للكلمة. وكان من شأن تلك الظاهرة - لو لم تكن مؤلمة - أن تكون مثيرة تماماً للاهتمام. ثم أن عازف الأورغن لدينها وهو شاب بالغ الحماسية، كان يشتر بالمرح والإهانة وكان لا يد من ترضينه. وفوق ذلك أعلن أربعة من رعايا الأبرشية عصياناً مفتوحاً ضد الأنسة هارتيل التي أتت إلي وهي تتميز غبطة من ذلك.

وكنيت علي وشك المضادة إلى المنزل عندما جاءت فكتوريل بروثيرو. كان في أحسن حالات مزاجه مرحاً وقد حكم - بصفته حاكماً قضاياً - بالسجن على ثلاثة من سارفي الطيور.

وبما أنه يكاد يعاني من الصمم ويرفع صوته (شأن الصمم دائماً) فقد صاح بصوته القوي: الحزم، هذا ما نحتاجه في أيامنا هذه... الحزم؛ ليكونوا نكالا! سمعت أن ذلك الشفي، آرثر، خرج بالأمس يتوعد بالانتقام مني، ذلك الشقي الوقح! المهذنون يعيشون طويلاً كما يقول المثل. سأريه قيمة تهدده عندما أمسكه في المرة القادمة وهو يسرق طيورتي. الشراشي... نحن مترامحون جداً هذه

الأيام؟ إنني أؤمن بكشف الناس على حقيقتهم. يطلبون منك دوماً أن تتسامح مع فلان لأن له زوجة وأطفالاً. وهو هراء مطلق وسخف. لماذا يتجرأ امرئ من جريمة أعماله لمجرد انتحابه وتياكبه على زوجته وأطفاله؟ الأمر سيان عندي... وبغض النظر عن هوية المرأة: أكان طبيياً أم محامياً أم رجل دين أم سارق طيور أم مسكراً مشرداً... إن أمسكته بخرق للقانون فدع القانون يعاقبه. إنك تسفك معي، أليس كذلك؟

- لقد نسيت أن رسالتني تلزمي باحترام حفيدي هي فوق كل الصفات... وهي حيلة الرحمة.

- حسناً، ولكنني رجل عادل. ليس يوم أحد يتكاد ذلك.

لم أتكلم، فما لبث أن قال بجدّة: لماذا لا نحببني؟ أطلبني على رأيك يا رجل.

تردوت، ثم قررت الكلام فقلت: لقد كنت أفكر بأنني عندما بأنني أحلي - سيوسعني ألا يكون لدي من عذر أبذه ساعة الحساب إلا العدالة. لأن ذلك قد يعني أنه لن يكون لي من حزاء إلا العدالة وحدها...

- هاها إن ما نحتاجه هو القليل من النفسية المقاتلة. لقد كنت دوماً أُردي واجبي كما أرحو. حسناً، دعنا من ذلك كله. سأكون خارجاً هذا المساء كما قلت، وسنحمل لقاءنا في السادسة والربع بدل السادسة إن لم يكن لديك مانع، ففي القرية رجل عليّ أن أراه.

- سيناسبني ذلك تماماً.

هزّ عصبه ومضى، وحين انضمت اصطدمت بهاوز فرأيت الممرض ظاهراً عليه هذا الصباح. وكنت قد اردت تأنيبه قليلاً بشأن عدة أمور أصابها الفوضى لو تم تأجيلها ضمن المنطقة التي يشرف عليها، ولكنني عدلت عن ذلك وأنا أرى وجهه الشاحب المرهق. وقد سألته عن مرضه فأكرهه، ولكن دون حماسة. ثم اعترف أخيراً بأنه لا يشعر أنه على ما يرام، وبدأ يستعدّ لسماع نصيحتي في الذهاب إلى البيت وملازمة الفراش.

تناولت غدائي على عجل وخرجت لأجرء بعض الزيارات، وكانت غريزتنا قد ذهبت إلى لندن في القطار. ثم عدت في حوالي الرابعة إلا ربعا وفي نيتي أن أضع الحطوط العامة لموعظة يوم الأحد، ولكن ماري أخبرتني بأن السيد ريدنف يتظرني في المكتب، فذهلت لأعده بلرغ المكتب حيث ذهابا بوجه قلب يدو عليه الشحوب والإعياء. ولدي دعوتي التي تسرع فائلاً: اسمعني يا سيدي، لقد كنت أفكر حلياً بما قلته أمس، حتى إنني لم أكّد أناام في الليلة الماضية. إنك علي حق، علي أن أقطع العلاقة وأرحل بعيداً.

- يا فتاي العزيز...

- لقد كنت محققاً فيما قلته من أن، لن يسبب لها بشائني هنا إلا المتاعب. وهي... وهي أطيب من أن أعرضها لذلك. لقد اقتضت ضرورة سفري. بكفي ما بينه لها من مصاعب، ليسامحتني الله!

- أعتقد أنك اتعذرت الفرار الوحيد الممكن. أعرف أنه قرار صعب، ولكن صدقني أنه سيكون الأفضل في النهاية.

لعله رأى أنني أستهل القول إذ ليست لي بالأمر علاقة مباشرة.

وبعد بركة قال: ستعطيني بأن، أليس كذلك؟ إنها تحتاج صديقة.

- بإمكانك أن تطعن إلى أنتي سأقبل كل ما في وسعي.

ضغط على يدي وقال: أشكرك يا سيدي، إليك رحيل صديق.
سأذهب لوداعها هذا المساء، وربما أحزم أمتعتي وأسافر غداً لا
فائدة من إطالة العذاب. شكراً على إعطائي صديقة حديتكم لأرسم
فيها، وأسف لأنني لم أكمل رسم السيدة كليمنت.

- لا تقلق لذلك يا فتاي العزيز. مع السلامة، ولبحفظك الله.

حاولت بعد ذهابه الانكباب على موعظتي ولكن فوجئت
فقد بقيت أفكر في لورنس وأن برونيرو. ثم تناولت فنجاناً من الشاي
البارد الأسود الذي لا يكاثر بشرب، وفي الساعة الخامسة والنصف
رأى حرس الهاتف، حيث أبحث أن السيد أيوث من سكان لاورغرام
في التزع الأخير وأن أهله يتأشدونني الذهاب فوراً لأشهد موته.

حاولت الاتصال مباشرة بالكونتويل برونيرو في أولد هول لأن
المنطقة التي سأذهب إليها تبعد نحو ميلين، ربما أنني سأذهب
وأعود مشياً على قدمي لأنني لم أتحج قط في تعلم ركوب الدراجة
فلن أتمكن من العودة في الساعة السادسة والرابع. ولكن قيل لي إن
الكونتويل قد غادر ثروه بسيارته، وهكذا غادرت بعد أن تركت مع
ماري تحراً بأنني استعيت لمنطقة بعيدة، وأنني سأحاول العودة في
السادسة والنصف أو بعدها بقليل.

* * *

الفصل الخامس

عندما وصلت بوابة بيتي لدى عودتي كانت الساعة أقرب إلى
الساعة منها إلى السادسة والنصف. وقبل أن أقرب من البوابة
فجئت فجأة وخرج منها لورنس ريدنغ. توقف مشوهاً عند رؤيتي،
ولفت نظره انتباهي على الفور، فقد بدا وكأنه على شفا الجنون...
حدثت عنها بشكل غريب، وكان يرتعد شاحباً شحوب الموني.

سألت للحظة إن كان قد شرب شيئاً، ولكنني ما لبثت أن
استعدت الفكرة، وقلت له: مرحباً، أبحث لثرائي نالبة؟ أسف
لأنني كنت محارحاً. ما ندعل، فعلني أن أهابل الكونتويل برونيرو
بشأن بعض الحسابات... ولكننا لن نتأخر على الأرجح.

- برونيرو...

قال ذلك وبدأ يضحك، ثم أكمل: برونيرو؟ أوسوف ترى
برونيرو؟ لوه، ستري برونيرو دون شك! أوه، يا إلهي... نعم.

حدثت فيه ومددت يدي لاشعورياً إليه فاجعل جانباً بحدة
وقال بشكل أقرب إلى الصياح: "كلا... علي أن أذهب... علي أن

أفكر... يجب أن أفكر". ثم انطلق راكضاً، وسرعان ما اختفى في نهاية الطريق المنحدر إلى القرية وقد تركني أمدق خلفه وقد عاودتني فكرة الشكر. وأخيراً هزرت رأسي ودخنت.

نحن نترك الباب الأمامي مفتوحاً دائماً، ولكنني قرعت الحرس مع ذلك، فجاءت ماري وهي تنشف يديها بمسحوق المطبخ وقالت: ما قد عدت أنتيراً.

- هل الكولونيل بروثيرو هنا؟

- إنه في المكتب، وقد وصل منذ السادسة والربع.

- وأنت سيد ريدنج كان هنا أيضاً؟

- جاء قبل بضع دقائق وسأل عنك. قلت له إنك على وشك العودة وإن الكولونيل بروثيرو ينتظر في المكتب، فقال إنه سينتظر هو الآخر. إنه هناك الآن.

- لا، ليس هناك. لقد تنفبه لثوي مازلاً في الطريق.

- حسناً، لم أسمع به مخرج. لم يمكث -إذن- أكثر من دقيقتين. أما السيدة فلم تعد من المدينة بعد.

أومات برأسي وأنا شارد الفهم، وعادت ماري باتجاه المطبخ فيما مضيت أنا في الممر وفتحت باب المكتب. وبعد ظنمة الممر انبهرت عيناى ومرفتا من ضوء الأصيل النامر الذي يملأ الغرفة. مشيت خطوة أو اثنتين للتأجل ثم وقفت جامداً... لم أكذ أستطيع للملاحظات استيعاب المشهد أمام عيني!

كان الكولونيل بروثيرو ممدداً فوق مكثي بشكل رهيب غير طبيعي مفتوح الذراعين والرجلين. وكانت نمة بركة صغيرة من سائل قائم قرب رأسه على المكتب، وكان السائل ينقط ببطء على الأرض بإيقاع رهيب: "لق، لق، لق...". فمالكت نفسي وتقدمت منه. كان حنله بارد للمس، وفيد التي رفعتها هوت ثانية لا حياة فيها. كان الرجل ميتاً... بطلقة في رأسه.

ذهبت إلى الباب وناديت ماري. وعندما جاءت أمرتها أن تركض بأقصى سرعتها وتحضر الدكتور هيدوك الذي يسكن عند منعطف الطريق تماماً. قلت لها إن حادثاً قد وقع، ثم عدت وأغلقت الباب لأنتظر قدوم الطبيب. وقد وجدته ماري في بيته لحسن الحظ. والدكتور هيدوك رجل ضخم الجسم حلو المشعر ذو وجه واضح القسمات يوحى بالنزاهة. ارتفع حاجباه عندما أشرت بصمت إلى الطرف الأيسر من الغرفة، ولكن لم يذ منه - كأني طبيب حقيقي - أية بوادر عاطفية. الحنى فوق الميت يفحصه بسرعة، ثم اعتدل ونظر إليّ فقلت: حسناً؟

- إنه ميت... أظنه مات منذ نصف ساعة.

- أهو انتحلو؟

- مشحلي يا رجل، انظر إلى موقع الحرح. وفوق ذلك، إن كان قد أطلق النار على نفسه فأين السلاح؟

هذا صحيح فعلاً، لم يكن من أثر لشيء من هذا القبيل. قال هيدوك: الأفضل ألا نبحث بأي شيء. فلانصل بالشرطة.

رفع سماعة الهاتف وتكلم مع مركز الشرطة معطياً لمعلومات
بأكبر قدر من الانتصاب، ثم وضع السماعة وجاء إلى حيث أجلس
قائلاً: إنه عمل قذر. كيف عثرت عليه؟

شرحت له ثم سأله بصوت واهن: أمني جريمة قتل؟

- هكذا يبدو الأمر. أعني: ما عساه تكون غير ذلك؟ أمر
غريب. أتساءل من يا ترى يحمل عبءه للمحور المسكين. أعرف
طبعاً أنه لم يكن يحظى بشعبية، ولكن الناس لا تقتل عادة لشيء
المسبب... يا له من حظ عاثر.

- يوجد أمر غريب نوعاً ما، لقد فلقبت اتصالاً هاتفياً عصر
اليوم لأذهب لرؤية رجل في صكرات الموت، وعندما وصلت إلى
بيته ذهبت الجميع لرؤيتي. كان الرجل المريض أفضل حالاً بكثير مما
كان عليه في الأيام الماضية، وقد أنكرت زوجته تماماً أنها اتصلت بي.

فقط همدوك صاحب وقال: هذا أمر غريب مفرى عميق... حدث.
لقد تم إيهائك عن الطريق. أين روحك؟

- ذهبت إلى لندن لقضاء هذا اليوم.

- والعبادة؟

- في المطبخ... في الحاسب الأخر من طيب تماماً.

- حيث لا يُحتمل أن نسمع شيئاً مما يدور هنا. نعم، إنه أمر
قذر. من كان يعرف أن بروتيرو قادم إليك هنا هذا المساء؟

- لقد أشار إلى ذلك صباح اليوم في شارع القرية بالمعنى

صوته كما هي عادته.

- أتعني أن القرية بأسرها تعرف؟ هذا هو الأمر المعتقد على
أية حال. أعرف أحداً يحمل له ضحية؟

عطرت في ذهني صورة وجه لورنس رينفغ الشاحب وعينه
الذهبتين. ولكن حيلة الأقدام المبرعة في الصبر وفرت علي حرج
الإجابة. نهض صديقي قائلاً: الشرطة.

وصل الشرطي هيرست الذي بدا شديد الاهتمام رغم مسحة
من القلق على محياه، وحبانا قائلاً: مساء الخير أيها السادة، سيكون
المفتش هنا في الحال، وسأبقي تعليقاته ربما يصل. فهمت أن
شكوليليل بروتيرو قد وجد مطلقاً عليه لرحاص... في بيت الكاهن.

سكت ثم وجه إلي نظرة شك باردة حاولت أن أقابلها بما
يتناسب من سمات البراعة الواعية، وبعد ذلك انتقل إلى المكعب قائلاً:
ينبغي عدم لمس شيء حتى مجيء المفتش.

أمرج الشرطي دفتر ملاحظاته، وأمسك قلمه، ونظر إلينا
بقرب. أعدت عليه قصة اكتشافي للحققة، وعندما سجلها كلها - الأمر
الذي استغرق الكثير من الوقت - ففقت إلى الطبيب وقال: ماذا كان
سبب الوفاة برأيك يا دكتور؟

- طلقه في قرنس من مسافة قريبة.

- وما هو السلاح؟

- لا أستطيع الحزم بذلك قبل استعراج لرحاصه، ولكنني أرجح

أن تكون رصاصة من مسدس ذي عيار صغير... ملوَّزاً ٢٥ مثلاً.

حدثت إذ تذكرت حديثنا في الليلة الماضية، واعتراف لورنس ويدبح بشأن المسدس. التفتت الشرطي إليّ بعينه مليكة التي تشبه عين السمكة وقال: هل قلت شيئاً يا سيدي؟

هرزت رأسي بالنفي، إذ أن الأفكار التي تراودني لا تعدو أن تكون مجرد شكوك، ولذلك فالأفضل ألا أبوح بهذا. قال الشرطي مخاطباً الطبيب: متى حدثت الحادثة برأيك؟

تردد الطبيب قليلاً قبل الإجابة ثم قال: أظن أن الرجل قد توفي قبل نحو نصف ساعة، وليس أكثر من ذلك بالتأكيد.

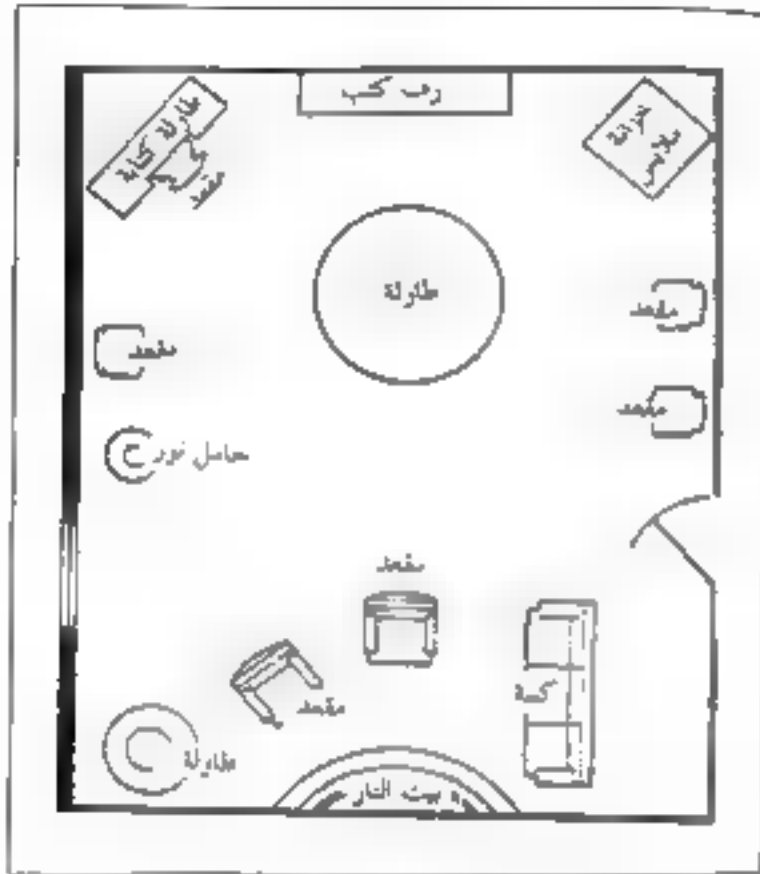
التفت هيرست إليّ وقال: هل سمعت الفتاة شيئاً؟

- لا أظن، لكن من الأفضل أن نسألها. عبر أن المفتش سلاك وحصل في هذه الملاحظة قادماً بالسيارة من منش بينهما على بعد مئتين.

ولكن كانت كلمة سلاك في لغتنا تعني الرنخ أو المترهل كسلاً فإن أفضل ما أستطيع وصف المفتش به هو أنه كان أبعد ما يكون عن معاني اسمه. كان رجلاً أسمر لا يهدأ، يادي النشاط، ذا عيني سوداوين تلسعار المرء بتفكيرهما الحادة طوال الوقت، وكان أسلوب تصرفه وقحاً وسلطياً إلى أبعد حد.

رد عني تحيُّناً بإيماءة منفضية وأخذ دفتر ملاحظات مرؤوسه فقرأ بإمعان وتبادل معه بعض الكلمات المقنضية بصوت منخفض ثم ذهب إلى الحجة فارتلاً: أحسب أن كل شيء قد تم البحث به وتحريره.

(ولفائدة قرأتني فإنني أضع هنا تخطيطاً لرفة مكتبي)



قال هيدوك: ثم أجلس شيئاً.

وقلت: وأنا كذلك.

تشغل المفتش لبعض الوقت متكباً يفحص الأشياء على المكتب ويحقق في بقعة الدم الكبيرة، ثم ما لبث أن قال بلهجة المتعصر: أه!

ها فد وجدنا ما نريده. ساعة الحافظ وقعت لدى سقوطه فترقت.
سبلنا ذلك على وقت وقوع الجريمة... الساعة السادسة والتين
وعشرين دقيقة. منى قلت إن الجريمة قد وقعت يا دكتور؟

- قلت إنها وقعت قبل نصف ساعة، ولكن...

نظر المفتش إلى ساعته وقال: الساعة وخمس دقائق. وقد
تلقيت البلاغ قبل نحو عشر دقائق، في الساعة السابعة إلا خمس
دقائق. وكان اكتشاف الجثة في حوالي الساعة إلا ربعاً، فهمت أنك
حضرت في الحال تقريباً. لنقل أنك فحصت الجثة في الساعة إلا
عشر دقائق... إن ذلك يكاد يتطابق تماماً بالدقيقة والثانية.

قال الطبيب: أنا لا أضمن الوقت بشئ مطلق. إنه تخمين تقريبي.

- إنه تخمين ممتاز... تخمين ممتاز.

كنت أحاول التذلل بكلمة فقلت: فيما يخص الساعة...

فأصغى المفتش قائلاً: اسمح لي يا سيدي، سأسألك أية أسئلة
أريد معرفتها. الوقت قصير... ما أريده هو الصمت المطلق.

- نعم، ولكنني أود أن أعبرك...

قاطعتني المفتش مرة أخرى - وهو يحذف بي بشراسة - قائلاً:
"الصمت المطلق"، فأجيبته إلى طلبه.

كان ما يزال منكياً على المكتب بفحصه، ثم دمدم قائلاً: ما
الذي دعاه للحلوس هنا؟ أكان يريد كتابة ملاحظة ما؟ هل... ما هذا؟

رفع ورقة ملاحظات بنشوء المتصرف، وبدأ قرحاً بما اكتشفه
إلى الجسد الذي دفننا إلى لتقرب منه لفحصها معه.

كانت ورقة ملاحظات مأخوذة من دفتر ملاحظاتي، وقد كُتب
في أعلاها رقم يشير إلى الساعة: ٦.٢٠

وتبدأ الرسالة على النحو التالي: "عزيزي كلبنت، أسف لأنني
لا أستطيع الانتظار أكثر، ولكن علي أن..."، ثم تتوقف الكتابة بعد
ذلك تاركة خطأ طويلاً لا معنى له.

قال المفتش بنشوة: هذا أوضح من شمس النهار، فقد جلس
هنا ليكتب هذه الورقة، فأتاه بهدوء علو له من خلال الباب الزجاجي
وأطلق عليه النار وهو يكتب. ماذا تريدون أكثر من ذلك؟

شرعت أقول: أود - فقط - القول إن...

فقاطعتني فوراً: أبدأ، من فضلك يا سيدي... أريد أن أوي إن
كانت نوحاً آثار لأقدام.

انكب على يديه وركبتيه وأخذ يحبو باتجاه الباب الزجاجي،
قلت له جناد: أظن أن عليك أن تعرف...

نهض المفتش وتكلم بحزم ولكن دون انفعال: سنأتي على
كل ذلك فيما بعد. سأكون ممتاز إن خرجتم من هنا أيها السادة.
أفرغوا غرفة المكتب جميعاً رجاء.

وهكذا سمحنا لأنفسنا بأن نخرج من الغرفة كالأطفال.

بدأ وكان ساعات قد مرت، ومع ذلك لم تكن الساعة قد

تجاوزت الساعة والرابع. قال هيمرلوك: حسناً، يكفي هذا. عندما يحتاجني ذلك المعمار المفرور بوسعكم لرسالة إلى القيادة. وداعاً.

جاءت ماري من المطبخ وقالت وعيناها منورتان تتفحصان انفعالاً: لقد عمادت سيدتي... دعيت منذ نحو خمس دقائق.

الفصل السادس

جلسنا لبعض الوقت نفكر حائرَيْن بمسألة الساعة تلك دون أن نصل إلى نتيجة.

قالت غريزelda إن عليّ أن أبدأ جهداً أعمر لإبلاغ المفتش سلاك بالأمر، ولكني كنت أحس في تلك اللحظة بشيء الحرج إلى عند البغال؛ فلقد كان المفتش سلاك وقحاً إلى حد بعيد دون أي داعٍ لذلك. وكنت أنطلق إلى لحظة أستطلع فيها إبراز معلوماتي القيمة وإزعاجه بها. ومن شأني وأنا أن أقول له بلهجة لا تملو من نأنيب: كوا أنك أصبحت لي لفظ ابها المفتش...

توفعت أن يتحدث إليّ قبل مغادرة المنزل على الأقل، ولكننا جلسنا من ماري -لعمري- أنه قد غادر بعدما قفل باب غرفة المكتب وأصدر أوامره بالآبحارل أحد دخولها.

اقترحت غريزelda أن نذهب إلى أولد هول قاتلة: سيكون الأمر ظليماً بالنسبة لأن بروثيرو مع وجود الشرطة وغير ذلك، ربما استطعت تقديم شيء من المساعدة لها.

رحبت بتلك الفكرة وانطلقت غريزelda بعد أن أوصيتها بأن

وجدت غريزelda في غرفة الطلوس. بدت خائفة رغم شعورها بالإثارة، وأخبرتها بكل شيء فيما هي تنصت بكل اهتمام. ثم أنهيت قصتي قاتلاً: سُحِلَت الساعة في أعلى الرملة على أنها ٦.٢٠، وقد وقعت ساعة الحائط وتوقفت عند الساعة ٦.٢٢.

- نعم، ولكن ألم أخبره أنا كما نضبط ساعة الحائط تلك بحيث تكون متقدمة يوماً ربع ساعة عن الوقت الحقيقي؟

- لا، لم أخبره. إنه لم يترك لي مجالاً لذلك، رغم كل محاولاتي.

عبست غريزelda حائرة ثم قالت: ولكن اسمع يا لين، إن ذلك يجعل الأمر كله غريباً جداً؛ فعندما أشارت تلك الساعة إلى السادسة والثلاث لم تكن الساعة في الواقع إلا السادسة وخمس دقائق. وفي السادسة وخمس دقائق لا أحسب أن الكولونيل بروثيرو كان قد وصل إلى البيت أساساً!

* * *

تصل بي إن رأت أن وجودي يمكن أن يشكل عذاء أو راحة لزوجته بروتير أو ابنته.

كان دينيس هو التالي في الوصول إلى موقع الأحداث عاتداً من مباراة تنس. وهذا لأن وقوع العربة في بيشا قد أثار ارتياحه الشديد؛ فقد هتف قائلاً: تخيل وجودنا في مركز الأحداث في لحظة قتل! لقد كنت أرغب دوماً في أن أكون في مثل هذه الجمعية. لماذا أقفل الشرطة باب المكتب؟ ألا يمكن أن يفتح بأي مفتاح آخر؟

رفضت السماح له بمثل هذه المحاولة، وقد أذعن بامتناء لذلك. وبعدما ألح جنني أخذ كل التفاصيل الممكنة عن الحادث عرج إلى الحديقة باحثاً عن آثار الأقدام وهو يعلق بمرح قائلاً إن من حسن الحظ أن يكون القتل هو بروتير والذي يكرهه الجميع. وقد أزعجني بلادة حبه وابتهاجه؛ ولكنني فكرت بأنني ربما كنت أفسر على الثاني في مثل عمر دينيس أكون النقص البوليسية أنفسي ما يفرح، ولا بد لأي فتى طبعي - إذا ما وجد قصة بوليسية حقيقية تنظره على عتبة بيته إذا صح التعبير - من أن يبلغ فرحه عنان السماء. إنه الموت لا يعني الشيء الكثير لصبي في السادسة عشرة من عمره.

عادت غريزelda بعد نحو ساعة. وقد رأت أن بروتير هناك بعد تلقيها النبأ من المفتش الذي غادر البيت بعدما سمع أن السيدة بروتير قد رأت زوجها آخر مرة في القرية عند الساعة السادسة إلا ربعا تقريباً وأنها لا تمتلك أية معلومات قد تلقي الضوء على القضية، وقال المفتش إنه سيعود في اليوم التالي لإجراء تحقيق أوسع.

قالت غريزelda متبرمة: كان نزيهاً تماماً في تعامله.

سألتها: وكيف تلقت السيدة بروتير الأمر؟

- حسناً... كانت عادية تماماً ولكنها هادئة دوماً.

- نعم، إنني لا أستطيع تخيل أن بروتير وهي تصاب بتوهبات هستيريا مثلاً.

- كان الأمر صدمة كبيرة لها بالطبع. برسع المرء رؤية ذلك. وقد شكرتني على حضوري وقالت إنها ممتة جداً وأنه لا يوجد ما يمكنني تقديمه.

- وماذا عن ليتيس؟

- كانت في الخارج تلعب التنس في مكان ماء ولم تكن قد عادت - بعد - إلى البيت.

توفيت لحظة ثم قالت: أندري بالين، لقد كانت حفاً هادئة جداً... أمر غريب فعلاً.

- ربما كان ذلك من الصدمة.

- نعم... أظن ذلك. ومع ذلك...

قطعت حاجبها خائفة وأضافت: لم يذُ الأمر كملكك على نحو ما. لم يذُ مصدومة ذاهلة يقتل ما يدمت... بقدر ما بدت مرعوبة.

- مرعوبة؟

- نعم، ولكن دون أن تظهر ذلك... أو أنها لم تفقد إظهاره. ولكن نظرة غريبة محترمة بدت في عينيها. أنساءل إن كانت لديها

أية فكرة عمّن قطع. سألت مراراً إن كانت توجد شبهات حول أحد.

قلت تماماً: حقاً؟

- نعم. إن أن تتمتع -طبعاً- بقدر عالٍ من ضبط النفس، ولكن بوصف المرأة أن تلاحظ أنها كانت مزعجة جداً. مزعجة أكثر مما كنت أتخيل، فهي في نهاية الأمر لم تكن متعلقة به إلى ذلك الحد. بل إنني لأكاد أقول إنها كانت تكرهه.

- الموت يبدل مشاعر المرأة أحياناً.

- نعم، أظنه كذلك.

دخل ديبس في غابة الانفعال لتزوره على آثار قدم في مسكة الزهور، وكان وثاقاً من أن الشرطة قد أغفلوها وأنها متشكل نقطة تحول في حياتها.

أمضيت ليلة مزعجة. وقد نهض ديبس مبكراً غطاف بالمنزل ودار حول قبل موعد الإفطار بزمس طويل، وذلك لغرامة آخبر التطورات على حد قوله. ومع ذلك فقد كانت ماري -وليس هو- من أبلغها بالحير الصباحي المبكر. كما قد حطمتنا ففونا لتناول الإفطار عندما اندفعت بقوة إلى المرفقة وحاطتنا بما هو دأبها من الاعتماد على المرسيات! أتصدقون ذلك؟ لقد أعبرني الحياز الآن... لقد اعتقلوا السيد ريدنج.

صاحت غريزelda غير مصدقة: اعتقلوا لوردس؟ مستحيل! لا بد أنها غاطة سخيفة.

قالت ماري بانفعال المنتهي: لا غلط في الأمر يا سيدتي! فقد

ذهب السيد ريدنج إليهم بنفسه وسلم نفسه. ذهب إليهم مباشرة ورمى المسند على الطاولة وقال: "أنا فعلتها". هكذا بكل بساطة!

نظرت إلينا نحن الإثني وهزت رأسها بتأكيد قوي ثم انسحبت مقتنعة بما تركته فيها من أثر. حلقنا أنا وغريزelda كل منا بالأسير، ثم قالت غريزelda: أوه! هذا ليس صحيحاً. لا يمكن أن يكون صحيحاً.

لاحظت صمتي فقالت: لين، لا أظنك ترى ذلك صحيحاً؟

لم أحد الإجابة سهلة فطلست صامتاً والأفكار تحول في رأسي. قالت غريزelda: لا بد أنه محنون... محنون تماماً. أم لظنهما كانا بنظرنا إلى المسند فانطلقت منه رصاصة فجأة؟

- هذا لا يبدو أمراً محتمل المحنوت أبداً.

- ولكن لا بد أنه كان حادثاً عرضياً ما إذا لا يوجد أي دافع مطلقاً. لماذا تقدم لورنس على قتل الكارلونييل برونيرو بالله عليك؟

كان بوسعي أن أحجب عن هذا السؤال بكل حزم، ولكنني رغبت في صيانة مسحة أن برونيرو غير الإمكان، فربما كانت لديها فرصة لبقاء اسمها خارج الموضوع. ولذلك قلت: تذكرني أنهما سن ونشاهرا.

- بشأن ليهيس وملابس السباحة. نعم، ولكن فليك قضية ناهية. وحتى لو كان هو وليهيس معطوبين صرا... إن ذلك لا يشكل سبباً لقتل أيها.

- إننا لا نعرف ما هي الحقائق الفعلية للقضية يا غريزelda.

- إنك تصدق ذلك فعلاً يا لين! أوه... كيف تصدق ذلك؟!
إنني والقة أن لورنس لم يمس شعرة في رأس الرجل.

- تذكرني أنني رأيته خارج البوابة تماماً، وبدا كرجل محزون.
- نعم، ولكن... أوه! مستحيل.

- ثم إن هناك مسألة الساعة أيضاً، وهي تلقي بذلك تفسيراً.
لا بد أن لورنس أعاد عفاها لتشير إلى الساعة والتفت على أمل
أن يجد نفسه دليل غياب عن مكان الجريمة لحظة وقوعها. انظري
كيف وقع المفتش سلاك في المصيدة.

- أنت معطى يا لين، فقد كان لورنس يعرف بأمر تقديم
تلك الساعة. وقد اعتاد المذول أن ذلك "لإبقاء الكاهن دقيق
المواعيد". ما كان لورنس ليرتكب أهدأ غلطة لإدخال العقارب إلى
الساعة ٦.٢٢. كان من شأنه - لو صح ذلك - أن يضع العقارب
بحيث تشير إلى زمن مناسب... كالساعة إلا ربعاً مثلاً.

- ربما لم يكن يعرف متى وصل بروثير إلى هنا، أو ربما
نسي ببساطة أن الساعة تزيد ربع ساعة عن الزمن الحقيقي.

عارضتني غريزelda قائلة: كلا، لو كنت ترتكب جريمة قتل فلا
بد أن تكون حريصاً جداً على أمور كهذه.

- لا يمكنك المحرم يا عزيزتي، فلم يسبق لك ارتكاب جريمة قتل
وقبل أن نستطيع غريزelda الإجابة وقع عيال على طقولة الإغطار
وجاءنا صوت بالغ اللطف يقول: أرجو ألا يكون وجودي تطفلاً...

اعذرتني، ولكن في مثل هذه الظروف المحزنة... المحزنة جداً...

كانت تلك حارتنا، الأنسة ماريل، التي تقيت نفها لوجود أي
إزعاج ودخلت من خلال الباب الزجاجي حيث سحبت لها كرسيًا.
بدت متوردة الوجه قليلاً ومنقطعة تماماً. مضت قائلة: أليس ذلك أمراً
خطيئاً جداً؟ الكولونيل بروثيرو المسكين. صحيح أنه قد لا يكون
رجلاً بالغ اللطف، أو ذا شجيرة، ولكن ذلك لا يقلل من الحزن شيئاً.
وقد قتل عملياً في مكبة ليهت كما فهمت؟

قلت لها إن ذلك هو ما حصل بالفعل، فسألت الأنسة ماريل
غريزelda: والكاهن العزيز لم يكن هنا وقتها؟

شرحت لها أيسر كنت، فسألت وهي تنظر حولها: والسيد
دينيس ليس معكم هذا الصباح؟

أجابت غريزelda: إن دينيس يتجول نفسه رجل نحر هادياً. إنه
منفعل كثيراً لأثار عدم رجليها في إحدى مسابك الأزهار، وألفه
ذهب ليجر الشرطة عنها.

قلت الأنسة ماريل: يا عزيزتي... لا شك أنها كانت معمة
متعبة، أليس كذلك؟ والسيد دينيس يظن أنه يعرف من ارتكب
الجريمة. حسناً، أظن أننا جميعاً نرى أننا نعرف ذلك.

سألتها غريزelda: أتعين أن الأمر واضح؟

- أوه يا عزيزتي، كلا. ثم لقد ذلك أهدأ. ولكنني أظن أن
كل امرئ يظن أن قاتل شخصاً مختلفاً، ولذلك من المهم وجود أدلة.
أنا مثلاً مقتنعة تماماً بأنني أعرف من فعلها، ولكنني لا أملك أي دليل

مهما صغر. أعترف أن على المرء أن يكون بالغ الحرص فيما يقوله في زمن كهذا... إنهم يسمون مثل هذا الكلام تشهيراً جنائياً، أليس كذلك؟ فقد قررت أن أكون في منتهى الحرص مع المفتش سلاك. لقد أرسل يقول إنه سيأتي لرؤيتي هذا الصباح، ولكنه اتصل قبل قليل ليخبرني إن ذلك لم يعد ضرورياً.

قلت: أظن أنه لم يعد ضرورياً بعد الاعتقال.

انجست الأنسة ماريل إلى الأمام وقد تورد عدداً وقالت: الاعتقال؟ لم أعرف إن أحداً قد اعتقل.

من النادر جداً أن تكون الأنسة ماريل أقلّ من اطلاعاً بحيث أنسى سمعت جدلاً بأنها كانت على عقم بأخر التطورات. قلت لها: يبدو أنك لم تسمعي بعد. نعم، حدث اعتقال... اعتقال لورنس ويدنغ.

- لورنس ويدنغ؟

بدت الأنسة ماريل مندهشة جداً، ثم قالت: ما كنت لأظن...

فاطمتها غريزلدا بحماسة قائلة: لا أستطيع تصديق ذلك حتى الآن. كلا، رغم اعترافه الفعلي.

- اعترافه؟ أتقولين إنه اعترف؟ أوه! يا إلهي، إنني أرى الآن أنني كنت في حيرة شديدة... نعم، كنت في غاية الاضطراب.

قالت غريزلدا: لا أملك إلا الشعور بأن الأمر كان حقاً شاكاً - جاداً ما. ألا ترى ذلك يا لين؟ أعني أن ذهابه لتسليم نفسه بهذا الشكل يوحي بذلك.

ماقت الأنسة ماريل إلى الأمام بلهفة وقالت: أتقولين إنه سلم نفسه؟

- نعم.

تهدمت الأنسة ماريل بعنف وقالت: أوه! إنني سعيدة جداً.

نظرت إليها بشيء من الدهشة وقالت: أظن أن ذلك يُظهر حالة عدم حفيظة.

قالت الأنسة ماريل مندهشة بالغة: نعم؟ أوه، ولكن من المؤكد يا عزيزي الكاهن أنك لا تفهم مذهباً.

جاء الآن دوري بالدهشة وقالت: ولكن طالما أنه اعترف...

- نعم، ولكن ذلك لا يعني أن يثبت الأمر، أليس كذلك؟ أعني أن ذلك يثبت أن لا علاقة له بالحرية.

قلت: قد أكون غيباً، ولكنني لا أرى كيف يمكن لاعترافه أن يثبت ذلك. ما لم يرتكب المرء جريمة فما الذي يدفعه للتظاهر بارتكابها؟

- أوه، يوجد سبب بالطبع! أمر طبيعي... يوجد دوماً سبب. والشباب سريع الانفعال، ويميلون دوماً لتصديق أسوأ الاحتمالات.

ثم التفتت إلى غريزلدا وقالت: ألا تتفقين معي يا عزيزتي؟

- إنني... إنني لا أحري. من الصعب أن يعرف المرء بماذا يفكر. لا أرى أي سبب يدفع لورنس للتصرف بعمل هذه البلاهة.

شرعت أقول: لو أنك رأيت وجهه مساء أمس...

قالت الأنسة ماريل: أخبرني عن ذلك.

وصفت لها عودتي إلى البيت وهي مصغية بكل انتباه، وعندما أكملت قالت: أعلم أنني كثيراً ما أكون شديدة الحماقة ولا أشتوي الأمور كما ينبغي، ولكنني حقاً لا أفهم ما الذي تقصده. يبدو لي أنه إذا ما حزم شاب أمره وغرر الإقدام على فعله شريفة بمستوى قتل نفس بشرية فإنه لن يبدو بعد ذلك شارده الذهن ناتهاً من فعلته. من شأن تلك الفعلة أن تكون تصرفاً تم التخطيط له مسبقاً وارتيكابه بأعصاب يارفة، ورغم أن من المحتمل أن يصاب المثاقيل بارتباك ربما أدى إلى عطاء بسيط، إلا أنني لا أظن أن من شأنه أن يصاب بحالة انفعال شديد كالتي ذكرتها. ورغم أن من الصعب تمثيل ذلك الموقف، إلا أنني لا أستطيع تصور نفسي -أنا شخصياً- أصاب بمثل تلك الحالة.

قلت مسامحاً: ولكننا لا نعرف ظروف الحادث. فلو وقع شعار -مثلاً- لكان من المحتمل أن تُنطق رسالة في نوبة غضب مفاجئة، وربما شعر لورنس بعدها بهول ما أقدم عليه. والحقيقة أنني أفضل الاعتقاد بأن هذا هو ما حدث فعلاً.

- أعلم يا عزيزي السيد كلمنت أن هناك العديد من الطرق التي تفضل النظر من خلالها إلى الأمور، ولكن على العموم أن يأخذ الحقائق كما هي، وليس كذلك؟ ولا يبدو لي أن الحقائق تحتل التفسير الذي حملتها إياه. لقد أكدت بحادثكم جازمة أن السيد ريدنج لم يمكث في البيت أكثر من دقيقتين، وهو وقت لا يكفي

بالتأكيد لنشوب مشاجرة كالتي تصفها. وفوق ذلك فقد فهمت أن هار قد أطلقت على الكولونيل من مؤخرة رأسه وهو يكسب رسالة... هنا على الأقل ما أخبرني به عاصمي.

قالت غريزelda: هنا صحيح. يبدو أنه كان يكسب ملاحظة يقول فيها إنه لا يستطيع المضي في الاكتظار. وقد وضع الوقت في أعلى الرسالة على أنه ٦،٢٠، والساعة التي وقعت توقفت عند الساعة ٦،٢٢، وهذا ما كنا -أنا ولين- محنازين بشأنه نضرب أحصائاً في أنفسنا.

ثم شرحت عادتنا في إبقاء الساعة متقدمة ربع ساعة عن الزمن الحقيقي، فقالت الأنسة ماريل: أمر غريب جداً. إنه حقاً أمر غريب. ولكن الرسالة ما تزال بالنسبة لي أكثر غرابة. أعني...

توقفت وانضت. كانت لينيس بروشرو تقف بحارج الباب الزجاجي. دعيت وهي ترمي برأسها وتقول: صباح الخير. ثم ألقت بنفسها على كرسي وقالت بحبوبة أكثر من المعتاد: سمعت أنهم استولوا لورنس.

قالت غريزelda: نعم، كانت تلك صدمة كبيرة لنا.

قالت لينيس: ما كنت أظن حقاً أن من شأن أحد أن يقتل أبي.

بدأت واضحة أنها تباهي بعدم مسامحتها لأي مظهر من مظاهر الحزن أو العاطفة أن يظهر عليها. أكملت تقول: رغم أنني وثقة أن الكثيرين لو ادوا قتله... بل لقد مرت أوقات اتأبنت فيها أنا شخصياً مثل هذه الرغبة.

سألته غريزدا: ألا فأكلين أو نشرين شيئاً يا ليتيس؟

- كلا، شكرًا. لقد مررت لأرى إن كانت قبعتي عندكم هنا. إنها قبعة صغيرة صفراء غريبة الشكل. أظنني تركتها في المكتب بالأمس.

- إن كنت تركتها فهي ما تزال هناك؛ فعلمي لا تترقب شيئاً.

قالت ليتيس وهي تنهض: سأذهب لأرى. أسفة لإزعاجكم، ولكن يبدو أنني أضعت كل قبعتي.

تدخلت قائلاً: أظنني أن لا يكون بوسعك أخذها الآن؛ فقد أقفل المكنس سلاك الغرفة.

- آو، يا للإزعاج! ألا نستطيع الدخول من الباب الزجاجي؟

- لا أظن ذلك... لقد أقفل من الداخل. ولكن من المؤكد - يا ليتيس - أن قبعة صفراء لن تكون مناسبة في الوقت الحاضر.

- أتعني الحداد وما إلى ذلك؟ لن أهتم للحداد؛ فأنا أراه فكرة قديمة جداً. ولكن أمر لورنس مزعج... نعم، إنه مزعج.

نهضت ووقفت عابسة شاردة اللون، ثم قالت: أحسب أن كل ذلك كان بسببي وبسبب ملابس سباحتي. الأمر كله سيئ جداً...

فتحت غريزدا فمها كمن يريد الكلام، ولكنها عادت وأغلقت فمها لسبب غير معروف. ارتسمت ابتسامة غريبة على وجه ليتيس وقالت: أظنني سأذهب إلى البيت وأخبر أن بنياً إلقاء القبض على لورنس. ثم عرجت من الباب الزجاجي مرة أخرى، فالتفتت غريزدا إلى الأنسة ماربل وقالت: لماذا دُست على قدمي؟

ابتسمت لمعجوز وقالت: فلتتلك تروبدن قول شيء يا عزيزتي، وغالباً ما يكون من الأفضل كثيراً ترك الأمور تتطور من تلقاء نفسها. لا أحسب أبداً أن هذه الفتاة مشوشة تقشقر إلى التلقة كما تظاهرو. إن قبي رأسها فكرة محددة تماماً، وهي تمثل لإعفائها.

طرقت ماري بشدة على باب غرفة الطعام ثم دخلت مباشرة، ففعلت غريزدا: ما الأمر؟ ينبغي أن نتذكر يا ماري أن لا تطرفني الأبواب بهذا الشكل، ألم أوصيك بذلك من قبل؟

قالت ماري: فلتت أنكم ربما كنتم متشغلين. الكولونيل ميلشيت موجود هنا ويريد رؤية سيدي.

الكولونيل ميلشيت هو رئيس الشرطة في مقاطعتنا. ولذا فقد نهضت فوراً ومضت ماري قائلة: حسب أنكم لن ترغبوا في أن أتركه في الصلاة، ولذلك أدخلته غرفة الجلوس. هل أنظف المائدة؟

- كلا، ليس بعد. سأفرغ لك الجرس عندما تنتهي.

ثم التفتت إلى الأنسة ماربل فيما غادرت أنا الغرفة.

الفصل السابع

الكولونيل ميكشيت رجل ضئيل الجسم وخفيف الحركة من عادته أن يُصدر شعيراً مفاجئاً على غير توقع. وهو كقوسر أحمر وعينين زرقاوين لا معنى لا تقصيهما الحقة. ياخري قائلا: صاح شعير أبها الكاهن. عملية قسرة، ليس كذلك؟ ممكن ذلك الرجل. وحده لا يعني أنني كنت أحبه، أنا لم أحبه، بل إن أحداً لم يحبه. وهو أمر مخرج قدر بالثقة لك أيضاً. أوجو ألا يكون قد أخرج زوجته.

قلت له إنه غريبك واحتمت الموقف بشكل جيد، فقال: هذا من حسن حظك. من المظيع أن يحدث مثل هذا الأمر في بيت المرأة. لقد دهشت لذلك الشاب وهدنغ... ولإقدامه على ذلك بهذا الشكل، دون أي احترام لشعائر أساء.

اتكأني رغبة جامحة بالصحك. ولكن بدا أن الكولونيل لا يرى غرابة في توقع أن يحترم قاتل مشاعر الآخرين، ولذلك لمسكت زمام نفسي. قال الكولونيل وهو يلقي بصب على أحد فكراسي: لقد فوجئت عندما سمعت أن الرجل تقدم وسلم نفسه.

- كيف حدث ذلك بالضبط؟

- ليلة أمس، في حوالي العاشرة ليلاً. دعيل الرجل وألقي بمسلس وقال: "ها أنا. أنا فعلتها". بهذه البساطة.

- ما السبب الذي بسطه لتصرفه؟

- ألق القليل. لقد نبهوه طبعاً بشأن حقه في الاحتفاظ بأقواله، ولكنه اكتفى بالضحك. قال إنه جاء إلى هذا المكان لرؤيتك، ووجد بروتير، فبدلاً كلمات ثم أطلق عليه النار. ولخص التصريح بسبب المشاجرة. اسمني يا كليمت... الأمر بيني وبينك فقط، هل تعلم شيئاً عن الأمر؟ لقد سمعت إشاعات... حول منعه من دخول البيت وغير ذلك. فما الأمر... هل قام بإغراء الفتاة أم ماذا؟ لا يريد إقحام اسم البيت في الأمر ثم استطاعت، وذلك لمصلحة الجميع. أكانت تلك هي المشكلة؟

- كلا، يوصي أن يؤكد لك أن السبب كان شيئاً آخر تماماً، ولكنني لا أستطيع قول المزيد في هذه المرحلة.

أوما مرأه ولها قللاً؟ بسطني سماع ذلك، تدور الكثير من الشائعات... وما أكثر النساء في هذه المنطقة! إنني أسفد لما حصل لريدنغ؛ لقد رأيت فيه دوماً شاباً مودباً، وربما التمسوا له دفاعاً بخفف عقوبته، كمرضى نفسي أو غير ذلك، خاصة إذا لم يظهر دافع مناسب للحرية. حسناً، علي أن أذهب لرؤية هيلوك. لقد تم استنهاؤه لمعالجة مريض ما، ولكنه عاد الآن بلا ريب. هل قلني شيء؟

قلت إنني لود ذلك كثيراً، وعرجنا معاً.

بيت الدكتور هيدوك ملاصق لبيتي. قال عذامه إن الطبيب قد وصل لثوره، وقادنا إلى غرفة الطعام حيث كان هيدوك جالساً وأمامه طبق سامن من البيض واللحم. حياني بإيماءة ودبة وقال: آسف لاضطرابي للخروج... كانت حالة ولادة. لقد بقيت سهران أغلب الليل بقضيتكم، وقد أخرجت الرضاعة.

ثم دفع غير الطاولة عالية صغيرة أخذ ميلتشيت بضعفها.

- من عيار ٢٥؟

أوما هيدوك برأسه بالإيجاب وقال: سأبقي التفاصيل الفنية لجلسة التحقيق. كل ما يهمك معرفته هو أن الوفاة حدثت بشكل فوري عملياً. ذلك الأحق المغفل... ما الذي دفعه للقيام بذلك؟ المدهش - بالمناسبة - أن أحداً لم يسمع الطلقة.

قال ميلتشيت: نعم، هذا ما يدعشني.

قلت: إن ثلاثة المطبخ مظلة على الحائط الأمر من البيت، ومع وجود أبواب المكتب وغرفة الأواني والمطبخ مغلقة كلها فإتني أشك في إمكانية سماع شيء، كما أن أحداً لم يكن في البيت إلا العذامه.

قال ميلتشيت: هممم. الأمر غريب مع ذلك. أعجب أن نلت المحوز لم نسمعها، ما هو اسمها، ماربل؟ فقد كانت نافذة المكتب مفتوحة.

قال هيدوك: ربما سمعتها.

قلت: لا أظنها سمعتها. فقد كانت عندنا الآن، ولم تذكر

شيئاً من ذلك، وهو ما كانت ستفعله - بالتأكيد - لو كان لديها ما تقوله.

- ربما سمعت الطلقة ولم تلت لها بالاً... أو حبستها سيارة تطلق أصوات اختناق المحرك.

أثار لتيابي أن هيدوك كان يبدو أكثر ابتهاجاً هذا الصباح. بدا كرجل يحاول كبح مروح غامر يتباه، وأضاف قائلاً: أو ماذا عن احتمال وجود كاتم صوت؟ هذا محتمل تماماً، وعندها لن يسمع أحد شيئاً.

هر ميلتشيت رأسه بالنفي وقال: لم يجد سلاك شيئاً من ذلك، وقد سأل ريدنج، وهذا أن ريدنج لم يعرف في البداية عما يتكلم المفتش، ثم أنكروا تماماً استخدام شيء من هذا القبيل، وأظن أن يوسع المرء تصديقه في ذلك.

- نعم، هذا صحيح، يا له من باليس مسكين.

قال الكولونيل ميلتشيت: بل ثبأ له من شاب مغفل، إنني آسف يا كليمنت، ولكنه حقاً كذلك. لا يكاد المرء يستطيع النظر إليه كقاتل.

سأل هيدوك وهو يرتشف آخر رشقة من قهوته ويعود بكرميه إلى ثوراء: أو جندم أية دوافع؟

- قال إنهما تشابرا فققد أعصابه وأطلق عليه النار.

هر الطبيب رأسه وقال: يأمل بذلك أن تعتبر القضية قتلاً دون

سابق تصميمهم، أليس كذلك؟ إنها قصة لا تصمد أمام الحقائق. لقد نسأل خلفه وهو يكذب وأطلق النار على رأسه. ليس في الأمر أي شجاعة.

قلت وأنا أتذكر كلمات الأنسة مارييل: لم يكن الوقت كافياً للشجاعة على أية حال. إن التسليح وقتل الرجل ثم إعادة عقارب الساعة والمفارقة ثانية من شأنها جميعاً أن تأخذ كل وقته. لن أنسى أبداً وجهه عندما قابلته خارج البوابة ودلاً طريقته عندما قال: "أوسوف نرى بروثيرو؟ نعم، سنرى بروثيرو دون شك". إن ذلك -وحدده- كان ينهي أن يثير شكوكي إزاء ما حدث قبل دقائق قليلة من ذلك.

حديق هيدوك بي وقال: ما الذي نعبه بقولك "ما حدث قبل دقائق"... متى نطلق ويدنغ أطلق عليه النار؟

- قبل عدة دقائق من وصولي إلى البيت.

- مستحيل، مستحيل تماماً. لقد كان ميتاً قبل ذلك بكثير.

صاح الكولونيل ميلتشيب: ولكن بما صدقني، أنت نفسك قلت إن نصف الساعة ليس إلا تقديراً تقريبياً.

- نعم، يمكن أن تكون نصف ساعة أو أكثر أو أقل بحسب دقائق. إنها عشرون دقيقة في حدها الأدنى... أما أقل من ذلك فلا، وإلا لكان جسم القاتل دافئاً عندما وصلت هناك.

حدثنا ببعضنا البعض. كان وجه هيدوك قد تغير، وأصبح فحاشاً مكتئباً، وقد أصبحت لهذه التغير فيه. قال الكولونيل بعد أن وجد صوته: ولكن اسمعني يا هيدوك، إن كان ويدنغ يعترف بأنه أطلق عليه النار في الساعة إلا ربما...

انفضض هيدوك وثقاً وزمجر قائلاً: أقول لك إن ذلك مستحيل. إن كان ويدنغ يقول إنه قتل بروثيرو في الساعة إلا ربما فإني يكذب. ما بالك يا رجل؟ إنني أقول ما أقوله وأنا طيب وأعرف عملي. كان الدم قد بدأ بالتسخر.

بدأ ميلتشيب يقول: إن كان ويدنغ يكذب...

ثم توقف وهز رأسه وقال: الأفضل أن نذهب لنراه.

• • •

قاطعة لورنس قاتلاً: ليس لدي ما أخفيه... لقد قتلت بروثيرو.
شعر ميتشيت وقال: آه! حسناً... ولكن كيف صدف وكنت
تحمل مسدساً معك؟

تردد لورنس قليلاً وقال: كان في جيب.

- وأخذته معك إلى بيت الكاهن؟

- نعم.

- لماذا؟

- إنني أحمله دائماً.

تردد ثانية قبل أن يجيب، وكنت متأكدًا تمامًا بأنه كان يكذب.

- لماذا أرحمت عفاريت الساعة إلى الوراء؟

- الساعة؟

هذا متحيرًا، فقال الكولونيل: نعم، كانت العفاريت تشير إلى
الساعة ٦.٢٢.

تفوت نظرة رعب إلى عينه ثم قال: الساعة! نعم... أنا بالتأكيد.

تكلم هيدوك فجأة: أين أطلقت النار على الكولونيل بروثيرو؟

- في المكتب في بيت الكاهن.

- أعني: في أي جزء من جسمه؟

الفصل الثامن

أمضينا الطريق إلى مركز الشرطة صامتين تقريبًا، إلا أن هيدوك
تراجع قليلاً إلى الخلف وحس في أذني: أنعلم أنني غير مرتاح لهذا
الأمر... شعر مرتاح أهدأ في هذا الأمر شيء لا نفهمه.

هذا في غاية الفلق والانزعاج. كان الميتش سلاك في المركز،
وسرعان ما وجدنا أنفسنا وجهًا لوجه أمام لورنس ريدنج.

بدأ الشاب شاحياً مرهفًا ولكن رابط الحاش... بل رأيت أنه
كان رابط الحاش إلى حبل ينير الإغصان إذا ما أخذ المرء موقفه بعين
الاعتبار. شعر ميتشيت وتجنب فيما بدا واضحاً أنه يحس
بالعصبية، ثم قال: اسمعني يا ريدنج. لقد فهمت أنك أدليت بأقوال
للميتش سلاك. قلت إنك ذهبت إلى بيت الكاهن في حوالي الساعة
الأربعة، ووجدت بروثيرو هناك فتشاحرت معه وأطلقت عليه النار
وعرجت. أنا لا أعيد قراءة أقوالك عيبك، ولكن هذا هو فحواها.

- نعم.

- مما أسألك بعض الأسئلة: لقد سبق وقيل لك إنك لست
مضطراً للإجابة إلا إذا اخترت أنت ذلك. إن محاميك...

- أوه! إنني ... في رأسه كما أنظر. نعم، في رأسه.

- أأنت متأكد؟

- بما أنكم تعرفون فلا أرى ضرورة لأن تسألوني.

كانت عبارته تلك تبشيراً ضعيفاً غير مقنع. سمعت جلبة في الخارج، ثم دخل شرطياً حاسر الرأس حاملاً رسالة معه وقال: إنها للكهنة، ومكتوب عليها أنها عاجلة جداً. أخذتها ففتحتها وقرأت:

رجاء... رجاء... تعال عندي. لا أدري ماذا تفعل. الأمر للظبح جداً. أريد أن أخبر أحداً. أوصوك أن تأتي في الحال، واحضروا معك من نشاء.

ان برونيرو

نظرت إلى الكولونيل نظرة ذات مغزى، ففهم الإشارة وخرجنا جميعاً معاً. نظرت خلفي ونحن نخرج فلمحت وجه لورنس ريدينغ. كانت عيناه مسمرتين على الورقة في يدي، ولعلني لم أَرَ أبداً - على وجه أي إنسان من قبل - مثل هذه النظرة القلقة من الأثم واليأس.

تذكرت جلوس أن برونيرو على الأريكة في مكتبي وقولها: "إنني امرأة بالغة"، وشعرت بخفي بخلو أثقلهما. لقد فهمت الآن السبب في إقدام لورنس ريدينغ على ذلك الاتهام البطولي ثلاث. كان ميلتشيت يتحدث إلى المفتش سلاك قائلاً: هل أحريص أية تحقيقات عن تحركات ريدينغ في وقت سابق من ذلك اليوم؟ لدينا ما يدعو إلى الظن بأنه أطلق النار على برونيرو في وقت أبكر مما ينبغي. ابحث لي في ذلك من فضلك.

ثم التفت إلي فسلمته رسالة أن برونيرو دون أن أتيس بكلمة. قرأها وزمّ شفتيه تعجباً ثم نظر إليّ منسائلاً: أهذا ما كنت تلمح إليه صباح اليوم؟

- نعم. ثم أكن واقعياً عندها إن كان من واجبي أن أتكلم، أما الآن فأنا واقع تماماً.

أخبرته بما رأيته تلك الليلة في المرسى فتبادل الكولونيل بضع كلمات مع المفتش، ثم انطلقنا ومنا المذكور هبوطك إلى أولد هول.

فتح لنا الباب كبير عديم دقيق التصرف، في سمته القدر المناسب تماماً من التعصب والعدية. قال له ميتشيت: صباح الخير، أرجو أن ترسل خادمة السيدة برونيرو لتخبرها أننا هنا ونرغب في رؤيتها، ثم تعود أنت لتعيب على بعض الأسئلة.

هرع كبير الخدم، ثم ما لبث أن عاد ليقول إنه أرسل الرسالة. قال الكولونيل: دعنا الآن نسمع منك شيئاً عن الأمر. أكان سيدك موجوداً هنا لتناول الغداء؟

- نعم يا سيدي.

- وهل كان على طبيعته المعتادة؟

- نعم يا سيدي، وفضلاً لما رأيته على الأقل.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- بعد الغداء انصرف السيد برونيرو إلى مكتبه فيما ذهبت السيدة زوجته لتستند قليلاً. وقد خرجت الآنسة ليتيس للعبة تنس في

المباراة ذات المقعدين. تم تناول الكولونيل وزوجته الشاي في
الترابيزة والنصف في غرفة الجلوس، وكانت السيارة قد طلبت
لتأخذهما في الساعة الخامسة والنصف إلى القرية. وبعد أن غادر
مباشرة اتصل السيد كليمنت فأخبرته أنهما مرحا.

اتمنى لي الرجل وهو يذكر اسمي، وسأله الكولونيل حيثيت:
همم، متى كان السيد رينغ هنا آخر مرة؟

- عصر يوم الثلاثاء يا سيدي.

- فهمت أن زراعاً حصل بينهما؟

- أحسب ذلك يا سيدي، فقد أصدر لي الكولونيل أوامر بعدم
السماح للسيد رينغ بالدخول مستقبلاً إلى البيت.

سأله الكولونيل بكل مراحة: هل حدث وسعت - غرضاً - شيئاً
من المشاحرة؟

- إن الكولونيل بروتيرو يا سيدي صوتاً عالياً جداً، وخاصة
عندما يثيره الغضب. ولم يكن يسمي نقادي سماع بعض الكلمات
هنا وهناك.

- أكان ما سمعت كأنها لمرفة سب النزاع؟

- فهمت يا سيدي أن لنزاع علاقة بصورة كان السيد رينغ
يرسمها... صورة للأنة ليس.

دمدم ميلتشيت وقال: هل رأيت السيد رينغ عندما غادر؟

- نعم يا سيدي، أنا آخر حته.

- هل بدأ غاضباً؟

- لا يا سيدي، بل بدأ مسروراً بعض الشيء... إن جاز لي التعبير.

- آه! فلم يأت بالأمس إلى البيت؟

- لا يا سيدي.

- آه! أتحذ غيره؟

- لا، ليس بالأمس يا سيدي.

- وماذا عن أول أمس؟

- أول أمس جاء السيد دينيس كليمنت عصرًا، والمجد ستون
جاء لبعض الوقت، وحامت سيدة في السماء.

الدهش الكولونيل وقال: سيدة؟ من كانت تلك السيدة؟

لم يستطيع كبير الخدم تذكر اسمها. كانت سيدة لم يرها من
قبل، وقد أعطت اسمها، وعندما أخبرها أن الأسرة تناول عشاءها
قالت المرأة إنها ستنتظر. وهكذا قادها إلى غرفة الجلوس الصغيرة.

كانت قد سألت عن الكولونيل بروتيرو وليس عن زوجته،
وقد قام بإبلاغ الكولونيل فذهب الكولونيل إلى غرفة الجلوس بعد
أن أكمل عشاءه مباشرة. وحواها عن سؤال حول سيدة بقائها هناك
قال كبير الخدم إنه ينظرها بقيت نبعوا من نصف ساعة وإن
الكولونيل نفسه هو الذي كان في وداعها. آه! نعم، لقد تذكر الآن
اسمها. فقد كانت تدعى السيدة ليسترينج.

كانت تلك مفاجأة!

قال ميلشيت: غريب، أمر غريب فعلاً!

ولكننا لم نتابع الموضوع أكثر من ذلك، فسي تلك للحظة جاء من يقول إن السيدة بروثيرو جاهزة لرؤيتنا.

كانت أن في المرير، وكان وجهها شاحباً وعيناها ظمآن بشدة، وعلى وجهها ارتسمت نظرة حيرتني... نظرة أشبه بالتصميم العنيد. وجهت كلامها إليّ قائلة: شكراً على قدومك بمثل هذه السرعة... أرى أنك فهمت ما قصدته بقولي: "أحضر معك من نشاء".

سكت قليلاً ثم قلت: من الأفضل الانتهاء من الموضوع بسرعة، أليس كذلك؟ وابتسخت ابتسامة غريبة تثير الشفقة وقالت: أحسب أنك أنت من ينبغي التكلم معه يا كولونيل ميلشيت... أريد أن أقول لك إنني أنا التي قتلت زوجي.

قال الكولونيل ميلشيت بلطف: يا سيدتي العزيزة...

- أوه! هذا صحيح تماماً. أحسب أنني قتلت ذلك بشكل فحج مفاجئ، ولكنني لست ممن ينهارون ويلقون أنفسهم تجاه أي شيء. لقد كرهته منذ زمن طويل... وبالأمر قتلته.

أسندت ظهرها إلى الوسادة وأغمضت عينيها وقالت: هذا كل شيء. أحسب أنكم ستعتقلوني وتأخذونني بعيداً. سوف أنهض وأرتدي ملابسني حالما أستطيع؛ فأنا أشعر بشيء من الإعياء الآن.

- أتذكرين يا سيدة بروثيرو بأن السيد لورنس ويدنخ قد

اعترف أساساً باؤتكابه للحرمة؟

ضمت أن عينيها وأومأت برأسها قائلة: أعرف... يا له من غشٍ سيئ. ذلك أنه يعني كثيراً. كان ذلك موقفاً بالغ الشهامة منه... وبالغ السخف أيضاً.

- أكان يعرف أنك أنت من ارتكبت الجريمة؟

- نعم.

- كيف عرف؟

ترددت قليلاً فسألها الكولونيل: أنت أعيرته؟

فهمت مترددة أيضاً، وأعيراً بدا أنها حرمت امرأها فقالت: نعم... أنا أعيرته.

تحركت كضلعها بشكل يدل على الانزعاج، ثم قالت: ألا نلعبون الآن؟ لقد أعيرتكم، ولا أريد للحديث في الموضوع أكثر من ذلك.

- من أين حصلت على الجنس يا سيدة بروثيرو؟

- الجنس! أوه، كان منس زوجي. أعطته من درج عزائه.

- فهمت. وهل أعطته معك إلى بيت الكاهن؟

- نعم. كنت أعرف أنه سيكون هناك...

- في أية ساعة كان ذلك؟

- لا بد أن ذلك كان بعد السادسة... السادسة والرابع أو

الثالث... نحواً من ذلك.

- أخذت المسلس وفي نيتك قتل زوجك؟

- كلا... لقد... لقد قصصت بذلك نفسي.

- فهمت. ولكنك ذهبت إلى بيت الكاهن؟

- نعم. ذهبت مباشرة إلى الباب الزجاجي. لم أسمع أي

أصوات، ونظرت إلى الداخل فرأيت زوجي. واتسبى شيء ما... فأطلقت النار.

- وبعدها؟

- بعدها؟ أوه، بعدها خرجت.

- وأخبرت السيد ريدنج بما فعلته؟

مرة أخرى لاحظت التردد في صوته قبل أن تقول: نعم.

- هل شاهدك أحد تدعين بيت الكاهن أو تقادريته؟

- كلا... أو في الحقيقة: نعم. الأنسة المحجوز ماويل. تحدثت

معهما لحظات، وقد كانت في حديقتهما.

تحررت متعملة على الوسادة ثم قالت: ألا يكفي هذا؟ لقد

أعبرتكم. لماذا تريدون المضي في إزعاجي؟

اقترب منها الدكتور هيدوك وفحص نبيها ثم قال لمينشوت

هامساً: سأبقى معها بينما تقوم أنت بالترتيبات اللازمة. ينبغي عدم

تركها؛ فقد تفعل شيئاً بنفسها.

توما ميلنشوت موافقاً، وغادرتا الغرفة نزولاً على الدرج. رأيت رجلاً نحيلاً شاحياً شحوب الحث يخرج من غرفة محالورة، وبسرعة عدت لصعود الدراج ومسلته: أنت الخادم الخاص للكولونيل بروثيرو؟

بدأ الرجل مندحشاً وقال: نعم يا سيدي.

- أتعلم إن كان سيدك السابق يحتفظ بمسلس في أي مكان؟

- لا أعرف - شخصياً - عن وجود مسلسل لديه.

- ألم يكن واحد في درج عزائته؟ تذكر يا رجل.

هز الخادم رأسه حازماً وقال: إنني واثق جداً أنه لم يحتفظ

بمسلس يا سيدي، ولو كان الأمر كذلك لرأيت عندده. هذا مؤكد.

هرعت نازلاً الدرج خلف الآخرين.

لقد كذبت السيدة بروثيرو بشأن المسلس. لماذا؟

• • •

الفصل التاسع

ترك الكولونيل ميلتشيت رسالة في مركز الشرطة، ثم أعلن عن نيته في زيارة الأنسة ماربل قاتلاً: الأفضل أن تأتي معي إليها الكاهن. لا أريد إثارة ذعر أحد من أتباعك؛ ولذلك أرجو أن تعبرني حضورك الذي يبحث على الاطمئنان.

ابتسمت لقوله؛ إذ أن الأنسة ماربل - رغم مظهرها الهش الضعيف - قادرة على التعامل مع أي شرطي أو رئيس شرطة في العالم. سأنتي الكولونيل ونحن نقرر جرم الباب: كيف هي هذه المرأة؟ أيمكن الاعتماد على أقوالها أم لا؟

فكرت في ذلك ثم قلت محقراً: أظن أن بالإمكان تماماً الاعتماد عليها، وذلك طالما أنها تحدث عن شيء راقه فعلاً. أما فيما عدا ذلك، وعندما يصل الأمر إلى ما نظنه ونحسنته فذلك قضية أخرى تماماً. إن لها عيلاً قوياً، وهي تظن الأسوأ في الجميع دون استثناء.

قال ميلتشيت ضاحكاً: هي - إذن - النموذج التقليدي للعصوز العانس. حسناً، كان علي أن أعرف طبائع هذا النمط، حيث التصكح اللاهني وحفلات شرب الشاي في هذه المنطقة.

أدخلتنا خادمة خشيلة الجسم وقادتنا إلى غرفة جلوس صغيرة. قال الكولونيل وهو ينظر حوله: غرفة مزدحمة بالأمساك، ولكنه من نوعية جيدة. واضح أنها غرفة سيده، أليس كذلك يا كليمنت؟

وافقته، وفي تلك اللحظة فتح الباب وظهرت الأنسة ماربل، وحين قدمت إليها الكولونيل قال: "إننا أسفان جداً لإزعاجك يا أنسة ماربل". قال ذلك بأسلوبه العسكري الزائف الذي ظن أنه يروق للسيدات العجائز، ثم أضاف: "عليّ القيام بواجبي كما تعلمين".

قالت الأنسة ماربل: طبعاً، طبعاً... انهم ذلك تماماً. هل لي أن أتكم بمراتب؟ إن لدي عصيراً من صني، من وصفة وضحتها جدتي.

شكراً جزيلاً لك يا أنسة ماربل. هذا لطفك منك، ولكن لا أظن أنني سأشرب شيئاً؛ إن شعاري هو عدم تناول شيء حتى ساعة الغداء. والآن أريد الحديث معك حول تلك القضية المؤسفة التي أزعجتنا جميعاً. من الممكن أن تكوني فادرة - بحكم موقع بيتك - على أن تعبرنا شيئاً نريد معرفته حول مساء أمس.

- الحقيقة أنني كنت فعلاً في حديقتي الصغيرة ابتداءً من الساعة الخامسة مساءً أمس. ومن ذلك الموقع هناك، لا يستطيع البرء عملياً إلا أن يرى ما يحدث في البيت المجاور.

- فهمتُ يا أنسة ماربل أن السيدة بروثير قد عبرت من هنا مساء أمس.

- نعم، لقد عبرت فعلاً. وقد ناديتها وأعرّبتُ هي عن إعجابها بمرور حديقتي.

- أيمكنك أن تحددتي لنا متى كان ذلك بالضبط؟

- أظنه كان بعد دقيقة أو دقيقتين من الساعة السادسة والرابع.
نعم، هذا صحيح؛ فساعة الكنيسة كانت قد دقت لتوها معنة
السادسة والرابع.

- جيد جداً. ما الذي حدث بعد ذلك؟

- لقد قالت السيدة بروثيرو إنها آتية لرؤية زوجها في بيت
الكاهن بحيث يعودا معاً إلى بيتهما. كانت قد آتت عبر الممشى، ثم
دخلت بيت الكاهن من البوابة الخلفية ثم عبر الحديقة.

- أنت عبر الممشى؟

قالت الأنسة ماريل: "نعم، سأرشدك كيف"، ثم قادتني -وهي
شديدة التهفة- إلى الحديقة، وأشارت إلى الممشى الذي يسير
بمحاذاة حديقتهما من الخلف وشرحت قائلة: ذلك الطريق هو المخرج
الصغير لمنازلنا بفضي إلى منزل أولد هول. كان ذلك هو الطريق الذي
سيصلنا إلى بيتهما معاً. وقد آتت السيدة بروثيرو من القرية.

- تماماً تماماً. ونقولين إنها عبرت إلى بيت الكاهن؟

- نعم؛ رأيتها تعطف عند زاوية البيت. أظن أن الكولونيل لم
يكن قد وصل بعد؛ لأنها عادت على الفور تقريباً، وعبرت الممرجة
الخضراء إلى الممرس... ذلك المبنى الصغير هناك الذي سمع
الكاهن لانسيد ريدنغ باستخدامه مرصعاً.

- فهمت. وأنت... ألم تسمعي صوت طلقة يا أنسة ماريل؟

- لم أسمع صوت طلقة وقتها.

- ولكنك سمعت طلقة في وقت ما؟

- نعم، أظن أن طلقة قد أطلقت في مكان ما في الغابة، ولكن
ذلك لم يحدث إلا بعد خمس دقائق أو عشر... وهناك في الغابة
كما أشرت. هذا على الأقل ما أراه، إذ لا يمكن أن تكون... لا
يمكن بالتأكيد أن تكون الطلقة...

سكتت وقد شحبت لونها انفعالاً، فقال الكولونيل: نعم، نعم،
سنأتي إلى كل ذلك بعد قليل. أكملني فضلك رجاء... ذهبت السيدة
بروثيرو إلى الممرس؟

- نعم، دخلت إليه وانتظرت، وسرعان ما جاء السيد ريدنغ
من القرية عبر الممشى. جاء إلى بوابة بيت الكاهن ونظر حوله
ملهاً...

- وراك يا أنسة ماريل؟

احمر وجه الأنسة ماريل قليلاً وقالت: إنه -في الحقيقة- لم
يرفها؛ ففي تلك اللحظة بالذات كنت أنكب محاولة لتسلل واحدة
من تلك التباينات المؤذنة القوية... وهي عملية صعبة تماماً. ثم دخل
الشاب من البوابة ومشى إلى الممرس.

- ألم يقترب من البيت؟

- أوه، كلا؛ ذهب مباشرة إلى الممرس. وقد جاءت السيدة
بروثيرو إلى الباب لاستقباله، ثم دخل الاثنان إلى الداعل.

- كانت ساعة الكنية قد دقت معلنة السادسة والنصف،
خرجنا من خلال بوابة الحديقة، ثم عبر الممشى، وفي تلك اللحظة
بالفات جاء الدكتور ستون من الطريق المفضي إلى منزل لولده هول،
قصده ذلك النوج الصغير وانضم إليهما، ومشى الجميع باتجاه
القرية معاً، وفي نهاية الممشى انضمت إليهم الأنسة كرام.

- لا بد أن لك نظراً قوياً ثلثياً يا أنسة ماريل إن كنت تمهزين
الأشخاص من هذا الجعد.

- كنت أراقب عصفوراً. أحبه كان عصفور الصغور ذا العرف
الذهبي.. إنه طائر جميل جداً، وكنت قد أخرجت منظاري المكبر،
وهذا ما جعلني أرى بالصدفة الأنسة كرام تنضم إليهم (إن كانت
هي الأنسة كرام، وهو ما أظنه).

- أه! حسناً، ربما كان الأمر كذلك. والآن، طالما أنك بارعة
في الملاحظة إلى هذا الحد، فهل صدق ولا حظت يا أنسة ماريل ما
هو نوع التعبير الذي بدأ على السيدة بروثيرو والسيد ريدنغ وهما
يمرّان في ذلك الممشى؟

- كما يتسمان ويتحدثان، وهذا الإنسان في غاية السعادة
لوجودهما معاً إن كنت تعرف ما أعنيه.

- أقم بظهر عليهما أي اقترعاج أو قفلق من أي نوع؟

- قفلق، كلا! على العكس تماماً.

قال الكولونيل: غريب جداً، أرى في هذه المشكلة أمراً بالغ

الغموض.



وما لبثت الأنسة ماربل أن أفعلتنا إذ سالت بصوت هادئ:
أتقول السيدة بروثير الآن إنها هي التي ارتكبت الجريمة؟

قال الكولونيل: يا إلهي، كيف حررت ذلك يا آنسة ماربل؟

- لقد ظننت أن ذلك قد يحدث، وأظن أن التعزية ليس قد
حسبت ذلك هي الأخرى. إنها حقاً فتاة شديدة الذكاء، وأخشى
أنها ليست دوماً شديدة الورع. إذن فإن آن بروثير تقول إنها قتلت
زوجها. حسناً، أنا لا أرى ذلك صحيحاً. كلا، بل أكاد أكون واثقة
بأنه غير صحيح. ليس مع امرأة مثل آن بروثير... رغم أن المرء لا
يستطيع الحزم تماماً بشأن أي إنسان، أليس كذلك؟ هذا على الأقل
ما وجدته في هذه الحياة. متى تقول إنها أطلقت عليه النار؟

- في السادسة والثلاث، بعد حديثها معك مباشرة.

هرت الأنسة ماربل رأسها بهذه وإشفاق. أما الإشفاق فكان
على هذين الرجلين الراشدين اللذين بلغت بهما المحاماة أن يصدقا
مثل هذه القصة. هذا على الأقل ما شعرنا به؟

- بماذا أطلقت عليه النار؟

- بمسدس.

- وأين وجدت المسدس؟

- أحضرته معها.

قالت الأنسة ماربل بحزم مفاجئ: هذا شيء لم تفعله. بروسمي
أن أقسم على ذلك... لم يكن معها شيء من ذلك.

- ربما لم تراه أنت.

- كان من شأني أن أراه بالطبع.

- وإن كان في حقي يدعها؟

- لم تكن تحمل حقيبة يد.

- ربما كان محفياً... في حشمتها.

لقت عليه الأنسة ماربل نظرة أسف والزدراء وقالت: يا عزيزي
الكولونيل ميلنشت، أنت تعرف شابات هذه الأيام. لا يستحيين من
إظهار ما ينفض سنره من أحسامهن... إنها لم تكن نرندى من
الملابس ما يسمح لها بأعضاء أي مسدس!

قال ميلنشت بعناد: لا بد أن تعترفي بأن كل شيء يبدو
منحماً صحيحاً. الوقت والساعة الواقعة التي تشير عقاربها إلى
السادسة والعشرين وعشرين دقيقة...

لثقت الأنسة ماربل إلى وقالت: أيعني ذلك أنك لم تعبره
بعد بشأن تلك الساعة؟

- ما بها الساعة يا كليبت؟

أعبرته. وقد أهدى الكثير من الانزعاج، وقال: لماذا -بالله
عليك- لم تعبر ملاك بذلك ليلة أمس؟

- لأنه لم يسمح لي بذلك.

- هراء، كان عليك أن تصر على إبلاغه.

- ربما كان المفتش سلاك ينصرف معك بطريقة مختلفة تماماً عن طريقة نصره معي. لم يترك لي أي مجال للإصرار.

- إنها مسألة غريبة كلها. لو تقدم شخص ثالث وادعى أنه هو الذي نفذ هذه الجريمة فسأذهب إلى مصحة عقلية.

تمت الأنسة ماربل قائلة: لو سمعت لي بالكلام...

- نعم، تفضلي.

- لو أنك أخبرت السيد ريدنغ بما فعلته السيدة برونيرو، ثم شرحت له بأنك لا تصدق حقاً أنها هي المفاعل. ثم إذا ذهبت إلى السيدة برونيرو وأخبرتها بأن السيد ريدنغ بريء ولا غبار عليه... عندها، عندها يمكن لكل منهما أن يذكر لك الحقيقة. والحقيقة ملهدة دوماً، رغم أنني أظن أن المسكينين لا يعلمان الكثير.

- حسناً، هذا كله ممتاز. ولكنهما الشخصان الوحيدان اللذان يتوفر لهما دافع لقتل برونيرو.

قالت الأنسة ماربل: ما كنت أنا لأقول ذلك أيها الكولونيل!

- وهل نستطيع التفكير بشخص ثالث؟

قالت الأنسة ماربل: "أوه! نعم، بالتأكيد"، ثم راحت تعد على أصابعها: واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة... نعم، وسابع محتصل أيضاً. هو سعي التفكير بسبعة أشخاص على الأقل ربما أسعدهم كثيراً تنجبة الكولونيل برونيرو عن الطريق.

نظر الكولونيل إليها ذاهلاً وقال: سبعة؟ في هذه القرية؟!

لومنت الأنسة ماربل برأسها بحماسة وقالت: تذكر أنني لا أسمى أسماء، إذ لن يكون ذلك مناسباً. ولكنني أخشى أن في هذا العالم الكثير من الشر، وإن جنماً شريعاً مشوق الفؤاد مثلك يا كولونيل ميتشيت لا يعرف عن وجود مثل هذه الأمور.

وقد حسبت أن رئيس الشرطة لن يلبث أن يصاب بمسكة دماغية أو بأزمة قلبية!

• • •

لقد حولوا والشعروج الوحيدة. وبعد أن افتتح الكولونيل ميلشيت بما
وأهم أعلن عن نيته زيارة بيني مع المفتش وقال: إنني ذاهب إلى
مركز الشرطة الآن.

عند دخولي البيت من الباب الرئيسي أسرع انتباهي مهمة
أصوات، ففتحت باب غرفة الجلوس، ورأيت على الأريكة قرب
غريزلا الأنسة كرام وقد جلست تتحدث بحبوبة.

قلت غريزلا: أهلاً يا لين.

ونعنتها الأنسة كرام قائلة: صباح الخير يا سيد كليمنت، أليس
ذلك الخير عن الكولونيل فظلياً؟ يا للرجل المسكين!

قالت رويحتي: جاءت الأنسة كرام لتساعدنا في منظمة كشافة
الفتيات. لقد طلبنا يوم الأحد الماضي من مساعدنا إن كنت تذكر؟

كنت أذكر، وكنت مفتعاً أيضاً - وكذلك غريزلا كما ظهرت
من لحيته - بأن الأنسة كرام ما كانت لتقدم على تسجيل نفسها في
مثل هذا النشاط أبداً لولا ذلك الحادث المثير الذي وقع في بيتنا.

مضت الأنسة كرام قائلة: كنت أقول الآن للسيدة كليمنت
إنني ذهبت تماماً لسماع النبا. قلت: ما هذا، جريمة قتل؟ وفي هذه
القرية بسيطة الهادئة الصغيرة؟ لا شك أنكم توافقوني على أنها
حادثة تماماً... فليس فيها حتى دار ميتاء ولا حتى للأفلام الحديثة
الناطقة! وبعد ذلك عندما سمعت أنه الكولونيل بروشيرو لم أستطع
بساطة تصديق ذلك. لم يكن يبدو عليه - نوعاً ما - أنه ممن يقتلون.

قلت غريزلا: وهكذا أتت الأنسة كرام لتعرف حقيقة الأمر.

الفصل العاشر

لدى مغادرتنا المنزل كانت ملاحظات الكولونيل عن الأنسة
ماريل أبعد ما تكون عن الإطراء. قال: تلك المحوز المصفاة... تحسب
أنها تعرف كل شيء، وهي التي لم نقادر - على الأغلب - هذه القرية
طوال حياتها. يا لها من متبجحة دعوى، ماذا عماها تعرف عن الحياة؟

قلت له بلطف إن الأنسة ماريل - رغم جعلها بالحياة في
معانيها العامة الواسعة - تعرف عملياً كل ما يجري في سينت ميري
ميد. واعترف ميلشيت بذلك على مضض؛ فقد كانت الأنسة ماريل
شاهدة مهمة جداً... وعصياً فيما يتعلق بموقف السيدة بروشيرو.
قال الكولونيل: لا أحب أن غيما تقوله شكاً، أليس كذلك؟

- إن قالت الأنسة ماريل إن المرأة لم تكن تحمل مدمساً
فيمكنك التسليم بصحة أقوالها، ولو كان لمثل هذا الأمر أدنى
احتمال لكأن الأنسة ماريل سبقة لاكتشافه.

- هذا صحيح. الأفضل أن نذهب ونلقي نظرة على المرسوم.

كان ما يُعرف بالمرسم مجرد سفينة خرية ذات نافذة مثبتة في
المخف. ولم تكن للسفينة نوافذ غير تلك، وكان الباب هو وسيلة

عشيت أن يخرج هذا الكلام الصريح الآنسة كرام، ولكنها
 قذفت برأسها إلى الخلف وأطلقت ضحكة مدوية أظهرت فيها كل
 ما لديها من أسنان، ثم قالت: هذه صراحة مفرطة. أنت بالغة الذكاء
 يا سيدة كليمنت، أليس كذلك؟ ولكن من الطبيعي تماماً أن يرغب
 المرء بمعرفة تفاصيل قضية كهذه، كما أنني واثقة من استعلاذي
 النام للمساعدة في كشافة الغتيات كما ترغبون. الأمر مشير حقاً...
 كنت أعيش في ركود وتوق إلى شيء من المتعة، نعم، كنت كذلك
 بالفعل. رغم أن وظيفتي ليست سيئة أبداً، وذات أجر محرز والدكتور
 ستون سيّد مهذب من جميع النواحي. ولكن الفتاة ترغب فوماً بشيء
 من الحياة في ساعات عملها. وبامتياز أنت يا سيدة كليمنت من
 من النساء يمكن التحدث إليهن في هذه القرية... إلا مجموعة من
 المجازر الثروات؟

قالت: ماذا عن لوتس بروثيرو؟

ألفت غلاديس كرام رأسها إلى الخلف وقالت: إنها أعلى
 مقاماً ومقدرة من أمثالي، تتحمل نفسها سلبية أرمقراطيات الريف،
 ولن تدني نفسها بالاتفاقيات إلى خفاة تعمل لكسب عيشها. رغم أنني
 سمعتها فعلاً نتحدث عن عملها هي شخصياً لكسب عيشها. ولكن
 ما يحيرني حقاً هو لماذا عساه يوظفها؟ لا بد أنها ستفرد قبل مضي
 أسبوع، ما لم تذهب للعمل واحدة من عارضات الأزياء أولئك،
 ممن يرتدين الملابس ويتحطرن بها. أظن أن يوسعها أن تفعل ذلك.

قالت غريزelda: إنها تصلح عارضة أزياء ممتازة. وليس لغريزelda
 أي من صفات الكيداء. تابعت تقول: حتى كانت تتحدث عن كسبها
 لعيشها؟

بدت الآنسة كرام متعلمة قليلاً، ولكن سرعان ما استطاعت
 سيطرتها على نفسها وقالت: سيكون في ذلك إفشاء لحديثها، أليس
 كذلك؟ ولكنها قالت ذلك فعلاً. أظن أن أمورها ليست سيئة في
 المنزل. ما كنت لأعيش في بيتي مع زوجة أب ولو لدقيقة واحدة.

قالت غريزelda بحدية: أه؟ ولكنك ذات شخصية قوية مستقلة.

ونظرت أنا إلى غريزelda بارتياح. بدت الآنسة كرام مسرورة
 تماماً وقالت: هذا صحيح... هكذا أنا بالضبط أقاد ولا أحر. هذا
 ما أغيرته قارئة كف قبل مدة بسيطة. كلا، لست ممن يجلسون
 ويتقبلون نشر الآخرين. وقد أوضحت للدكتور ستون منذ البداية
 بأنني لا بد أن أحصل على إحازتي المنظمة، فهؤلاء السادة العلماء
 يظنون الفتاة آله... وهم لا يلاحظون وجودها معظم الوقت، ولا
 يكادون يتذكرونها. إنني - بالطبع - لا أعرف الكثير عن الموضوع.

- هل تحدين العمل مستعماً مع الدكتور ستون؟ لا بد أنها
 وظيفه مستعنة إن كنت مهتمة بعلم الآثار؟

- لا زلت أرى أن التنقيب عن أناس ميتين توفوا منذ مئات
 السنين ليس بالأمر... أعني أن فيه نطقاً، أليس كذلك؟ كما أن
 الدكتور ستون غارق في هذا الأمر إلى الحد الذي ينسى معه نصف
 وجباته لولا وجودي أنا.

سألت غريزelda: أهر في موقع الضيف هذا الصباح؟

هزت الآنسة كرام رأسها بالنفي وقالت: إنه متوعدك قليلاً هذا
 الصباح ولا مزاج لديه للقيام بأي عمل، وهذا يعني إحازة لغلاديس.

قنت: إنتي أسف لسماع ذلك.

- أوه! ليست وعكة معطيرة. أسمع؛ لن تقع حالة وفاة ثانية.
ولكن أخبرني يا سيد كليمنت: سمعت أنك كنت مع الشرطة هذا
الصباح، ما الذي يروونه؟

قلت بتأن: ما يزال لديهم شيء من... عدم اليقين.

صاحت الأنسة كرام: أه! إذن فهم لا يرون أن قطعل هو فورنس
ريدنغ في نهاية الأمر. شاب وسيم جداً. أتيس كذلك؟ كأنه نجم
سينمائي، وله ابتسامة فاتنة عندما يقول لك: "صباح الخير". إسي
حقاً لم أصدق أذني عندما سمعت أن الشرطة اعتقلوه. واسع ذلك.
كنا دوماً نسمع أن شرطة الأرياف في منتهى الحمافة.

قلت لها: لا يمكن للمرء أن يلومهم في هذه الحالة بالذات؛
فالسيد ريدنغ هو الذي تقدم وسلم نفسه.

صاحت الفتاة وقد ألحقتها المفاجأة: ماذا؟ هو يفعل ذلك من
بين كل الناس! لو أنني قلت أحداً لما ذهبت وسلمت نفسي. كنت
أظن أن لدى لورنس ريدنغ عقلاً أكثر من ذلك، أما أن يسلم بهذا
الشكل! لماذا قتل بروثيرو؟ هل قال شيئاً؟ أكانت محرومة مشاحرة؟

قلت لها: ليس من المؤكد قطعياً أنه هو الذي قتله.

- ولكن... إن كان يقول إنه قام بذلك فلا شك أنه يعرف ما
يقول يا سيد كليمنت.

- إنه يعرف بالتأكيد، ولكن الشرطة غير مقتنعين بروايتهم.

- ولكن لماذا يقول إنه ارتكبها إن لم يكن كذلك؟

كأنت تلك نقطة لا أريد شرحها للأنسة كرام، ولذلك قلت
بشيء من الغموض: أظن أن الشرطة يتلمسون - في كل جرائم القتل
الباززة - رسائل عديدة من أتلس يتبعون أنهم ارتكبوا الجريمة.

لم يتعد استقبال الأنسة كرام لهذه المعلومة قولها بنبرة عجب
وازدراء: لا بد أنهم محالين! ثم أضافت بعد أن تهدت ونهضت:
حسناً، أظن أن عليّ أن أذهب. سيكون اتهام السيد ريدنغ لنفسه
بارتكاب الجريمة عبرة مثيرة للدكتور ستون.

سألها غريزelda: أهو مهتم بالأمر؟

سألت الأنسة كرام حاجبها بشيء من الحيرة وقالت: إنه
شخص غريب لا يستطيع المرء أن يحزم بشأنه... غارق تماماً في
الماضي. إنه يفضل مرة مرة النظر إلى مسكن بروزيه أثريه فبذرة من
تلك المحرمات على النظر إلى السكن التي قطع بها كريس زوجته،
إذا افترضنا أن فرصة كهذه صنعت له.

قلت: حسناً، عليّ أن أعترف أنني أتفق معه.

أظهرت عينا الأنسة كرام عدم فهم وفيللاً من الازدراء، ثم
استأذنت بالانصراف وهي تكرر عبارات الوداع.

وعندما أغلق الباب خلفها قالت غريزelda: ليست حقاً من ذلك
نوع السوء إنها عادية في كل شيء، بالطبع، ولكنها واحدة من
لواتك غفنيات فضحات المرحات اللاتي لا يستطيع المرء أن يكرههن.
إنني لأعجب من السبب الحقيقي لمحبتها إلى هذا؟

- الفضول.

- نعم، أظنه ذلك. والآن يا ليس، أخبرني عن كل شيء...
إنني أتحرق شوقاً للسماع.

جلستُ وأعدت على مسامعها كل محربات الصباح بعدد،
وهي تقاطعت بين الفينة والفينة بهيئة تعجب أو لفظة اهتمام،
وعندما أنهيت حديثي قالت: إذن فقد كانت آن هي من يسعى
لورنس خلقتها منذ البداية، وليس لبس. لَكُمْ كذا أغنياء! لا بد أن
ذلك هو ما كانت المعجوز ماربل تلمح إليه يوم أمس. ألا ترى ذلك؟

قلت وأنا أشيح بنظري: نعم.

دخلت ماري وقالت: يوجد هنا رجلان... بقولان إنيهما حياها
من إحدى الصحف. هل تريد رؤيتهما؟

- كلا، كلا بالتأكيد. أحببتهما إلى المفنن سلاك.

أومأت ماري برأسها والتفت لتصرف فقلت لها: وعندما تتخلصين
منهما عودي إلي هنا؛ فأنا أريد سؤالك عن بعض الأمور.

أومأت برأسها ثانية وانصرفت، وبعد دقائق عادت لتقول: لم
يكن التخلص منهما سهلاً؛ لم أرَ مثلهما إلحاحاً في حياتي!

- توقعت أن يزعمانا. والآن يا ماري، ما أريد سؤالك عنه هو
الذي: أأنت متأكدة تماماً بأنك لم تسمعي صوت طليق مساء أمس؟

- أعني الطليقة التي قلته؟ كلا، لم أسمعها بالطبع. ولو أنني
سمعتها لذهبت لأرى ماذا حدث.

كنت فتذكر قول الأنسة ماربل إنها سمعت طليقة "في الغابة"،
ولذلك غيرت طريقة سؤالي وقلت: نعم، ولكن ألم تسمعي صوت
أية طليقة أخرى... طليقة في الغابة مثلاً؟

- أوه! في الغابة.

سكنت للفتاة قليلاً ثم قالت: نعم، الآن وقد بدأت أفكر
بالأمر، أظني سمعت فعلاً شيئاً كهذا. لم تكن طليقات كثيرة...
طليقة واحدة فقط، وكان لها نوي غريب.

- بالضبط، في أي وقت كان ذلك؟

- وقت؟

- نعم، وقت.

- لا أظني أستطيع الحزم، ولكن أظنها كانت بعد وقت الشاي.

- ألا نستطيعين تقرب الأمر أكثر قليلاً من ذلك؟

- لا، لا أستطيع. إن لدي أعمالاً يحب أن أؤديها باستمرار.

لا أستطيع إدانة النظر إلى الساعات طوال الوقت... وحتى ذلك لسن
يكون مفيداً على أية حال؛ فالسنة يقصر حوالي ثلاثة أرباع الساعة
يومياً، هذا بالإضافة إلى تصويب وضعه باستمرار، ومناهضة شؤون
المزول الأخرى، ولذلك لا أكون وافقة تماماً من الوقت أبداً.

وبما كان من شأن ذلك أن يفسر عدم تقديم وحياتنا أيضاً في
مواعيد ثابتة؛ فهي تقدم أحياناً متأخرة كثيراً، وأحياناً تقدم في وقت
مبكر جداً.

مضت غريزاً قائلة: وعلى كل حال، فعليك أن تتلمس العنبر لها إن كانت متعلقة بالذات أسوأ من المعتاد، فليس يوسعك أن تتوقع منها تعطلاً إزاء موت الكولونيل بروثيرو وقد مسح صاحبها الشاب.

- أوتشع صاحبها؟

- نعم، بسبب سرقة الطيور. ذلك المدعو آرثر... إن مارى تخرج معه منذ سنتين.

- لم أكن أعرف ذلك.

- يا حبيبي لبي، أنت لا تعرف شيئاً أبداً.

- من الغريب أن يقول الجميع إن الطلقة جاءت من الغابة.

- لا أظن ذلك غريباً أبداً. إن المرء غالباً ما يسمع أصوات الطلقات من الغابة، ولذلك فإن من الطبيعي أن يفترض المرء - عندما يسمع طلقة - أنها جاءت من الغابة. ربما بدت الطلقة أعلى قليلاً من المعتاد فقط. ولو أن المرء كان في الغرفة المحاورة لكان أدرك طبعاً أن الطلقة في المنزل، ولكن من المطبخ حيث تعمل مارى، بنافذته المطلّة على الجانب الآخر من البيت، فلا أظن أن مثل ذلك الأمر يمكن أن يعطّر على بال المرء أبداً.

فتح الباب مرة أخرى. ودخلت مارى قائلة: لقد عاد الكولونيل موشيت ومعه ذلك المفترس، ويقولان إنهما سيسعدان بانضمامك إليهما، وحما في المكبة.

* * *

- أكان ذلك قبل وقت طويل من مجيء السيد ريدنغ؟

- لا، لم يكن ذلك قبل وقت طويل... عشر دقائق أو ربع ساعة لا أكثر.

أومات براسي واضحاً، فقالت مارى: أهذا كل ما تريد مني؟ لقد تركت كتف المعروف في الفرن، والفطيرة نضجت على الأوجح.

- لا بأس، يمكنك الذهاب.

غادرت الغرفة، فالتفت إلى غريزاً وقالت: من غير المسموح أبداً محاولة حمل مارى على قول "سيدي" أو "سيدتي".

- لطالما أوصيتها، ولكنها تنسى. إنها فتاة غرة لا غير؟

- أدرك ذلك تماماً، ولكن الأغرار لا يكون أغراراً بالضرورة طوال حياتهم. أظن أن شيئاً من فن الطبخ يمكن تعليمه لمارى.

- أنا لا أعتقد أنك. أنت تعلم جيداً أننا لا نستطيع تحمل أحمور خادم، وإذا ما أعدناها وطوّناها فإنها ستركتنا في أقرب وقت. وهو أمر طبيعي، إذ أنها ستحصل على أحمور أعلى. ولكن طالما أنها لا تحسن الطبخ، وتتمتع بتلك السلوكيات القبيحة... فنحن في أمان، لأن أحداً غيرنا لن يفكر في أخذها.

أدركت أن وسائل زوجي في التدبير المنزلي لم تكن عشوائية كلياً كما كنت أعتقد؛ إذ يحكمها قدر معين من المنطق. أما إن كان الأمر يستحق توظيف خادمة يمثل أجراً لا تشق للطبخ وتتنحى رعي المرء بالأطباق وبالملاحظات بنفس اللامبالاة المزعجة، فذلك مسألة فيها نظر.

- أكان يوسعه حينما نرى - أن يطلق عليه النار في وقت أبكر؟
في السادسة والنصف مثلاً؟

- لم يكن يوسعه القيام بذلك.

- هل راجعت كل تحركاته؟

هو المفتش رأسه بالإيجاب وقال: كان في القرية قرب فندق بلو بور في السادسة وعشر دقائق، ومن هناك جاء عبر ذلك الممشى الذي قالت المحجوز إنها رآته يأتي منه (وهي محجوز لا تفعل عن شيء) ثم جاء إلى موعده مع السيدة برونيرو في المرسى في الحديقة. وقد غادر الاثنان المرسى معاً بعد السادسة والنصف تماماً، وذهبا عبر الممشى إلى القرية بعد أن انضم إليهما الدكتور ستون. وقد أكد الدكتور ستون ذلك... فقد رأيته. وقد وقفوا جميعاً هناك يتحدثون قرب مركز البريد تماماً ليضع دقائق، ثم ذهبت السيدة برونيرو إلى بيت الأنسة هارنيل لاستشارة محلة تعنى بشؤون الحدائق. وهذا كله صحيح أيضاً، فقد شاهدت الأنسة هارنيل بشأنه. وقد بقيت السيدة برونيرو هناك تحدثت معها حتى الساعة السابعة عندما هطلت متمحبة من تأخر الوقت وقالت إن عليها أن تعود إلى المنزل.

- كيف كان تصرفها؟

- نقول الأنسة هارنيل إنها كانت في غاية الارتياح واليهجة. وهدت في معنويات عالية... والأنسة هارنيل واثقة تماماً من أن شيئاً لم يكن يخلق عقل السيدة برونيرو.

- حسناً استمر.

الفصل الحادي عشر

أدركت من النظرة الأولى أن الكولونيل ميلشيت والمفتش سلاك لم يكونا متفقين في نظرتهما إلى القضية فقد بدا ميلشيت محمراً الوجه متزعجاً، وبدا المفتش عاماً مكفهراً. قال الكولونيل: يوسف، القول إن المفتش سلاك لا يتفق معي في اعتبائي الشاب ريدنغ بريفا.

سأل سلاك بارتياح: لماذا يتقدم للاعتراف بالجرمة إن لم يكن قد ارتكبها فعلاً؟

- قد شكّر يا سلاك أن السيدة برونيرو تصرفت بالأسلوب ذاته!

- ذلك أمر مختلف. فهي امرأة، والنساء يتصرفن بمثل تلك الطريقة السخيفة. لا أعلنها ارتكبت الجريمة أبداً، ولكنها سمحت بتوجيه أصعب الاتهام له فقامت باعتراف فعل ما. لقد اعتدت على مثل هذه الألعاب. ما كنتُ أتصدق مقدار سخافة الأشياء التي رأيتُ النساء يلحأن إليها أحياناً. ولكن ريدنغ يختلف؛ فهو ذو عقل وذكاء، وإذا ما اعترف بارتكابه للجريمة فهذا يعني أنه ارتكبها فعلاً. وفوق ذلك فالمدس مدسه... لا يمكنك تجاهل ذلك! وبفضل ذلك التصرف من السيدة برونيرو فإننا نعرف الدافع الآن. كان الدافع نقطة ضعفنا سابقاً، ولكننا نعرفه الآن. الأمر كله غدا في غاية البوضوح.

- أما ريدنفغ فقد ذهب هو والدكتور ستون إلى فندق بلو بور وتناولوا شرباً معاً. وغادر ريدنفغ الفندق في الساعة إلاً ثلثاً، ومضى مسرعاً عبر شارع القرية، ثم في الطريق المؤدي إلى بيت الكاهن... وقد رآه الكثير من الناس.

علق الكولونيل قائلاً: ولكن ليس عبر الممشى الخلفي هذه المرة، أليس كذلك؟

- كلا، جاء إلى مقدمة المنزل وسأل عن الكاهن، وسمع أن الكولونيل بروثيرو كان هناك، فدخل وأطلق عليه النار كما وصف ذلك تماماً! هذه هي حقيقة الوضع ولا حاجة بنا لمزيد من التفصي.

مر ميلنشيت رأسه بالنفي وقال: ولكن تبض شهادة الطبيب. ليس يوسعك تجاوز تلك الشهادة، فهو يؤكد أن قتل بروثيرو لم يكن بعد السادسة والنصف بأية حال.

أظهر المغمض سلاك ازدياء وهو يقول: هه! الأطباء! لا تلقى بالاً لما يقوله الأطباء! فهم يوسعونك هذه الأيام محلح كل أسنانك، ثم يهربون لك عن بالغ أسفهم إذ يتبين لاحقاً أنك كنت تعاني طوال الوقت من التهاب الزائدة الدودية!

- هذه ليست مسألة تشخيص. كان الدكتور هيدوك عاجزاً تماماً في هذه النقطة، فلا يمكنك يا سلاك أن تعارض الدليل الطبي.

قلتُ وقد تذكرت فجأة: ودليلي أيضاً كائناً ما كانت قيسه. فقد لمست الحكة وكانت باردة، ويمكنني أن أقسم على ذلك.

قال ميلنشيت: رأيت يا سلاك؟

قال سلاك: حسناً، هذا طبيعي إن كان الأمر كذلك. ولكنها كانت قضية رائعة متكاملة، وهنا السيد ريدنفغ شديد الحرص على أن يشتق إذا حاز التحير.

علق الكولونيل قائلاً: ذلك بعد ذاته هو ما هذا لي غير طبيعي نوعاً ما.

قال سلاك: ليس للأفواق ناظم ينظمها أو وسيلة للتنبؤ بتقلباتها. كثير من الرجال أصابهم من في عقولهم بعد الحرب. أحسب أن ما يعنيه الموقف الآن هو أن علينا أن نبدأ من الصفر ثانية. ثم التفت إلي وقال: لا أعرف يا سيدي لماذا حاولت مشاهدة فضيلي بشأن الساعة... كان ذلك إعانة لمجرى العدالة.

قلت له: لقد حاولت إبلاغك بالأمر ثلاث مرات مختلفة، وفي كل مرة كنت تخرسني وترفض الإصغاء.

- إن ذلك لا يبدو أن يكون طريقة لي في الكلام، ولو كنت عاجزاً على إخباري لاستطعت ذلك دون شك. لقد بدا أن أمر الساعة وتم إرساله منسجماً تماماً مع بعضها البعض. وها أنت تقول الآن إن الساعة كانت غير ما هي عليه تماماً. لم أصادف أبداً قضية كهذه، فما الغرض من إبقاء الساعة مُسبَّقة ربع ساعة عن وقتها الفعلي؟

قلت: يُفترض أن يُضي ذلك على دقة المواعيد.

قال الكولونيل ميلنشيت بلباقة: لا أنظنا بحاجة للمحوض في هذا الأمر أكثر من ذلك. ما نريده الآن هو القصة الحقيقية من السيدة بروثيرو والسيد ريدنفغ كليهما. لقد اتصلت بالدكتور هيدوك

وطلبت منه إحضار المائدة برونيزو معه إلى هنا. سيكونان هنا في غضون ربع ساعة، وأظن أن من الأفضل أيضاً أن نحضر ريدنج أولاً.

قال المفتش سلاك وهو يرفع سماعة الهاتف: سأصل بالمركز.

وبعداً أجرى المكالمات أعاد السماعة وقال: حسناً، سنشرع الآن بالعمل في هذه الغرفة. ثم نظر إليّ نظرة ذات مغزى فقلت: ربما كنتما ترهبان مني الخروج.

فتح المفتش الباب لي مباشرة، فيما نادى الكولونيل ميلشيب وأنا أخرج: هل لك أن تعود عندما يصل الشاب ريدنج أيها الكاهن؟ أنت صديقه، وربما كان لك من التأثير عليه ما يقدمه بقول الحقيقة.

وحدثت زوجتي والأنسة ماريل تتاحيان، وعندما دخلت قالت زوجتي: كنا لنناقش مختلف الاحتمالات. أرحم أن نحكي هذه القضية يا آنسة ماريل، كما فعلت عندما احتفت سلة الأنسة وفريسي من سمك الروبيان، وكان كل ذلك لأن السلة ذكرتك بشيء مختلف تماماً أشبه بكيس من الفحم.

قالت الأنسة ماريل: أنت تضحكين يا عزيزتي، ولكن هذه طريقة سلمية تماماً في الوصول إلى الحقيقة. إنها في الواقع ما يسمى الناس حديثاً ويختلفون فيه كل هذا الاختلاف. إن مجلسي أشبه بقراءة كلمة دون الاضطرار إلى تهافتها بصوت عالٍ. لا يمكن لتفصيل أن يفهم بذلك لأن خبرته قليلة جداً، أما الكبير فإنه يعرف الكنيسة لأنه رآها مراراً من قبل. هل أدركت ما أعنيه أيها الكاهن.

قلت متلهلاً: نعم، أنظني أذكره. إنك تعين أن شين يدكره

أحدهما بالآخر يرجع أن يكونا من نفس المعدن أو النوع.

- بالضبط.

- وبماذا يذكرك مقتل الكولونيل برونيزو بالضبط؟

تهتدت الأنسة ماريل وقالت: هنا ممكن الصعوبة إذا تأني لذهن السراء الكثير من القصص المشابهة. مثلاً السبحور هارغريفز، الذي كان رجلاً من رجالات الكنيسة يحظى بكل احترام. ومع ذلك فقد كان يحتفظ طوال الوقت بحياة أخرى منفصلة... أسرة سابقة له، نحيل! وكان له خمسة أطفال... خمسة أطفال فعلاً... كانت تلك صدمة عنيفة لامراته وابنته.

حاولتُ جاهداً تحيّل الكولونيل برونيزو بلور "المعطى" المسرعاً ونكي فشت.

مضت الأنسة ماريل تقول: وتوجد أيضاً قصة مصيبة الملايس تلك، وذلك الدبوس المرموع بحجر كريم، حين أعملت الأنسة هارنيل وأرسلته مع قميصها إلى المصحة. فالمرأة التي أخذته لم تكن تريده، كما أنها لم تكن سارقة بأي شكل، بل اكتفت بإعفائه في بيت امرأة أخرى وإدلاء الشرطة بأنها شاهدت تلك المرأة تأخذ منه. إنه التكيد، محرد الكيد... والمكيد دفع مدعش جداً. كان في القضية رجل بالضم، نوعاً يوجد رجل!

فشلت هذه المرة في إيجاد أي مثل موارٍ مهمسا كان بعيداً. ومضت الأنسة ماريل في أمثلتها: وقصة ابنة المسكين إيلويل، تلك الفتاة الجميلة بالغة لفرقة التي حاولت عتق أخيها الصغير... وقصة

أموال رحلة مشدي فكيسة (وذلك قبل عهدك أبها الكاهن) حيث
وُجد أن عازف الأورغن هو الذي أخذها، وكانت زوجته غارقة في
الديون. نعم، إن هذه القضية تجعل تفكير المرء يحول في العديد من
الأمور... العديد جداً. من الصعب جداً الوصول إلى الحقيقة.

قلت لها: أرجو أن تعبريني من هم السبعة المشبه بهم.

- المشبه بهم؟

- لقد قلت إن بوسعت التفكير بسيطة أشخاص من شأنهم
أن... أن يفرحوا بموت الكولونيل بروثيرو.

- أوقد قلت ذلك حقاً؟ نعم، أذكّر قولي ذلك.

- أكان ذلك صحيحاً؟

- أوه! كان صحيحاً بالطبع، ولكن لا ينبغي لي ذكر أسماء
أنا واثقة أن بوسعت أن نحبهم بنفسك بكل سهولة إن أردت.

- أنا في الواقع لا أستطيع ذلك. أظن أنك تفكرين بليثيس
بروثيرو، طالما أنها متحصل غالباً على أموال بوفاء أبيها. ولكن سن
السدف التفكير في إمكانية ارتكابها مثل هذا الأمر. وفيما عداها لا
أستطيع التفكير بأحد آخر.

قالت الأنسة ماربل وهي تلتفت إلى غريزلا: وأنت يا عزيزتي؟

ولمعتني احمر وجه غريزلا وظهر في عينيها شيء أشبه بالتموج.
شدت قبضتيها الإثنتين كليهما وصاحت بسخط: أوه! فليس كريهون...
كريهون. يا للأشياء التي يقولونها! الأشياء القاسية التي يقولونها...

تظرت إليها باستغراب، فهذا الانزعاج البالغ لم يكن أبداً مما
يمكن أن يصدر عن غريزلا. لاحظت نظرتي إليها وحاولت الابتسام
قليلة: لا تنظري إليّ كما لو كنت من فصيلة غريبة لا تفهمها يا لين.
دعنا لا نتفعل أبوتعد عن موضوعنا. لا أعتقد أن الفاعل كان لورنس
أو آن، كما أن ليس مستبعدة تماماً. لا بد من وجود طرف خفي
أو دليل ما يساعدنا.

قالت الأنسة ماربل: فكروا بالرسالة. لعلكم تذكرون قولي هذا
الصباح إن أمر الرسالة قد أثار انتباهي باعتباره مسألة غريبة جداً؟

قلت: يبدو أنها تحدد وقت الوفاة بدقة كبيرة. ومع ذلك،
أترين ذلك ممكناً؟ لقد كان من شأن السيدة بروثيرو أن تكون - في
هذه الحال - قد غادرت المكتب لتوها. ما كانت لتمتلك من الوقت
ما تصل به إلى المرسى. التفسير الوحيد الذي أجده لهذا الأمر هو أن
السيد بروثيرو قد اعتمد على ساعته، وأن ساعته كانت متأخرة،
يبدو لي ذلك حلاً معقولاً.

قالت غريزلا: لذي فكرة أخرى. افترض يا لين بأن ساعة
السعد قد تم العبث بها فعلاً... كلاً، هذا ينتهي بنا إلى نفس
الوضع... ما أعجاني!

- لم تكن الساعة قد أهدلت عندما غادرت المكتب. أذكّر أنني
قارنتها مع ساعتى، ومع ذلك فليس للأمر - كما قلت - أي علاقة
بالوضع الحالي.

سألت غريزلا: ما رأيك يا آنسة ماربل؟

أجابت الأنسة ماربل قائلة: يا عزيزتي، أعترف بأنني لم أكن

أفكر بالأمر من هذه الزاوية أبداً. إن ما لفت انتباهي منذ البداية كأمر بالغ الغرابة هو موضوع تلك الرسالة.

قلت: لا أرى ذلك، فكل ما في الأمر أن الكولونيل بروثيرو كتب يقول إنه لم يعد يستطيع الانتظار.

قالت الأنسة ماربل: عند الساعة السادسة والثلث؟ لقد أخبرته عادميتكم بأنك غالباً لن تعود قبل السادسة والنصف في أحسن الأحوال، وبدا أنه مستعد تماماً للانتظار حتى ذلك الوقت. ومع ذلك يجلس في السادسة والثلث ليقول إنه "لا يستطيع الانتظار بعد".

حدثتُ بالمرأة العجوز وأنا أشعر باحترام متزايد لقواها العقلية؛ فقد أدرك ذهنها المتوقد ما غفلنا في إدراكه. كان ذلك شيئاً غريباً... غريباً جداً.

قلت: لو أن الرسالة لم تلزم فقط...

أوصات الأنسة ماربل برأسها وقالت: بالضبط، لو أنها فقط لم تلزم.

عندما بتفكيري إلى الوراء، محاولاً تذكر تلك الصفحة من ورق دفتر الملاحظات بما فيها من كتابة بخط صغير كتب على محمل، وفي أعلاها ذلك الرقم الذي كتب بشكل مرتب دقيق: ٦٠٢٠. من المؤكد أن ذلك الرقم كان مختلفاً عن بقية الرسالة.

شعرت وقلت: ماذا لو لم تكن الرسالة مؤرخة؟ نفترض أن الكولونيل بروثيرو بدأ في حوالي السادسة والنصف بفقد صبره وجلس ليكتب أنه لن يستطيع الانتظار لأكثر من ذلك، وبينما كان

يجلس هناك ويكتب دخل شخص من الباب الزجاجي...

قاطعتني غريزelda قائلة: أو من الباب الصادي للمكتب.

- ولكنه كان يسمع صوت الباب ويلتفت.

قالت الأنسة ماربل: لقد كان الكولونيل بروثيرو شبه أصم كما نذكر.

قلت: نعم، هذا صحيح.. ما كان يسمع شيئاً. ولكن كأنما ما كان مدخل القاتل، فإنه تسلسل خلفه وأطلق عليه النار، ثم وضع رقم ٦٠٢٠ في أعلى الرسالة وبذل الساعة إلى ٦٠٢٢. كانت تلك فكرة ذكية؛ فمن شأنها أن تعطيه دليل غياب متتاراً عن مكان الجريمة، أو أن هذا ما سيفكر فيه.

قلت غريزelda: وبذلك يكون ما تبحث عنه الآن شخصاً يملك دليل غياب لا يرقى إليه الشك عن مكان الجريمة في الساعة السادسة والثلث، ولكن لا يوجد مثل هذا الدليل القوي بالنسبة ل... ليس ذلك بالأمر السهل. من الصعب جداً تحديد الوقت.

قلت: يمكننا حصره ضمن فترة محدودة جداً. إن الدكتور هيدوك يقول إن الجريمة ارتكبت قبل السادسة والنصف بالتأكيد. وأحسب أن بوسع المرء - بالاعتماد على ما كنا تناقشه من فرضية - أن يرفع هذا المسقف إلى السادسة وخمسين وثلاثين دقيقة، إذ يبدو واضحاً أن بروثيرو ما كان ليفقد صبره قبل السادسة والنصف. أفلس أن يوسعا القول إننا نعرف الكثير الآن.

قالت الأنسة ماربل: إذن فذلك الطلقة التي سمعتها... نعم،

أظن ذلك ممكناً تماماً. وأنا التي تم أفكر فيها.. لم أفكر فيها يوماً.
أمر مزعج تماماً! ومع ذلك يبدو لي الآن وأنا أحاول التذكر أنها
كانت مختلفة بعض الشيء عن الطلقات التي يسمعها المرء - نعم،
كان فيها اختلاف.

- أكانت أعلى صوتاً؟

قالت الأنسة ماربل إن الطلقة لم تكن أعلى صوتاً، بل إنها
وحدت صعوبة في تحديد وجه الاختلاف، ولكنها أصرت - مع
ذلك - على وجود اختلاف ما. وفكرت أنها ربما كانت تقع نفسها
بالأمر أكثر مما كانت تتذكره بالفعل، ولكنها كانت قد أنهكت
نفسها في طرح منظور جديد بالغ القيمة في تناول القضية بحيث
شعرت بحظهم الاحترام لها.

نهضت وهي تتعمق قائلة إن عنها أن تذهب، وإنه كان من المنع
كثيراً بالنسبة لها استعراض القضية ومناقشتها مع عزيزة غريزلد. وافقت
حتى الحدار الفاصل بين بيتنا والبوابة الخلفية ثم عدت لأحد غريزلد
حارقة في التفكير، فقلت لها: أما زلت تفكرين بذلك الرسالة؟

- كلا.

ارتعدت قليلاً وقد ضمنت كفيها بنفاد صبر وقالت: لين، لقد
كنت أفكر... إلى أي مدى غطيت كان أحدهم بكراهة أن يروني؟

- يكرهها؟

- نعم.. ألا ترى؟ ليس من دليل حقيقي ضد لورنس... كل
الدلائل القائمة ضده لا تدعو أن نكون طرفية إذا صح التعبير. ضد

صدف أن عطر نه القديوم إلى هذا المكان، ولو لم بدأت لما عطر
لأحد أن يربط بينه وبين الجريمة. ولكن وضع أن مختلف... لنفترض
أن أحدهم عرف أنها كانت هنا في تمام السادسة والثلث...
فلما عرفت وثبوت المكنوب على الرسالة... كل شيء يشير إليها. لا
أظن أن المنفع من ضبط الساعة على ذلك الوقت بعينه كان مجرد
الحصول على دليل غياب عن مكان الجريمة... أظن أن في الأمر ما
هو أبعد من ذلك... إن فيه محاولة مباشرة لإلصاق التهمة بها.
ولولا شهادة الأنسة ماربل بأن السيدة برونبرو لم تكن تعمل
مستديماً، وملاحظتها بأنها لم تمكث في البيت سوى دقيقة قبل أن
تذهب إلى المرسوم... نعم، لولا شهادتها تلك...

ارتعدت ثانية وقالت: لين، إنني أشعر أن أحدهم كان يكره أن
برونبرو كرهاً شديداً. وأنا... وأنا غير مريحة للأمر.

• • •

أيضاً قصتها، كما أننا لم نصدق قصتك. إن الدكتور هيدوك يحزم بأنه ليس من الممكن أن تكون الجريمة قد ارتكبت في الوقت الذي تقول أنت إنك ارتكبتها.

- الدكتور هيدوك يقول ذلك؟

- نعم، وهكذا ترى أنك بريء سواء أعجبك ذلك أم لم يعجبك. والآن نريد منك مساعدتنا وإخبارنا بما حدث بالضبط.

بقي لورنس متردداً ثم قال: أنراكم تعددوني... بشأن السيدة برونيرو؟ ألا تشكون فيها حقاً؟

قال ميلتشيت: أقسم لك بشرفي.

سحب لورنس نفساً عميقاً ثم قال: لقد كنت مغفلاً... مغفلاً تماماً. كيف استطعت للحظة أن أنكر بأنها هي التي فعلتها؟

- لماذا لا تخبرنا كل شيء عن الأمر؟

- لا كثير يقال. لقد... لقد قابلت السيدة برونيرو عصر ذلك اليوم...

توقف قبله ميلتشيت قائلاً: إننا نعرف كل شيء عن هذا الأمر. ربما حسب أن متاعرك تجاه السيدة برونيرو ومشاعرها تسببت كانت سرّاً عميقاً، ولكنه كان في الحقيقة أمراً معروفاً وبنار تعليقات عدة. وعلى أية حال فلا بد من ظهور كل شيء الآن.

- حسناً إذن، أراك محقاً في ذلك. كنت قد وعدت الكاهن (وامشرق غفرة إلي) أن أغادر البلدة فوراً. قابلت السيدة برونيرو في

الفصل الثاني عشر

استدعيت إلى غرفة المكتب عندما وصل لورنس ريدنغ. بدا منهكاً مضطرباً، بل ومرتاباً كما شعرت. حياه الكولونيل ميلتشيت بما كان يكون وداً وقال: نريد توحيه بعض الأسئلة إليك... هنا في موقع الحدث.

كسر لورنس قليلاً وقال: أليست تلك فكرة فرنسية... إعادة بناء الجريمة؟

قال الكولونيل: يا فتاي العزيز، لا نعلم إلى هذه اللهجة معنا. أنعلم أن شخصاً آخر اعترف بارتكاب الجريمة التي ندعي ثوبكاً بها؟

كان تأثير هذه الكلمات على لورنس مؤلماً وفورياً، فقد تلثم قائلاً: شش... شخصاً آخر؟ من... من؟

قال الكولونيل وهو يراقبه: السيدة برونيرو.

- مستحيل! لم تفعلها أبداً... ليس ذلك ممكناً، مستحيل.

فاضعه الكولونيل ميلتشيت قائلاً: الغريب أننا لم نصدق نحن

تلك الأمسية في الرسم في الساعة السادسة والرابع... أخبرتها بما
اعتزمت فعله، ووافقتني هي على أنه التصرف الأفضل. ثم... ثم
ودعنا بعضنا بعضاً. عرجنا من الرسم وسرعان ما انضم إلينا الدكتور
ستون. استطاعت أن التصرف بشكل طبيعي بشير الإعجاب، أما أنا
فلم أستطيع ذلك. ذهبت والدكتور ستون إلى فندق بلومبور حيث
تناولت القهوة، ثم فكرت أن من الأفضل أن أذهب إلى البيت،
ولكن عندما وصلت إلى هذا الطريق غيرت رأسي وقررت أتحكي
لرؤية الكاهن. شعرت أنني بحاجة للتحدث مع أحد في الأمر، وبعد
الباب أخبرني المساعدة بأنه في الخارج وسيعود بعد قليل وأن
الكولونيل برونيرو موجود في المكتب ينتظره. حسناً، لم أرغب بالعودة
ثانية من حيث أتيت... بدا لي ذلك تصرفاً بوحشي وكأني أنقضى
لقاؤه، ولذلك قلت إنني سأنتظر أنا أيضاً، وذهبت إلى المكتب.

مكنت قليلاً فحتم الكولونيل قائلاً: حسناً؟

- كان برونيرو حالماً إلى طاولة الكتابة، كما وجدتموه تماماً.
ذهبت إليه... لمسته، موحدته ميتاً، ثم نظرت إلى الأرض فوجدت
المسلسل مرمياً بجانبه. رفعته... وأدركت فوراً أنه كان مسدسي،
وقد أزعجني ذلك: مسدسي أنا! وبعدها فكرت مباشرة إلى استئجار
واحد، وهو أن قد أخذت يوم ربه مسدسي في مناسبة ما...
ربما مقصد استعماله ضد نفسها إذا فقدت القدرة على التحمل، وربما
كان معها اليوم. وبعد أن افترقنا في القرية لا بد أنها عادت إلى هنا
و... أوه! أفقتني كنت محتونة إذ فكرت بمثل هذا الأمر، ولكن هذا
ما فكرت فيه. دمست المسلسل في جيبي وخرجت. وعالج بولبة
البيت تماماً التفت بالكاهن، وقال لي شيئاً لطيفاً وطبيعياً حول رؤية

برونيرو. وفحاة انتهيت رغبة حاصلة بالضحك. كان أسلوبه شديد
الطبيعية والاعتدالية، فيما أنا واقف هناك في غابة التوتر. وأذكر
أنني صحت بكلام ضعيف ما رأيت وجهه بغير. أفقتني كنت قد
شارفت على المحنون. وقد رحت أمشي وأمشي... وفي النهاية لم
أعد أستطيع التحمل، فلنكن كانت أن قد فعلت هذا الأمر الكريمة
فلتني مسؤول أخلاقياً على الأكل. وهكذا ذهبت وسلمت نفسي.

سأد لمصمت عندما انتهى، ثم قال الكولونيل بلهجة عملية:
لقد فقط أن أسأل سؤالاً أو اثنين. أولاً: هل لمست الحنة أو حركتها
بأي شكل؟

- لا، لم ألمسها أبداً. كان يوسع المرء أن يرى أنه ميت دون
أن يلمسه.

- هل اشتيت لو حود ملاحظة مكتوبة فرق دفتر الملاحظات
ببحث بكثرة نصفيها بحضتي نعت الحنة؟

- لا.

- هل بحثت بالمساحة بأي شكل من الأشكال؟

- لم ألمس الساعة أبداً. أفقتني أذكر وجود ساعة جدارية
مقفولة على الطاولة، ولكنني لم ألمسها.

- حسناً بالنسبة لمسدسك ذاك، متى رأيته آخر مرة؟

- فكر لورنس قليلاً ثم قال: من الصعب تحديد ذلك بدقة.

- أين تحتفظ به؟

- ضمن مجموعة من الأغراض المتنوعة في غرفة المجلس في بيتي، على أحد رفوف عزلة الكتب.

- وقد تركته ملفى هناك دون اهتمام؟

- نعم، لم أفكر فيه في الواقع... كان مكانه دوماً هناك.

- بحيث يمكن لكل من يأتي إلى منزلك أن يراه، ليس كذلك؟

- نعم.

- وأنت لا تذكر آخر مرة رأيته فيها؟

قطب لورنس حاجبيه في محاولة للتذكر ثم قال: أكاد أكون واثقاً أنه كان هناك أول أمس! أتذكر أنني أزعته جانباً لأخذ غبونا قديماً. أظن ذلك كان يوم أمس الأول... أو اليوم الذي سبقه.

- من زار بيتك مؤخراً؟

- أوه! أناس بالجملة... دوماً نرى أناساً يدخلون ويخرجون.

- هل تقل بيتك عندما تخرج؟

- لا، ولماذا عساي أفعله؟ ليس عندي ما يسرق، كما أن أحداً لا يفتل بابي في هذه القرية.

- من الذي يرعى لك شؤون المنزل؟

- ثاني سيدة تدعى السيدة آرثر كل صباح لهذا الغرض.

- أظنها تذكر متى كان المسكن في مكانه آخر مرة؟

- لا أعرف، ربما تذكرت. ولكنني لا أحسب أن من مصيرات السيدة آرثر تنظيف الكامل لكل الزوايا.

- هذا يعني - إذن - أن أي امرئ ربما كان قد أخذ المسكن؟

- يبدو الأمر كذلك... نعم.

فتح الباب ودخل الدكتور هيدوك مع أن بروثيرو. جلست المرأة لرؤية لورنس، أما هو فقد قام بمطوية مترددة بانتعاشها وقال: سامحيني يا أن، فقد كان فظيلاً أن أفكر فيك على ذلك النحو.

- إن... إنني...

تلعثمت بالكلام، ثم نظرت بنوسل إلى الكولونيل ميلشيت وقالت: أصبح ما قاله لي الدكتور هيدوك؟

- أن السيد رينغ بريء من أية تهمة؟ نعم. والآن ماذا بشأن نصبتك أنت يا سيدة بروثيرو؟ إنه، ماذا بشأنها؟

ابتسمت وقد بدا عني وجهها شيء من الشعور بالعار وقالت: أحسب أنكم ترون ذلك تصرفاً فظيلاً مني، ليس كذلك؟

- لنقل إنه تصرف أحقق تماماً، ولكن ذلك كله انتهى. ما أوله الآن يا سيدة بروثيرو هو الحقيقة... الحقيقة الكاملة.

قومات برأسها عابسة وقالت: سامحك. أحسبك تعلم عن... عن كل شيء.

أجبت بالإيجاب، فقالت: كان مقرراً أن أقابل لورنس في ذلك المساء في المسرح، عند الساعة السادسة والربع. كنت قد جئت أنا

وزوجي بالسيارة إلى القرية، وكنت بحاجة لبعض التسوق. وعندما
انفترقا أشار زوجي عرصاً إلى أنه ذهب لرؤية الكاهن. ولم أستطع
إرسال خبر بذلك إلى نورس. وشعرت باضطراب كبير. فقد... فقد
كان غطياً أن أقايته في حديقة بيت الكاهن بينما يكون زوجي في
البيت ذاته.

استمرت وحشتها وهي تقول ذلك؛ إذ لم تكن تلك لحظة
مريحة بالنسبة لها. ثم أكملت تقول: فكرت بأن زوجي ربما لا
يملك منزلاً هناك، ولكي أعرف ذلك حثت غير الشمسى الخلفي
ودخلت الحديقة. كنت أمل ألا يراني أحد، ولكن الأنسة المحبوز
ماربل لا بد أن تكون في حديقته بالطبع! أوفقتني وثباتنا يضع
كلمات؛ وشرحت لها أنني ذاعبة لسعادة زوجي. شعرت أن عليّ أن
أقول شيئاً لا أدري إن كانت قد صدقتني أم لا. لقد بدت... غريبة
بعض الشيء. وعندما تركتها ذهبت مباشرة إلى بيت الكاهن
والعطفت عند زاوية المنزل لأذهب إلى الباب الزجاجي للمكتب.
قسلت إلى الباب الزجاجي بكل هدوء وأنا أتوقع سماع أصوات
المشكنين في المكتب، ولكن لم أسمع - ندهتني - أي أصوات.
نظرت إلى داخل المكتب فوجدته فارغاً فأسرعت عبر مرحة الثعب
إلى الممرس حيث ما لبث نورس أن انضم إليّ مباشرة تقريباً.

- أتقولين إن المكتب كان فارغاً يا سيدة برونو؟

- نعم، فزوجي لم يكن هناك.

- غريب جداً.

قال المفتش: أنتعين يا سيدتي أنك لم تراه؟

- نعم، إنني لم أراه.

همس المفتش سلاك في أذن الكولونيل الذي أومأ برأيه موافقاً
فقال للمفتش: هل لك يا سيدة برونو أن ترينا بالضبط ما فعلته؟
- بالطبع.

نهضت، وفتح لها المفتش سلاك الباب الزجاجي فعبته إلى
المصطبة في الخارج ثم مضت حول البيت إلى الجهة اليسرى.

طلب مني المفتش سلاك بلهجة أمرية أن أذهب وأجلس إلى
طاولة الكتابة. ولسبب ما لم يعجبني كثيراً القيام بذلك؛ إذ سبب لي
صعوراً بعدم الارتياح. ولكنني أذعنت طبعاً لطلبه. وسرعان ما سمعت
صوت عتورات في الخارج، توقفت قليلاً ثم تراجعت. أشار المفتش
سلاك إليّ قائلاً: إن يوسعي العودة إلى الجانب الآخر من الغرفة.
عادت السيدة برونو فدخلت من الباب الزجاجي، فسألها الكولونيل
مباشرة: أهكذا كان الأمر بالضبط؟

- بالضبط كما تظن.

تدخل المفتش قائلاً: تستطيعين - إذن - أن تعبريني يا سيدة
برونو أين كان الكاهن بالضبط في الغرفة عندما نظرت الآن؟

- الكاهن؟ لا، أعني ألا أستطيع تحديد مكانه؛ فأنا لم أراه.

أومأ المفتش برأيه وقال: وهكذا لم تري زوجك؛ فقد كان
حلف الزاوية يجلس إلى طاولة الكتابة.

شهقت: أوه! توقفت وقد اتسعت عيناها واستدارنا رعباً ثم

قالت: أكان ذلك هو المكان الذي... الذي...

- نعم يا سيده بروثيرو. حدث ذلك بينما كان يكتب هناك.

ارتعدت وشبهت مرة أخرى، وحضتي هو في أسفله: أكنت تعرفين يا سيده بروثيرو أن لدى السيد ريدنغ مدس؟

- نعم، أخبرتني مرة بذلك.

- هل سبق لك أن استقبلت قط بذلك المدس؟

- لا.

- أكنت تعرفين أين يحتفظ به؟

- لمست متأكدة من ذلك. أظن... نعم، أظنني رأته على أحد الرفوف في بيته. أليست تضعه هناك يا لورنس؟

- متى زورت بيت السيد ريدنغ آخر مرة يا سيده بروثيرو؟

.. هناك نحو ثلاثة أسابيع، تناولنا الشاي أنا وزوجتي هناك.

- ولم تزوري البيت منذ ذلك الوقت؟

- لا، لم أذهب أبداً هناك، فذلك يثير الكثير من الأسئلة في القرية كما تعلم.

قال الكولونيل ميلشيت ببرود: بالتأكيد. هل كنت متأكدة على رؤية السيد ريدنغ، إن سمحت لي بالسؤال؟

- لقد اعتاد المجيء إلى بيتنا. كان يرسم ليني، وكان...

نوماً الكولونيل برأسه، وقالت هي بصوت هذا فجأة منهاراً: ألا يكفي هذا؟ قطع جداً أن اضطر لإخباركم بكل هذه الأشياء. كما... كما لم يكن في علاقتنا شيء. لم يكن فيها شيء، فعلاً، كنا مجرد أصدقاء، ولم يكن إلا الاهتمام ببعضنا البعض.

نظرت متوسلة إلى الدكتور هيدوك فتقدم ذلك الرجل رفيق القلب وقال: أغل حفاً يا ميلشيت أن ما شهدته السيدة بروثيرو يكفي. لقد تعرضت لصدمة كبرى... بأكثر من طريقة.

قال رئيس الشرطة: لم يعد لدينا المزيد من الأسئلة يا سيده بروثيرو. أشكرك على إجابتي بكل تلك الصراحة.

- إذن... إذن، هل أستطيع الذهاب؟

سألني هيدوك: هل زوجتك في الداخل؟ أظن السيدة بروثيرو ترغب برؤيتها.

- نعم، غريزelda في الداخل. متجذبتها في غرفة المجلس.

غادرت الغرفة برفقة الدكتور هيدوك والسيد ريدنغ، وقد زم الكولونيل ميلشيت شفتيه وأخذ يبحث بمسكين لفصح الرسائل، أما سلاك فكان ينظر إلى الرسالة التي تركها القتل (وعندها ذكرت نظرية الأنسة ماربل). نظر سلاك إلى الرسالة بإعجاب ثم هتف: يا إلهي، أظن أن المحور على حق. أنظر هنا يا سيدي، أترى؟ هذه الأرقام كتبت بحبر مختلف... الوقت هنا كتب بقلم حبر بالتأكيد.

انفعلنا جميعاً، وقال الكولونيل: أظنك أخذت البصمات عن الرسالة دون شك.

- ماذا تظن يا كولونيل؟ لم تكن عليها أية بصمات، أما على
المسلس فالبصمات لفيد وبدنغ. ربما كانت عليه بعض البصمات
الأخرى قبل أن يشرع بمحاqqته ويأخذ المسلس ويضعه في حية، أما
الآن فليس من شيء واضح يمكن إثباته.

قال الكولونيل متأملاً: في البداية بدت القضية واضحة تماماً
ضد السيدة بروثيرو. كانت لدينا شهادة تلك المحور ماربل بأن
السيدة بروثيرو لم تكن تحمل معها مسدساً، ولكن هؤلاء المعائن
غالباً ما يُعطشون.

سكت، ولكنني لم أكن أتفق معه. كنت واقفاً تماماً بل أن
بروثيرو لم تكن تحمل مسدساً إن كانت الأنسة ماربل تقول ذلك؛
فليس الأنسة ماربل من تلك المعائن اللاتي يرتكبن أخطاء. بد
لديها موهبة لا نحبب أبداً في التحليل الصائب.

- ما يحيرني أن أحداً لم يسمع الطلقة. لو أنها أطلقت وقتها
فلأبد أن أحداً قد سمعها... حتى وإن ظن أنها أتت من مكان
آخر. من الأفضل يا سلاك أن تتكلم مع العقامة.

تحرك المفتش سلاك بتيقظ نحو الباب، ففالت له: الأفضل ألا
تسألها إن كانت قد سمعت طلقة في الحنزل، لأنها ستكر سماع
ذلك. معها طلقة في القاية، فذلك هي الطلقة الوحيدة التي يمكن أن
تعترف الفتاة بسماعها.

قال المفتش قبل خروجه: إنني أعرف كيف أتدير أمرهن.

قال الكولونيل متأملاً: الأنسة ماربل تقول إنها سمعت صوت

طلقة فيما بعد. يجب أن نرى إن كان يوسعها تحديد الوقت بشكل
دقيق، ربما كانت تلك بالطبع طلقة حادثة لا علاقة لها بموضوعنا.

وافقت قائلاً: ذلك ممكن بالطبع.

خرج المفتش الغرفة حية وذهاباً، ثم قال فجأة: أندري يا
كليمنت، لدي شعور بأننا سنكتشف أن هذه القضية أصعب وأدق
بكثير مما تظن حياً. نأ لها، إن ورايها شيئاً شيئاً لا نعرفه. إننا
ما نزال في البداية. تذكر كلمتي هذه: إننا ما نزال في البداية. كل
هذه الأشياء: الساعة والرسالة والمسلس، لا معنى لها بشكلها المجرد!

هزئت رأسي حيرة، فلم يكن لتلك الأشياء معنى بالتأكيد.
أضاف الكولونيل: ولكنني سأصل إلى قرار هذه القضية. لن أستهني
شرطة سكونلانبارد... إن سلاك رجل ذكي، إنه كلب جيد جيد لا
يهلأ، وسيجد طريقه إلى الحقيقة. لقد قام بعدة إنجازات سابقاً،
وستكون هذه القضية أشهر إنجازاته. من شأن البعض أن يسارعوا
لاستدعاء سكونلانبارد، أما أنا فلن أفعل ذلك. سنصل إلى قرار
هذه القضية هنا في داونشير.

- أمل ذلك بالتأكيد.

حاولت جعل صوتي حماسياً، ولكنني كنت قد كرهت المفتش
سلاك أساساً إلى درجة جعلت إمكانية نجاحه لا تروق لي. ورأيت
أن سلاك سيكون في حال نجاحه - بنيتاً أكثر منه في حال إخفاقه.

سأنتي المفتش فجأة: من يقيم في البيت المجاور لكم؟

- أنتي ذلك الواقع عند نهاية الطريق؟ السيدة برايس ريللي.

- متذهب إليها بعد أن يفرغ سلاك من عاداتك فربما كانت قد سمعت شيئاً. أرحم ألا تكون صماء ثم ما شابه ذلك؟

- بل أظن أن سمعها جيد تماماً، بليل حجم الفضائح التي أنارتها بسبب "ما تنامي صدقة إلى صانعها".

- هذه هي نوعية النساء التي نريدها. لود! ها هو سلاك.

كان سلاك يبدو كمن عرج من معركة، قال لودي دعوله: يا إلهي! إن لديك يا سيدي عادمة فظيمة.

أجبت: إن ماري فتاة ذات شخصية قوية بالفعل.

- إنها لا تحب الشرطة. لقد حفرتها... حاولت جاهداً أن أثبت لي قلبها المعروف من القانون ولكن دون جدوى... واحتمى بكل لود.

قلت وقد شعرت بتعاطف أكبر مع ماري: إنها ضائعة.

- ولكنني أجبرتها على كشف دليها. لقد سمعت طلقة واحدة.. واحدة فقط. وكان ذلك بعد وقت طويل من محمي الكولونيل بروثيرو. ثم استطع حملها على تحديد وقتي بعينه، ولكننا حدثنا ذلك أخيراً بواسطة السمكة. فقد تأخرت السمكة وقامت هي بشأنب الصبي عندما أحضرها، وقال لودي إن الساعة لم تتجاوز السادسة والنصف، وكان ساعها للطلقة بعد ذلك مباشرة. هذا ليس تحديداً دقيقاً بالطبع، ولكنه يعطينا فكرة عن الوقت.

همهم الكولونيل علامة الفهم فأضاف للمقش وفي صوته نبرة

أسف: لا أحسب السيدة بروثيرو متورطة في هذا الأمر، فهي ما كانت أولاً لتمتلك الوقت الكافي، ثم إن النساء لا يعطن عموماً للعت بالأسلحة النارية. لورينج أقرب لطبيعتهم. كلا، لا أظنها المفاعلة. أمر مؤسف!

تهدد أسفاً، وقال ميكتيت إنه ذاهب إلى بيت السيدة برايس رينلي فوققه المفتش. وسأله أنا: أيمكن أن آتي معكما؟ لقد أعددت أنشد لهذا الأمر.

حصلت على الموافقة والطلاق. ولدي خروجنا من البوابة واجهتنا صيغة نحية عالية من ابن أعمي دينيس الذي صعد الطريق مسرعاً قاصداً من القرية لينضم إلينا. قال للمفتش: اسمعني أيها المفتش، ماذا عن آثار لقدم التي أخبرتك عنها؟

أجاب المفتش بالتصايب: أقدام ليستاني.

- ألا تظن أنه ربما كان شعصاً ارتدى حذاء البستاني؟

أجاب المفتش بأسلوب متبط: كلا، لا أظن!

ولكن تشيط دينيس كان يتطلب أكثر من ذلك بكثير. مد يده يودّي تقاب محترفين وقال: لقد وجدت حلين عند بوابة البيت.

أعطينا سلاك ووضعها في حبه قائلاً: أشكرك.

بدا الآن أن الأمور وصلت إلى طريق مسدود، وبغضه سأل مفتش بطرانة حيلة التوقيت: لا أظنك تعطل العم لين، أليس كذلك؟

سأله سلاك: ولماذا أعطته؟

قال دينيس: توجد الكثير من الدلائل ضدّه. أسأل مارى... في اليوم السابق للحرمة فقط كان يتنى خلاص العالم من الكولونيل بروثيرو، أليس ذلك صحيحاً يا عم لين؟

بدأت قائلاً: "الواقع..." فيما التفت إليّ المفتش سلاك بنظرة اوتياب شعرت معها بأن جسمي غدا حاراً كله... إن دينيس مزعج جداً بالفعل! كان عليه أن يدرك أن الشرطة نادراً ما يعرفون المزاح.

قلت بغضب: لا تكن سعيماً يا دينيس!

فتح الصبي البريء عينه مندهشاً وقال: أقول إنها كانت مجرد مزحة. لقد قال العم لين إن من شأن امرئ بفشل الكولونيل بروثيرو أن يكون قد أدى خدمة كبرى للعالم.

قال المفتش: آه! ذلك يفسر شيئاً غائباً المعادمة.

لقد دم أيضاً نادراً ما يعرفون المزاح. شئت دينيس في داسلي بكل حنق لإثارة هذا الموضوع! فهذا إلى جانب مسألة الساعة سبحانه المفتش يرتاب بي طوال حياته.

قال الكولونيل ميتشيت: هيا يا كليمنت.

سأل دينيس: إلي أين تذهبون؟ أأستطيع الذهاب معكم أيضاً؟

صحت به: كلا، لا نستطيع.

فركناه ينظر خلفنا محروح المشاعر، وذهبنا إلى طياب الأمامي الحميل لبيت السيدة برايس ريدلي. فرع المفتش حرس الباب ثم فرع الباب بالمطرقة الخاصة بذلك وهو يفعل ذلك كله بأسنوب

رسمي. استعجبت خادعة جميلة لقرع الباب فسألها الكولونيل ميتشيت: هل السيدة برايس ريدلي في الداخل؟

- كلا يا سيدي. لقد ذهبت لنوها إلى مركز الشرطة.

كان هذا تطوراً غير متوقع على الإطلاق، وبينما نحن نعود أدراجنا أمسكي ميتشيت من ذراعي وتمتم قائلاً: إن كانت ستعرف بارتكاب الجريمة أيضاً فسوف أفقد عقلي فعلاً.

* * *

استسامة تهذيب الكولونيل الذي ياترها قائلاً: لقد كنا في زيارة
لبيتك قبل قليل يا سيده ريدلي، وسمعت أنك جئت إلى هنا.

تحملعل فوراً تشنج السيدة ريدلي كله وقالت: آه! إني سعيدة
لأن الحدث قال بعض الاهتمام. إني أسمى ذلك مشيناً... مشيناً
جداً!

ما من شك في أن القتل عمل مشين، ولكنها ليست الكلمة
التي كنت سأستخدمها - شخصياً - لوصف القتل. ربما لي أن الكلمة
أعشت ميلتشيت أيضاً فقال: أذلك ما يلقي الضوء على القضية؟
- هذا عمل الشرطة... إنه عمل الشرطة. لماذا تدفع الضرائب
والرسوم. هذا ما أريد معرفته؟

يتساءل المرء كم مرة يطرح هذا السؤال في العام الواحد!
قال الكولونيل: إننا نقوم بكل ما نستطيع يا سيده ريدلي.
صاحت السيدة قائلة: ولكن هذا الرجل هنا لم يسمح بالامر
محرد سماع حتى أخبرته به!

نظرنا جميعاً إلى الشرطي فقال: لقد تم اتصال بالسيدة هاتنيا.
أعني أن أحدهم أزعجها بالهاتف... مسألة لغة بلهجة كما فهمت.
انقرجت أساور الكولونيل وقال: آوه! فهمت. كنا نتكلم في
موضوعين مختلفين. لقد أتيت هنا لتقديم شكوى، أليس كذلك؟

إن ميلتشيت رجل حكيم؛ فهو يعلم أن الأمر إذا ما نعلق بامرأة
غاضبة في توسط عمرها فلا يوجد إلا سبيل واحد للتصرف، وهو

الفصل الثالث عشر

لم أتوقع أبداً أن يكون في جمعية السيدة ريدلي أي شيء ذو
قيمة، ولكنني تساءلت عما عساه أعدها إلى مركز الشرطة. أكان
لديها حقاً دليل ذو أهمية تقدمه، أو حتى دليل نظن من أنه ذو
أهمية؟ سرعان ما سنعرف ذلك على أية حال.

وجدنا السيدة ريدلي تتكلم بسرعة فائقة إلى شرطي بدا عليه
شيء من الارتباك والحيرة. وعرفت - من الطريقة التي كانت حافة
فبتها ترتجف بها - أنها تشعر بسخط شديد. كانت السيدة ريدلي
ترندي ذلك النوع من القبعات التي تصنع في بلدة فشي بنهام
المجاورة لنا، وهي قبعات غريبة مزينة بأقواس ضخمة من الأشرطة،
وقد كانت غريزنا تهدد دوماً بشراء واحدة من تلك القبعات.

أوقفت السيدة ريدلي كلامها الدافق عند دعولنا، وسأل
الكولونيل ميلتشيت وقد نزع قبعته: السيدة برايس ريدلي؟

قلت: دعيني أعرفك على الكولونيل ميلتشيت يا سيده برايس
ريدلي. إنه رئيس الشرطة عندنا.

نظرت السيدة برايس ريدلي إليّ ببرود، ولكنها أبدت ما يشبه

الإصغاء لها. وعندما تفرغ من قول كل ما تريد قوله تكون فرصة في أن تصغي هي لك.

انطلقت السيدة برايس ريدلي في الكلام: ينبغي أن تمنع مثل هذه الحوادث المشينة... ينبغي ألا تحدث. لا يمكن أن نسم معايرة الشرع في بيته وإهانته... نعم، إهانته. إنني لم أعتد على حدوث مثل هذه الأمور. لقد حدث انحلال في السيج الاجتماعي منذ أن انتهت الحرب. لا أحد يهتم بما يتلفظ به. أما الملابس التي يلبسونها...

سارع ميلشيت إلى القول: بالتأكيد. بالتأكيد. ماذا حدث بالضبط؟ أهدت السيدة ريدلي نفسها ثم انطلقت ثانية: لقد اتصلوا بي...

- متى؟

- بعد ظهر أمس... بل مساء أمس بالأحرى. حولي الساعة السادسة والنصف. ذهبت للرد على الهاتف لا تراودني أية رغبة، وعلى العور هوجمت بشكل شرير وهذت...

- ما الذي قيل عملياً؟

احمر وجه السيدة برايس ريدلي قليلاً وقالت: هذا ما لن أقوله.

تمتم الشرطي بصوت عبق: لغة بذينة!

سأل الكولونيل ميلشيت: هل استخدمت لغة سيئة؟

- هذا يعتمد على ما تعنيه باللغة السيئة.

سألنها: هل استطعت فهمها؟

- بالطبع استطعت فهمها.

- إذن فهي ليست لغة سيئة.

نظرت السيدة برايس ريدلي إلى بارتياك فشرحت ملاحظتي قائلاً: إن سيئة عالية التهذيب لا تكون عادة باللغة السيئة.

قالت السيدة برايس ريدلي: لم تكن من ذلك النوع من اللغة. على أن أعترف أنني خدعت تماماً في البداية. ظننتها رسالة حقيقية مراد بإصالتها، ثم بدأ ال... المتكلم يسيء.

- يسيء؟

- يسيء كثيراً... لقد ذعرت تماماً.

- واستخدم لغة تهديد، أليس كذلك؟

- نعم، وأنا غير معتادة على من يهددني.

- بماذا هددوك؟ بأذى جسدي؟

- ليس تماماً.

- إن عليك يا سيدة برايس ريدلي أن تكوني أكثر وضوحاً.

بأية طريقة تم تهديدك؟

بدأت السيدة برايس ريدلي في غاية التردد قبل الإجابة على هذا السؤال. قالت: لا أذكر تماماً. كان الأمر كله مزعجاً جداً، ولكن في النهاية تملاً... عندما كنت قد انزعجت بالغ الإنزعاج قام ذلك ال... ذلك الشخص بالضحك.

- إذن فقد كان الصوت صوت رجل، أليس كذلك؟

- كان صوتاً منقطعاً لا جنس له... لا يمكنني وصفه إلا بأنه صوت شاذ مزيف. مرة أحش، ومرة رفيع حاد. كان حقاً صوتاً غريباً جداً!

قال الكولونيل مهدناً: ربما كان ذلك مزحاً من أحد.

- إن كان كذلك فهو أكثر التصرفات شراً وأذى. كان يمكن أن أصاب بنوبة قلبية.

- سوف نحقق بالموضوع. ما رأيك أيها المفتش؟ أرحب أن تصحب مصدر المكالمة الهاتفية. ألا تستطيعين إخباري بمزيد من التتبع ما الذي قيل بالضبط يا سيدي برايس ريدلي؟

نشب في صدر السيدة برايس ريدلي الضمغم صراع بين الرغبة في التخليص في كلامها وبين الرغبة في الانتقام، وقد فازت الرغبة في الانتقام فبدأت تقول: هذا لن يخرج طبعاً أحد من هنا.

- بالطبع لن يخرج.

- لقد بدأ هذا المخلوق بالقول... لا أكاد أستطيع حمل نفسي على تكرار كلامه...

قال ميلنشتيت مشجعاً: نعم، نعم؟

- قال لي: "أنت عجوز شريرة تعيش على الفضائح" أنا عجوز شريرة تعيش على الفضائح يا كولونيل؟ ثم قال: "ولكنك تصادقت هذه المرة، وسكوتك لا يبرأ من تعقبت جبهة اللع والفرح".

قال ميلنشتيت وهو يعض على شاربته لإخفاء ابتسامته: من الطبيعي أن يزعجك ذلك كثيراً.

- ومضى المتحدث يقول: "وألم تمسكي لسالك في المستقبل فسكون ذلك وبالأعلى عليك". لا أستطيع أن أصف لك الطريقة المبهمة التي قبلت بها هذه الجملة. وقد شغقت قائلة: "من أنت؟"، وأجابني الصوت: "المنتقم". وصدرت عني صرخة. كانت نبرته فظيمة... وبعدما ضحكك الشخص... ضحكك بشكل واضح، وانتهى بذلك الأمر وأغلق السماع. طلبت من موظفي البقالة أن يعطوني الرقم الذي اتصل منه، ولكنهم قالوا إنهم لا يعرفونه. أنت تعرف طبيعة هؤلاء الموظفين، في غاية الوقاحة وعدم الاهتمام.

قلت: صحيح.

مضت السيدة برايس ريدلي قائلة: شعرت أنني سيئس على. كنت في غاية الانزعاج والمصيبة بحيث أنني جعلت حفلة فظيمة عندما سمعت طفلة في الغابة... إلى هذا الحد وصل الأمر معي.

قال المفتش سلاك وقد تيقظ: طفلة في الغابة؟

- في حالة الانفعال التي كنت أمر فيها بدت لي وكأنها طفلة مدفع. صحت مع نفسي: "أوه؟" وألقيت بنفسي على الأريكة منهكة، وقد اضطرت كلارا إلى إعطائي كأساً من الليمون.

قال ميلنشتيت: أمر بغير الصدمة، بغير الصدمة حقاً. لا بد أنه كان أمراً متعباً جداً لك. أتقولين إن الطفلة كانت عالية الصوت جداً؟ كما لو أنها كانت قريبة منك؟

- كان ذلك من أثر حالتي العصبية فقط.

- طبعاً طبعاً. وفي أية ساعة كان ذلك كله؟ فذلك يساعدنا في تتبع المكالمة كما نعلمين.

- في حوالي السادسة والخمسة.

- ألا تستطيعين تحديد الوقت بشكل أكثر دقة؟

- حسناً، كان المنبه الصغير الذي أضعه على رف الموقد قد دقّ لتوه معلناً الساعة السادسة والنصف، وقلت في نفسي: "لا بد أن هذه الساعة تسبق" (لهي تسبق عبادة)، ولذلك فارتبعتها مع الساعة التي أضعتها لي يدي، ولكن ساعة يدي لم تكن تشير إلا إلى السادسة وعشر دقائق. وضمنتها على أذني فوجدت أنها متوقفة. ولذلك فكرت قائلة لنفسي: "حسناً، إن كانت تلك الساعة تسبق لأن أثبت أن أسمع ساعة الكنيسة صلال دقيقة أو اثنين". وبعد طبعاً أن حرس الهاتف، ونسيت كل ما يتعلق بالأمر.

- سكنت وهي تلهف، فقال الكولونيل: حسناً، هذا تحديد لا بأس به، سنتابع لك الأمر بما سيحدث برأس يدي.

- قلت أنا: لا تذكر لي بالأمر إلا كمزحة سخيفة، ولا تقلقي يا سيدة يدي.

- نظرت إلى بيروود، وبدأ واضحا أن أحداث التحية التي تجريعت به ما زال يحتل في نفسها. فانت موجهة حديثها إلى ميستيت: أمور غريبة جداً أبدت تحدث موعراً في هذه القرية. أمور غريبة جداً بالفعل! وكان الكولونيل برونيرو يتوي التديق في تلك الأمور.

فما الذي حدث له، المسكين؟ أتراني أكون أنا التالية؟

- وعند هذه النقطة اعتذرت للسفادنة وهي تهز رأسها بنزع من الكتابة المنفرة بالسوء. همس ميستيت قائلاً مع نفسه: "يا لهذا الحظ!" ثم تمنهم وجهه ونظر متساقلاً إلى المفتش سلاك.

- أولاً المفتش برأسه ببطء وقال: هذا يكاد يحل المسألة يا سيدي، أصبح لدينا ثلاثة ممن سمعوا الطلقة. علينا أن نعرف الآن من أطلقها. لقد آخرتنا مسألة ريدنج تلك، ولكن لدينا عدة نقاط انطلاق لم نصدق فيها عندما قلنا أن ريدنج مذنب. أما الآن فقد تغير الأمر كله، وأولاً ما فعله الآن هو التحقق من أمر تلك المكالمة.

- مكالمة السيدة برأس يدي؟

- كلا، رغم أنني أرى ضرورة تسجيل ملاحظة بشأن مكالمة السيدة وإلا فوجدنا المرأة تأتي لإزعاجنا ثانية هنا. ولكن المكالمة التي قصدها هي تلك المزيفة التي أعدت الكاهن عن الطريق.

- قال ميستيت: نعم، تلك مسألة مهمة.

- والأمر التالي هي تحديد ما كان يفعله كل شخص في ذلك المساء بين الساعة السادسة والسابعة. وأعني بذلك كل شخص في منزل أولد هول، وكذلك كل شخص في القرية أيضاً.

- نهذت وقلت: يا للطاقة الطراقة التي تمتلكها أيها المفتش!

- إنني لأؤمن بالفعل بالحاد... وسيداً تسجيل تحركاتك أنت يا سيد كنيست.

- بكل سرور. لقد تلقيت المكالمة الهاتفية في حوالي
الخامسة والنصف.

- أكان المتكلم رجلاً أم امرأة؟

- بل امرأة. هذا الصوت صوت امرأة على الأقل، وقد افترضت
ألياً أن السيدة أبوت هي التي تتكلم.

- ولكنك لم تميز الصوت باعتباره صوت السيدة أبوت؟

- لا، لا يمكنني القول إنني ميزته، لأنني لم ألق مالأ للصوت
بشكل خاص ولم أفكر به.

- ثم انطلقت مباشرة؟ ذهبت مشياً؟ أليست لديك دراجة؟
- لا.

- حسناً، كم استغرق منك الوصول؟

- المسافة نحو مبلين بغض النظر عن الطريق التي تسلكها.

- الطريق عبر غابة أولد هول هي الأقصر، أليس كذلك؟

- صلياً نعم، ولكنها ليست بالطريق المباشرة. لقد ذهبت عبر
الممشى الترابي بين الحقول.

- الطريق الذي ينتهي أمام بوابة بيتك تماماً؟

- نعم.

- والسيدة كليمنت؟

- زوجتي كانت في لندن، وقد عادت في تمام الساعة
السابعة إلا عشر دقائق.

- حسناً، والحادثة قابلتها. هذا ينهي مهمتنا في بيت الكاهن.
سأقادر إلى منزل أولد هول الآن، وبعدما أريد مقابلة السيدة
ليسترنج، فمن الغريب أن تذهب لروبة بروثرو في الليلة التي سبقت
مقتله... في هذه القضية الكثير من الغرائب
ونظفته على ذلك.

نظرت إلى ساعتي فاحسنت أن ساعة الغداء قد حانت تقريباً.
دعوت ميلتشيت ليشاركنا ما يتيسر من طعام، ولكنه اعتذر قائلاً إن
عليه أن يذهب إلى فندق بلو بور، والفندق يقدم وجبات ممتازة من
ال لحم والخطار. ورأيت أن اختياره كان حكيماً، فالأغلب أن تكون
مثري - بعد مقابلتها مع الشرطة - أكثر مزاحية من المعتاد.

• • •

الفصل الرابع عشر

لمي طريق عودني إلى البيت صادفتني الأنسة هارتنيل وأخبرتني عشر دقائق على الأقل وهي تحنيج بكل قوة وبصوتها الخشن العيني على فصر نظير الطبقات الدنيا وقلة عرفانها بالجميل. وبدأ أن لب المشكلة يكمن في أن الفقراء لا يربدون الأنسة هارتنيل في بيوتهم. وقد كانت عواظمي معهم كلياً، ولكنني لا أستطيع التعبير - بحكم مكانتي الاجتماعية - عن أهواني بالقوة التي يعبر بها الفقراء.

حييت عاظمها ما وسعني ذلك ثم نحوت بنفسني، وأدركني هيدوك بسيارته عند منعطف طريق بيبي فنادى قائلاً: لقد أوصلت السيدة بروثيرو لتوكي إلى بيتها.

ثم انظرني عند بوابة بيته وبادرني قائلاً: ادخل دقيقة.

واقفته ودخلت. وهناك قال وهو يرمي قبضته على أحد الكراسي ويفتح باب عيادته: هذه قضية غريبة جداً!

ألقى بنفسه على كرسي قديم وثير وحلق في الفراغ عبر الغرفة. بدأ قلقاً خائراً.

أخبرته بأننا نبحثا في تحديد وقت الطلقة، وأصفي بشكل يكاد يكون شروداً، ثم قال: هذا يعني نبرة أن بروثيرو - حسناً، يسميني ألا يكون الفاعل أيًا من هذين الاثنين؟ إنني أحبهما كليهما.

صنعت، ومع ذلك عطر لي أن أنساءل عن السبب الذي يجعل براءتهما من التواطؤ على القتل نسب له كل هذا التهم إن كان بهما كما يقول. لقد بدأ صباح هذا اليوم وكان عبثاً ثقيلاً قد انزعج عن كاهله، وها هو الآن يبدو شديد الانزعاج والقلق.

ومع ذلك كنت مقتنعاً بأنه كان يعني ما يقوله. كان يحب فعلاً أن بروثيرو ولورنس ريدنغ. ولكن لماذا إذن هذا الاستغراق للمكسب؟ عدل من جلسته بشيء من الجهد وقال: أردت أن أخبرك عن هاوز. لقد نسبت أمره نتيجة ما مررنا به من ظروف.

... أهو مريض حقاً؟

ليس به شيء خطير، أفت تعلم طبعاً أنه كان يعاني من التهاب الدماغ النعاسي، أو مرض النعاس كما يعرف عامياً، أليس كذلك؟ قلت وقد دهشت كثيراً: لا، لا أعرف شيئاً من ذلك... إنه لم يعبرني شيء من ذلك أبداً. متى أصيب به؟

- منذ نحو سنة، وقد شفي منه... شفي كأفضل ما يكون الشفاء. إنه مريض غريب... ذو تأثير معنوي غريب جداً. يمكن أن تغير هذه شخصية المرء كلياً.

سكت للحظات ثم قال: إننا نستذكر الآن بشيء من الرعب ما كنا نفعله من حرق الساحرات. وستأتي علينا - كما أعلن - أيام

نرتعد فيها إذ نتذكر إعدامنا للمجرمين.

- أنت لا تؤمن - إذن - بقوة الإعدام؟

- ليس الأمر كذلك.

سكت ثم قال ببطء: أندري، إنني لأفضل ممارسة مهنتي على

ممارسة مهنتك.

- لماذا؟

- لأن مهنتك تتعامل إلى حد بعيد مع ما نسميه: "الغشوات والمعضات"... وأنا لست واثقاً تماماً من وجود شيء كهذا. افترض أن الأمر كله لا يدور إلا على مسألة إفرازات غددية. زيادة إفراز في غدة معينة، ونقص إفراز في غدة أخرى... وينتج عن ذلك القتال أو السارق أو المجرم المزمع. إنني أعتقد بما كتبت، أنه سيأتي وقت ننظر فيه بربح إلى الفرون الطويلة التي أمضيناها ونحن نقاقب الناس على أمراض لا حيلة لهم فيها. إنك لا تشق رجلاً لإصابته بالسل؟

- ذلك أنه لا يشكل خطراً على المجتمع.

- بل يشكل خطراً في وجود من الوجود! إنه يهدد الآخرين. أو يعد مثلاً رجلاً يرى نفسه إمبراطور الصين، إنك لا تطلق صفة الشر على تصرفاته. إنني أفهم وجهة نظرك بشأن المجتمع وضرورة حمايته. يمكنك أن تمنح هؤلاء الناس حيث لا يستطيعون إبداء أحد، بل حتى أن تتخلص منهم بشكل سني، نعم يمكن أن أوافقك حتى على ذلك... ولكن لا تسم ذلك عقاباً، لا تحلب العار عليهم وعلى عائلاتهم البرينة.

نظرت إليه بفضول وقلت: لم أسمعك أبداً تتحدث هكذا من قبل!

- أنا لا أسترخص نظرياتي عادة على الملأ، أما اليوم فيأبني أطرق موضوعي المفضل. أنت ذكي يا كليمنت، ولا أظنك ستحرف بعدم وجود ما يسمى "المعضلة"، ولكن لك من سعة الأفق ما يجعلك تفكر - على الأقل - في مثل هذا الاحتمال.

- إن ذلك يضرب في الصميم كل الأفكار المستقرة

- نعم، إننا أناس ضيقو الأفق، شديدو التزمّت، أحرص ما نكون على إبطال الأحكام في قضايا لا نعرف عنها شيئاً. أنا أعتقد - بصديق - أن الجريمة موضوع ينبغي أن يعالجه الأطباء، لا الشرطة، وربما لا نعد في المستقبل شيئاً من أساليب معالجتنا الراهنة.

- أكنتم ستشغون المجتمع من الجريمة؟

- نعم، كنا سنشغله، وهي فكرة رائعة. هل سبق لك أن حرصت إحصائيات الجرائم؟ كلا... فليكون هم من دروسها، وأنا من هؤلاء القليل. لو درستها لأدعشك مقدار جرائم المراهقين، وهنا نعود إلى مسألة الفقد. عد مثلاً الشاب نيل، قاتل منطقة لوكسبورغ شير؛ قتل خمس فتيات صغيرات قبل أن يشك به أحد. وكان شاباً لطيفاً، لم تبصر منه أية مشكلات. عد ليلى روز، الفتاة الصغيرة من كورن دوول، قتلت عمها لأنه قتل عليها الحلويات. ضربته بمطرقة وهو قائم، ثم ذهبت إلى بيتها، وبعد أسبوعين قتلت أختها الكبرى من أجل قضية تافهة. لم يشق أي منهما بالطبع، بل أرسل إلى بيتو للأحداث. ربما تحسنا لاحقاً وربما لم يتحسننا. وأنا أشك في إمكانية تحسين الفتاة، فالأمر الوحيد الذي كانت تهتم له هو رؤية

قتل الخنازير. أتعلم السن التي تمحل فيها أعلى النسب في حالات الانتحار؟ بين السادسة عشرة والسادسة عشرة من العمر، ولا يتطلب الانتحار من قتل النفس بل قتل الآخرين قطع خطوة كبرى؟ ولكن الأمر ليس نفعا خلقيا... إنه نقص جسدي فيزيائي.

- إن ما تقوله فظيع!

- أبدأ كل ما في الأمر أنه حديد عليك. لا بد من مواجهة الحقائق الجديدة، وتعديل أفكار المرء. ولكن ذلك... يجعل الحياة صعبة أحيانا.

جلس هناك متجهاً وعليه سماء غريبة من النجوم والإرهاق. قلت له: هيدوك. إذا تشبهت... أو إذا عرفت أن شخصا ما قتل فهل ستسببه للمعادلة أم ستقبل في السر عليه؟

ثم أكن مستعداً أبداً لتأثير الذي أحدثه سواني. ثلثت نفسي غاضباً مرزاً وقال: ما الذي يجعلك تقول ذلك يا كليمنت؟ ما الذي في ذهنك؟ أفرحه يا رجل.

قلت وقد فوجئت قليلاً: لا شيء خاصاً. كل ما في الأمر أن جريمة القتل تشغل بالنا في هذه الفترة، وقد تساءلت كيف سيكون شعورك إن صدق واكتشفت الحقيقة، هذا كل ما في الأمر.

تلاشي غضبه، وحائق ثانية أمامه كمن يحاول قراءة جاني لمعضلة تحيره رغم أنها لا توجد إلا في ذهنه، ثم قال: إذا ما ارتبث... إذا ما عرفت... فسوف أقوم بواجبي يا كليمنت. هذا ما آمله على الأقل.

- السؤال هو: ما الذي ستعبره واجبك؟

نظر إليّ بعينين لا يترك غورهما وقال: أحسب أن ذلك السؤال يا كليمنت يواجه كل امرئ في مرحلة ما من حياته، وعلى كل واحد أن يحدد طريقته بنفسه.

- أنت لا تدري؟

- كلا، لا أدري...

شعرت أن أفضل شيء هو تغيير الموضوع فقلت: إن ابن أخي يستمتع بالفضية أيما استمتاع، ويفضي كل وقته في البحث عن آثار قدماء ورماء لقائهم تبع.

انهم هيدوك؟ قال: كم عمره؟

- في السادسة عشرة فقط. لا يأخذ الثمر الماسي بصورة جديدة في مثل هذا العمر إذ لا يرى فيها إلا شبرلوك هولمز وأرسين لوبين.

قال هيدوك متأملاً: إنه يبدو فتى رائعاً، ما الذي ستفعل له؟

- أعشى ألا أستطيع دفع فكاليوف تعليمه الجامعي، إنه يريد الالتحاق بالأسطول التجاري، فقد فشل في الانخراط بسلاح البحرية.

- إنها حياة صعبة، ولكن كان يمكن لحياته أن تكون أسوأ. نعم، كان يمكن أن تكون أسوأ.

قلت وقد لمحت ساعتي: علي أن أذهب. لقد تأخرت تحوفاً من نصف ساعة عن موعد الغداء.

كان أفراد الأسرة قد جلسوا لتوهم على المسافة عندما وصلت، وقد طلبوا تقريراً كاملاً عن مجريات الصباح، وهو ما فمت بتقديمه وأنا أشعر بأن تلك المجريات كانت تشكل ناطقاً في الأحداث وتراجعاً للإثارة. ومع ذلك فقد استمتع ديتس كثيراً بقصة المكالمة الهاتفية التي تلقتها السيدة برايس وبذلي، وانتابه نوام من الضحك وأنا أبلغ في وصف المصدمة العصبية التي تلقتها والتي احتاجت معها لشرب الليمون. ثم هتف قائلاً: نستحق النقطة المحوز كل ذلك؛ إن لها أسوأ لسان في القرية. لست فكرت في معابرتها وترويعها. ما رأيك يا عم لين بإعطائها جرعة ثانية؟

سارعت إلى التوسل إليه كيلا يفعل شيئاً من هذا القبيل؛ فليس ما هو أعظم من الجهود التي بذلها الأجيال الأصغر سناً - بكل نية حسنة - بهدف مساعدتك وإظهار التعاطف معك.

تغير مزاج ديتس فجأة، فتحهم وجهه واتخذ سمت ذوي الحرة الواسعة وقال: لقد قضيت معظم الصباح مع لينيس، وهي - حقاً - قلقة جداً. إنها لا تريد إظهار ذلك، ولكنها قلقة جداً في الواقع.

قالت غريزelda وهي تلمح برأسها إلى الوراثة: هذا ما أمله لها.

غريزelda لا تحب لينيس كثيراً. قلت لها: لا أفعلك تصفيتها أبداً.

سكنت غريزelda وسكت أنا، فيما أشعر ديتس قائلاً: إنها لا تتحدث مع كثير من الناس، ولكنها تتحدث معي أنا. وهي قلقة جداً من الأمر كله، وترى أنه لا بد من فعل شيء تجاه هذا الأمر.

قلت: ستجد أن المفتش سلاك يشاطرها هذا الرئي. إنه قاصب

إلى منزل أولد هول عصر اليوم، ولا شك أنه سيحصل حياة للجميع بحسباً لا يطاق في معرض سعيه للوصول إلى الحقيقة.

سألت زوجتي فجأة: وما هي الحقيقة برأيك يا لين؟

- من الصعب المحرم يا عزيزتي؛ لا أستطيع الزعم بأنني أعرف.

- أعتقد إن المفتش سلاك يقوم بتتبع تلك المكالمة الهاتفية...

أعني المكالمة التي حصلت على الذهاب إلى عائلة أبوت؟

- نعم.

- ولكنك أستطيع ذلك؟ ليس ذلك من أصعب الأمور؟

- لا أشن ذلك صعباً؛ فالبنظة تحتفظ بسجل للمكالمات.

- نوه؟

ثم عادت زوجتي لتفرد في التفكير، فيما قال ابن أمني: لماذا غضبت مني كثيراً يا عم لين صباح اليوم عندما مازحتك بشأن تعذيبك أن يقتل الكولونيل برزوير؟

- لأن لكل شيء وقتاً. إن المفتش - سلاك - لا يعرف المزاج؛ لقد أخذ كلماتك على محمل الجد تماماً، وربما اعتقلني بسببها.

- ألا يدرك متى يكون المرء مازحاً في كلامه؟

- كلاً، لا يدرك. لقد وصل إلى مرقعه الحالي بالحد وبالإلاء الواسع كل انتباهه فلم يبق له وقت للنسيات الصغيرة في الحياة.

- أقصه يا عم لين؟

- لا، لا أجه. لقد كرهته بشدة منذ أن رأيته، ولكني لا أشك في أنه رجل ناجح في مجال عمله.

- أنظرن أنه سيعثر عني من أطلق النار على بروتير؟

- إنهم يعثر عليه فلن يكون ذلك من قلة المحنولة.

ظهرت ماري وقالت: السيد هاووز يريد رؤيتك، إنه في غرفة المجلس. وما هي رسالة تنتظر جواباً، ولا بأس أن يكون شفهاً.

فتحت الرسالة وقرأتها:

عزيزي السيد كلبنت... سأكون في غاية الامتنان لك إن استطعت المحي، لرؤيتي عصر اليوم في أيكم وقت ممكن. ينس في مأزق مطبخ وأحتاج إلى مشورلك.

المخلص: إيشيل لسترينج

قلت لماري: "قولي لحامل الرسالة إنني سأذهب في غضون نصف ساعة"، ثم ذهبت إلى غرفة المجلس لرؤية هاووز.

* * *

الفصل الخامس عشر

لقلقتني كثيراً مظهر هاووز. كانت يده ترتعبان وعقل وجهه يتلوى بعصية. كان عليه - في رأيي - أن يلزم سريره، وقد أخبرته بذلك فأصر على أنه في أحسن حال وقال: أؤكد لك يا سيدي أنني لم أشر يوماً بأنتي أفضل مني الآن، ولا في حياتي كلها.

كان واضحاً تماماً أن ذلك يعد عن الحقيقة إلى الحد الذي لم أعرف معه كيف أجيبه. إنني أكنّ إعجاباً للرجل الذي لا يستسلم للمرض، ولكن هاووز كان يتجاوز في ذلك كل مدى. قال أخيراً: لقد جئت لأعبر لك عن مقدار أسفي لحسوث مثل هذا الأمر في بيتك الذي يشكل جزءاً من وقف الكنيسة.

- نعم، إنه ليس بالأمر السار.

- إنه غطيط... غطيط تماماً. يبدو أنهم لم يعتقلوا السيد ويدع في نهاية الأمر، أليس كذلك؟

- نعم، كان ذلك عطاءً. لقد أدلى بإفادة تتسم بالحماقة.

- وهل الشرطة مقتنعون تماماً الآن بأنه بريء؟

- نعم، تماماً.

- هل لي أن أسأل لماذا؟ ألا أنهم... أتعني: هل يشكون بغيره؟

ما كنت لأعتقد أبداً أن من شأن هاوز أن يهتم بقضية قتل إلى هذه الدرجة. ربما كان ذلك لأن الحرية وقعت في حرم الكنيسة. بدت عليه لهفة أشبه بـلهفة الصحفيين. قلت: لا أظن أن المفتش سلاك يأنممني على دعيمة نفسه. ولكنه -حسبما أعرفه- لا يشك بأحد لحدٍ. إنه مشغول حالياً بإجراء تحقيقاته.

- نعم، نعم... بالطبع. ولكن من عاء يقدم على فعل مثل هذا الأمر؟

هزرت رأسي حيرة فقال: أعرف أن الكولونيل بروثيرو لم يكن رجلاً محبوباً، ولكن ليس إلى درجة أن يقتلوا ضالمة يحتاج إلى دافع قوي حتى يُقتل.

- هذا ما أظنه.

- من ذا عاء يمتلك مثل هذا الدافع؟

- لا أدري.

- كلما فكرت في الأمر ازدادت قناعة بأنه من ذلك النوع الذي يكسب الأعداء إنه معروف بقوته الشديدة في المحكمة.

- نعم، أظنه كذلك.

- ألا تذكر يا سيدي؟ لقد كان بعبيرك صباح أمس كيف أنه

تلقى تهديداً من ذلك الرجل آرثر.

- الآن تذكرت ذلك، نعم. كنت قريباً منا تماماً وقتها.

- نعم، لقد سمعتُ ما كان يقوله. يكاد يستحيل على المرء ألا يسمع كلام بروثيرو بصوته القوي العالي، أليس كذلك؟ وأذكر أنني تأثرت بكلماتك أنت، بأنه عندما يحين أوان حصانه فلن يجد حزنه له الرحمة بل هو لن يجد إلا العدالة.

سأله منجهاً: "هل قلتُ ذلك؟"، فقد كان ما أذكره من كلماتي مختلفاً قليلاً عن هذا.

- لقد قلتها بأسلوب مؤثر جداً يا سيدي. لقد هزنتي كلماتك، فالعدالة مسألة عظيمة. ثم جاء مصرع المسكين بعد ذلك بوقت قصير. يبدو الأمر وكأن لديك قوة تنبؤ.

قلت بانقضاب: ليس عندي شيء من ذلك.

- هل أخبرت الشرطة عن هذا الرجل آرثر يا سيدي؟

- إنني لا أعرف شيئاً عنه.

- أتعني هل كررت نهم ما قاله الكولونيل بروثيرو... حول تهديد آرثر له؟

قلت ببطء: لا... لم أفعل.

- ولكنك ستعبرهم؟

بقيت مائتاً، فانا أكره الإصرار على ملاحقة رجل تقف ضده

أساساً قوى الحفاظ على الأمن والنظام. ومع ذلك فيأتي لا أريد الدفاع عن آرشر، فهو سارق طيور مدمن... شخص من أولئك الرجال المرحين المتحالفين مع الفشل ممن يراهم المرء دائماً. ومهما كانت أقواله في حماة غضبه لدى إصدار الأحكام ضده، فيأتي لا أملك معلومات مؤكدة تفيد أن مشاعره تبقى على حالها بعد خروجه من السجن. ولذلك قلت أخيراً: لقد سمعتُ المعاهدة، فإن كنت ترى أن من واجبك أن تنحسب بها إلى الشرطة فعليك القيام بذلك.

- ولكنها ستكون أفضل لو آتت منك يا سيدي.

- ربما... ولكنني - بصراحة - لا أرغب بهذا؛ فربما كنت أساعد بذلك في وضع الجبل حول رقبة رجل بريء.

- ولكن لو كان هو الذي قتل الكولونيل...

- أوه، إنها مجرد "لو"! ليس من دليل على أنه فعل ذلك.

- وتهديداته.

- لم تكن التهديدات - بالمعنى الحرفي للكلمة - تهديداته هو بل تهديدات بروثيرو. كان الكولونيل بروثيرو يهدد بأنه سيُري آرشر ما هو معنى الانتقام إذا ما أمسك به ثانية.

- إنني لا أفهم موقفك يا سيدي.

قلت مبكراً: حقاً؟ إنك شاب صغير، متحمس لقضية الحق. ولكنك ستجد - عندما تفصل إلى عمري - أنك تميل إلى إعطاء الناس فائدة أخذهم عنى محمل حسن النية.

قال: "الأمر ليس... أعني..." ثم توقف، ونظرت إليه بهدنة فقال: أليست لديك أية فكرة... أعني عن هوية القاتل؟

- يا إلهي! كلا.

أصر هاوز قائلاً: أو عن... النافع؟

- كلا. فكلبك أنت؟

- أنا؟ كلا في الواقع. كنت أتساءل فقط. إن كان الكولونيل قد... قد أنقضى لك بالأمر بأية طريقة... أو ذكر شيئاً...

قلت ببرود: إن ما أنقضى به - كائناتاً ما كان - سمعه كل من كان في شارع القرية صباح أمس.

- نعم، نعم بالطبع. وأنت، ألا ترى... بشأن آرشر؟

- سرعان ما سيُعرف الشرطة كل شيء بخصوص آرشر. لو كنت سمعته شخصياً يهدد بروثيرو لاختلف الأمر، ولكن نأكد أنه لو هدد بروثيرو فعلاً فإن نصف أهل القرية قد سمعوه، وسرعان ما يصل الأمر إلى سامع الشرطة دون شك. أما أنت فعليك طبعاً أن تفعل ما تشاء في هذا الأمر.

ولكن بدا أن هاوز متردد على نحو غريب في فعل أي شيء. كان محمل سلوك الرجل عصياً وغريباً، وتذكرت ما قاله هيدوك عن مرضه، وفترضت أن تفسير سلوكه يكمن في هذه النقطة.

استأذن للإنتصاف متردداً، وكان لديه المزيد مما يريد قوله ولا يعرف كيف يقوله. وقبل أن يفادر رتبته معه أن يتولى القيام عني

بعض الأنشطة؛ فقد كانت لدي مشاريع الخاصة لعصر هذا اليوم.

وبعد أن عرفت هاوز ومشاكله عن ذهني انتقلت إلى السيدة ليسترينج. وعلى الطاولة في الصالة كانت صحيفة الفلورديان موضوعاً غير مفتوحة. وفيما كنت أمشي تذكرت أن السيدة ليسترينج كانت قد قابلت الكولونيل بروثيرو في الليلة التي سبقت مغتله، وربما كان شيء ما قد تسرب في تلك المقابلة مما يمكن أن يلقي الضوء على مشكلة قتله.

فُضِّلْتُ مباشرة إلى غرفة الجلوس الصغيرة، وتحدثت السيدة ليسترينج لاستقبالي. دهشتُ مجدداً لذلك الجو الرائع الذي تستطيع هذه المرأة إشاعته. كانت ترتدي ثوباً من فساتين أسود فاتم، وكنت ناعمة ما يوحى بالموت على نحو غريب في وجهها. حينها فقط كانا تشعلان حياة، وكانت بهما اليوم نظرة ترعب واحتراس. وفيما عدا ذلك لم تظهر أية إشارة حيوية. قلت وهي نصافحي: أشكرك كثيراً على قدومك يا سيد كليمنت. لقد أردت التحدث معك في المرة الماضية، ثم قررت ألا أتحدث، وكنت معطلة في ذلك.

- كما قلتُ لك وقتها، يسعدني القيام بكل ما أستطيع لمساعدتك.

- نعم، لقد قلتُ ذلك، وقد قلته كما لو كنت تعب. قليلون جداً في هذا العالم يرغبوا بمخلصين في مساعدتي يا سيد كليمنت.

- لا أكاد أصدق ذلك يا سيدة ليسترينج.

- إنه صحيح. معظم الناس... أو لنقل بالأحرى: معظم الرجال لا يلتفتون إلا لمصالحهم الخاصة.

كانت في صورتها مرارة. سكّْتُ ولم أحب فمضت غائلة:
أجلس من فضلك.

جلستُ فيما اتحدت هي كرسياً قبائلي. ترددتُ لحظة ثم بدأت تتكلم بكل ببطء وتأن وهي تبدو كمن يزن كل كلمة قبل التعلق بها: إنني في موقف غريب جداً يا سيد كليمنت، وأريد أن أطلب نصيحتك. أي أنني أريد أن نصحني فيما يتوجب عليّ فعله تالياً؛ فما مضي قد مضى ولا يمكن تغييره. أتفهمني؟

وقبل أن أستطيع الإجابة فتحت الباب الخادمة التي أدخلتني وقالت ووجهها ممتلئ رعباً: أوه! رجاء يا سيدتي، يوجد هنا مفترش شرطة، ويقول إنه يريد التحدث إليك، رجاء.

مباد صمت قصير. لم يتغير وجه السيدة ليسترينج، وحينها حينها أبطأتُ ثم فحنتُ ببطء شديد. بدا أنها ازدردت لعابها مرة أو مرتين؛ ثم قالت بنفس ذلك الصوت الواضح الهادئ: أدخله يا هيلدا.

كنت على وشك النهوض، ولكنها أشارت لي بالجلوس ثانية بيد امرأة وقالت: إن كنت لا تمانع... سأكون ممتنة كثيراً لو بقيت.

جلستُ ثانية وأنا أتمتم قائلًا: بالتأكيد، إن كنت ترغبين بذلك.

وسرعان ما دخل سلاك بخطوته النظامية الرشيقة وقال: طاب مسألك يا سيدتي.

- طاب مسألك أيها المفترش.

في تلك اللحظة وقعت عينه عليّ فعبس وجهه. ما من شك في

أن سلاك لا يحيي. قالت مضجعة: أرحو ألا تعارض في بقاء الكاهن؟

أجاب أنه لم يكن بمقدور سلاك أن يقول إن لديه اعتراضاً.
قال متذمراً: ك... كلاء، رغم أنه قد يكون من الأفضل...

لم تلق السيدة ليسترينج لإشارته بالألأ، وسألت: لماذا أستطيع
مساعدتك أيها المفتش؟

- الأمر كالتالي: إنني توليت قضية مقتل الكولونيل بروشمور،
وأقوم ببعض التحريات.

أومات السيدة ليسترينج برأسها فمضت قائلاً: وكأجراء شكلي
فقط فإنني أسأل الجميع أمر كان كل منهم مساء أمس بين الساعة
السادسة والسابعة. كما أجراء شكلي فقط، إن كنت تفهميني.

- أريد أن أعرف أين كنت مساء أمس بين السادسة والسابعة؟

- إن سمحت بي سيدتي.

قطعت حينها لحظة ثم غابت: كنت هنا في هذا البيت.

رأيت عيني للمفتش تنبهد: هو يقول: أوه! وهل تستطيع
خادمتك - التي لا أفسد أن لقبك غيرها - أن تؤكد قولك هذا؟

- لا، فقد كان مساء أمس عطفتها الدورية.

- فهمت.

قالت السيدة ليسترينج بمرح: ولعلك فيس أسامك مع
الأسف - إلا الاعتماد على كلمتي وحدها.

- قلت تظنين حديثاً - إذن - أنك كنت في البيت طوال مساء
أمس؟

- لقد قلت بين السادسة والسابعة أيها المفتش. خرجت
للترفة سراً على الأقدام في وقت سابق من عصر أمس، وقد عدت
في وقت ما قبل الخامسة بقليل.

- وإذا ما أعلنت سيدة - ولتقل الآنسة هارتيل مثلاً - أنها
جاءت هنا غشي حوالي السادسة وقرعت الحرس ولم تلق جواباً
محيث اضطرت للعودة، أفقولين عندها إنها مضطربة؟

هزت السيدة ليسترينج رأسها بالنفي وقالت: أوه، كلاء.

- ولكن...

- إن كانت خادمتك موجودة فيوسعك إرمالها لتقول إنك
كنت في البيت، ولكن إن كان المرء بمفرده وصدف أنه لا يريد
رؤية ذواته كل ما يستطيع فعله عندها هو تركهم يقرعون الحرس.

بدأ المفتش سلاك متحيراً قليلاً، فقالت السيدة ليسترينج: إن
النساء الكهلات يرن في السام الشديد، والأنسة هارتيل مملة بشكل
محض. أظنها قرعت الحرس خمس مرات على الأقل قبل أن تذهب.

ثم انصمت بعفوية للمفتش سلاك الذي بدد منحى أسئلة:
إذا قلر لأحد أن يقول إنه رأى خارجة في مثل ذلك الوقت...

- أوه! ولكن أحداً لم يقل ذلك، أليس كذلك؟

كانت سريرة في تلقف نقطة ضعفه، فأضافت تقول: لم

يشاهدني أحد في الخارج؛ لأنني كنت في المراسل كما قلت لك.

- صحيح تماماً يا سيدتي.

فثم المفتش كرسيه قليلاً وقال: فهمتُ يا سيدتي أنك قمت
بزيارة للكونونيل بروثيرو في منزله في الليلة التي سبقت مقتله؟

قالت السيدة ليمسترينج بهدوء: هذا صحيح.

- هل يمكنك أن تعطيني لمحة عن مضمون تلك الزيارة؟

- كانت تتعلق بقضية عاصفة أيها المفتش.

- أعني أن من واجبي سؤلك عن طبيعة تلك القضية العاصفة.

- لن أعبرك شيئاً من هذا القهيل. سأكتفي بأن تؤكد لك أن
شيئاً مما قيل في تلك المقابلة لا يمكن أن تكون له علاقة بالحرمة.

- لا أفنك أفضل من يحكم على ذلك.

- على كل حال ستضطر للاعتماد على ما أقوله أنا في هذا
الشان أيها المفتش.

- إنني - في الواقع - مضطر للاعتماد على ما تقولته في الأمور
كلها كما يبدو.

واقفته قائلة وهي ما تزال على نفس الهدوء المبتسم: يبدو
الأمر كذلك بالفعل.

احمرَّ وجه المفتش سلاك كثيراً وقال: "هذه قضية جديدة يا

سيدة ليمسترينج. إنني أريد الحقيقة..." ثم ضرب بقبضته على
الطاوله وأضاف: وأنا أنوي الحصول عليها.

لم تقل السيدة ليمسترينج شيئاً على الإطلاق، فقال المفتش: ألا
ترين يا سيدة أنك تضعين نفسك في موضع الشك الكبير؟

مرة أخرى لم تقل السيدة ليمسترينج شيئاً، فقال المفتش:
سيتعين عليك أن تتلي بشهادتك في التحقيق.

- نعم.

لم ترد على هذه الكلمة شيئاً، وقالتها دون تشديد أو اهتمام.
فثم المفتش أسلوبه وقال: أكنت على معرفة بالكونونيل بروثيرو؟

- نعم، كنت على معرفة به.

- معرفة وثيقة؟

سكنت قليلاً قبل أن تجيب: لم أكن قد رأيته منذ عدة سنوات.

وهل كنت على معرفة بالسيدة بروثيرو؟

- لا.

- اعفريني، ولكن زيارتك له كانت في وقت غير طيب أبداً
ولا يصلح لزيارة الناس.

- ليس من وجهة نظري.

- ماذا تعنين بذلك؟

- أردت أن أرى الكولونيل بروثيرو بمفرده. لم أرغب برؤية زوجته أو ابنته؛ واعتبرت ذلك أفضل طريقة لتحقيق هدفي.

- ولماذا لم ترغبي برؤية السيدة أو الأتية بروثيرو؟

- هذا أمر يخصني أنا أيها المفتش.

- أنت - إذن - ترفضين قول المزيد؟

- تماماً.

نهض المفتش سلاك قائلاً: متضمن نفسك في موقف سيء يا سيدتي إن لم تحذري. هنا كله يبدو سيئاً... يبدو سيئاً جداً.

ضحكت. وكان برودي أن أقول للمفتش سلاك إن هذه ليست من النساء اللاتي يمكن تخويفهن بسهولة.

قال وهو يتسحب مما بقي له من كرامة: حسناً، لا تقولي إنني لم أحفرك، هذا كل ما في الأمر. طاب مساؤك يا سيدتي، ونذكرك أننا سنصل إلى الحقيقة.

ثم غادرت، فتنهضت السيدة لويسفريدج ومدت يدها إليّ قائلة: سأودعك... نعم، هذا أفضل. لقد فات وقت النصيحة الآن. لقد احترت دوري.

ثم كررت بصوت فيه شيء من الوحشة والكآبة: لقد احترت دوري.

* * *

الفصل السادس عشر

كذبت أصطدم - وأنا خارج - بالدكتور هيدوك على عتبة البيت. كان قد التفت لينظر بحدة إليّ سلاك الذي كان يعبر الممراة لثروه، ثم سألتني: أكان يحقق معها؟

- نعم.

- أرحو أن يكون قد تصرف بتعذيب؟

التعذيب برأيي من لم يتعلمه سلاك أهدأ، ولكنني افترضت أنه كان مهذباً وفقاً لمعاييرهم هو، كما أنني لم أريد على أية حال أن أزيد في إزعاج هيدوك؛ فقد كان يبدو قلقاً متزعجاً أساساً، ولذلك فقلت إنه كان مهذباً تماماً.

توما هيدوك برأسه ودخل المنزل فيما مضيت أنا عبر شارع القرية حيث ما لبثت أن لحقت بالمفتش. وبخيل لي أنه كان يمشي متمهلاً عن قصدي إذ بالقاء ما بلغ كرهه لي، لم يكن المفتش بالرجل الذي يدع الكراهية تنف في طريق اكتسابه لمعلومة مفيدة.

سألتني مباشرة ودون مواربة: هل تعرف شيئاً عن المرأة؟

قلت له إنني لا أعرف شيئاً أبداً، فسألتني: أقم عقل شيئاً عن
سبب قدومها للعيش هنا؟

- لا.

- ومع ذلك ذهبت ورأيته؟

أحبته متفادياً الإشارة إلى أنني استدعيت لزوجتي: إن زيارة
أعضاء أبرشيته تشكل أحد واجباتي.

- هممم، أظنها كذلك.

سكنت لحظات ثم مضى يقول وكأنه لا يستطيع مقاومة إغراء
الحديث عن فشله الأخير: يبدو لي الأمر مرعباً.

- أفرى ذلك؟

- إن سألني لقلت لك إنه موضوع "ابتنزاز". يبدو ذلك غريباً
عندما يفكر المرء بكل ما كان يفترض بالكونلونيل برونيرو أن يكونه،
ولكن هذه هي الدنيا، لا يستطيع المرء أن يحمزو الناس. لن يكون
لؤلؤ راعي كتبة ذي حياة سرية أخرى.

طافت بذهني ذكريات باهتة لملاحظات أهدتها الأنسة ماريل
عن نفس الموضوع. قلت له: أنظن حقاً أن ذلك محتمل؟

- إنه تفسير يناسب الحقائق يا سيدي. لماذا تأتي سيدة أليقة
حبيطة إلى مثل هذه المنطقة البائسة الصغيرة؟ لماذا تذهب وترى في
ذلك الوقت الغريب المستهجن؟ لماذا تحب رؤية السيدة والآنسة
برونيرو؟ نعم، الأمر كله ينسجم مع بعضه البعض. شيء رهيب

بالنسبة لها أن تعترف... فالابتزاز جرم يعاقب عليه القانون. ولكننا
نحصل منها على الحقيقة، فربما كان لها علاقة وثيقة بالقضية. إن
كان الكولونيل برونيرو سر دفين في حياته يشعر إزاءه بالذنب...
شيء مشين مثلاً، فبوسعك أن ترى بنفسك أي مجال يفتح بذلك.
أحسب أن محالاً قد انفتح فعلاً.

- كنت أحاول حمل كبير النعم على الكلام، ربما كان قد
سمع شيئاً من الحديث الذي دار بين الكولونيل برونيرو والسيدة
ليسترنج. الخدم يسمعون أحياناً، ولكنه أقسم أنه لا يعرف شيئاً أبداً
عن موضوع الحديث. وبالنسبة فقد طُرد من عمله بسبب ذلك؛
قدد حامي الكولونيل غاضباً من إدخاله لها، وقد رد كبير النعم
بأن قلم إشارته ترك للعمل. قال إن المكان لم يعجبه أساساً وأنه
كان يفكر بالمغادرة منذ وقت طويل.

- غريب.

- وهذا ما يعطينا شعوراً آخر بحمل ضمنية للكولونيل.

- لا أظنك تشبه به حديثاً... ما هو اسمه بالنسبة؟

- اسمه ريفرز وأنا لا أقول إنني أشك به فعلاً. ما أقوله هو إن
المرء لا يستطيع الحزم؛ إنني لا أرتاح لحلقه المشفق المداعن ذاك.

تسلطت ما الذي يمكن ليفرز أن يقوله عن حلق المفتش سلاك.
قالت: إنني ذاهب لاستجواب المسائق الآن.

قلت له: ربما استطعت - إذن - أن فأخذني معك في سيارتك.

أريد أن أرى السيدة برونيرو قليلاً؟

- لماذا؟

- بشأن ترتيبات الجنازة.

- أوه!

هذا المفنش وكأنه غوجي، تم قال: حلة التحقيق غداً، السبت.

- نعم، وبما تم ترتيب أمر الجنازة لتكون يوم الثلاثاء.

هذا المفنش سلاك وكأنه جعل قليلاً من جفاته معي، وقد حاول أن يتلاعب بدعوتي للحضور في مقابلته مع السائق المدعو مانغ.

كان مانغ فتى لطيفاً لم يتجاوز الخامسة أو السادسة والعشرين من عمره. وكان كمن يرى في المفنش مصيبة لؤفه. قال سلاك: حسناً يا فتاي، أريد معلومة صغيرة منك.

نشم الشاب متلعثماً: "نعم يا سيدي، بالتأكيد". ولو كان هو نفسه الذي ارتكب الجريمة لما هذا أكثر ذعراً مما هو الآن.

- لقد أخذت سبدك إلى القرية أم؟

- نعم يا سيدي.

- في أي وقت؟

- هي الخامسة والنصف.

- والسيدة برونيرو ذهبت أيضاً؟

- نعم يا سيدي.

- وهل ذهبت مباشرة إلى القرية؟

- نعم يا سيدي.

- ولم تتوقف في أي مكان على الطريق؟

- كلا يا سيدي.

- وماذا فعلت عندما وصلت هناك؟

- أخبرني الكولونيل بأنه لن يحتاج السيارة ثانية وأنه سيعود إلى البيت مشياً. كان لدى السيدة برونيرو أشياء تريد شرائها، وقد وضعت الأكياس في السيارة، ثم قالت إن ذلك يكفي فرجعت إلى البيت.

- تاركاً إياها في القرية؟

- نعم يا سيدي.

- في أي وقت كان ذلك؟

- في السادسة والربع يا سيدي، في السادسة والربع تماماً.

- أين تركتها؟

- قرب الكنيسة يا سيدي.

- هل أشار الكولونيل أية إشارة إلى أين كان يحترق الفهاب؟

- قال شيئاً عن اضطرابه لرؤية الطيب البيطري... بشأن أحد العيول كما أعلن.

- فهمت. وهل قدت السيارة مباشرة إلى المنزل هنا؟

- نعم يا سيدي.

- المنزل أولد هول مدخلان؛ جنوبي وشمالى. وأظن أن الذهاب إلى القرية يقتضى استخدام المدخل الجنوبي، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي، بالطبع.

- وقد عدت من نفس الطريق؟

- نعم يا سيدي.

- همم، أظن أن هذا كل ما لدي. أه؟ ها هي الأنسة بروثيرو.

جاءت ليش تحونا وقالت: أريد سيارة الفتيات يا مانتغ، هل لك أن تشغلها لي؟

- حسناً يا أنستي.

ذهب بالانساء سيارة ذات مقعدين ورفع غطاء محركها.

قال المفتش سلاك: لحظة يا أنسة بروثيرو... من الضروري أن أمسح تحركات الجميع مساء أمس، دون أن يضي ذلك أية إساءة.

حدثت ليس به وقالت: لا أعرف وقت أي شيء أقوم به.

- جلست أمك عرجت مباشرة بعد العناية أمس؟

أوامات بالإيجاب فقال: إلى أين ذهبت من فضلك.

- ذهبت للعب التنس.

- مع من؟

- مع عائلة هارتنلي تايسر.

- في قرية تشل بينهام؟

- نعم.

- ومعنى عدت؟

- لا أدري، قلت لك إنني لا أعرف هذه الأشياء.

قلت: لقد عدت في حوالي الساعة والنصف.

قالت: هذا صحيح، عدت في وسط المعصعة، حيث كانت أن تعرض لنوبات وغريزلك تعنى بها.

قال المفتش: شكراً لك يا أنسة، هذا كل ما أردت معرفته.

قالت المفاتر ما أعجب ذلك، يبدو الأمر محالاً من أية إثارة!

ثم تحركت بالانساء السيارة.

نفس المفتش حينه كمن يفعل ذلك لحظة وقال: مهزوزة قليلاً؟

- أبداً، ولكنها تحب أن تعتقد فيها ذلك.

- حسناً، سأذهب لاستحواب المحاكمات الآن.

لا يمكن للمرء حقاً أن يحب سلاك، ولكنه يمكن أن يعجب بذكائه ونشاطه. فترقنا وسألت ريفز إن كان يوسعي رؤية السيدة بروثيرو فقال: إنها مستقبة الآن يا سيدي.

- إذن فمن الأفضل ألا أزعجها.

- ولكن ربما كان يوسعك الانتظار يا سيدي. أظن أن السيدة بروثيرو تنوق لرؤيتك... كانت تقول شيئاً من ذلك أثناء الغداء.

قادي إلى غرفة الخنوس وأضاء الأنوار؛ إذ كانت المصاريح المشيئة للنوافذ مغلقة. قلت: إن هذا الأمر كله محزن جداً.

- نعم يا سيدي.

كان صوته بارداً يوحى بالاحترام. نظرتُ إليه... ترى ما هي المشاعر التي تشمل تحت هذا المظهر السني المهادن؟ أكان يعرف أشياء وكان يوسعها إخباراً بها؟ ما من شيء أكثر بعداً عن الإنسانية من قناع المهادم الجيد.

- أحتاج شيئاً بعد يا سيدي؟

نسألت إن كان خلف تلك العبارة الدقيقة شيء من الحرص على الذهاب، ولكنني أجبت قائلاً: لا شيء بعد.

لم يغلُ انتظاري كثيراً قبل أن تأتي أن بروثيرو ناقشنا وأقررنا بعض الترتيبات، ثم هتفت: ما أنطف المذيكر هيدوك؟

- إن هيدوك أفضل رجل أعرفه.

- لقد كان شديد اللطف معي. ولكنه يبدو حزناً جداً أليس كذلك؟

لم يكن قد خطر لي أبداً من قبل أن أفكر بهيدوك كرجل حزين.

قلبت الفكرة في رأسي ثم قلت أخيراً: لا أعطني لاحظت ذلك أبداً.

- وأنا أيضاً لم ألاحظه، حتى اليوم.

- إن متاعب المرأة تجعل نظرتي حادة أحياناً.

قالت: "هذا صحيح جداً"، وسكتت قليلاً ثم قالت: يا سيد كليمنت، شيء واحد لا أستطيع فهمه على الإطلاق: إن كان زوجي قد قتل مباشرة بعد أن تركته فكيف لم أسمع الطفلة؟

- إن لديهم سبباً للاعتقاد بأن الطفلة أطلقت في وقت لاحق.

- ولكن ماذا عن الساعة ٦.٢٠ على الرسالة؟

- ربما أضافتها يد أخرى... يد القاتل.

شجبت وجنتها فقلت: ألم يثر انتباهك أنها لم تكن بخط يده؟

- ما أنقطع ذلك!

- ولا يبدو شيء من تلك الرسالة شبيهاً بخط يده.

كان في تلك الملاحظة شيء من الصحة. فقد كانت الرسالة مكتوبة بخط ضخم كُتب على عجل بحيث لا يكاد يفهم، ولم يكن عطفاً دقيقاً محكماً كخط بروثيرو المهادن. سألتني إن: أأنت متأكد من أنهم ما عادوا يشكون في لورنس؟

- أظن أن ساحته قد بُرئت بالتأكيد.

- ولكن يا سيد كليمنت، من عسى القاتل يكون؟ صحيح أن

زوجي لم يكن محبوباً ولكني لا أظن أن له أعداء حقيقيين. ليس...
ليس هذا النوع من الأعداء.

هزرت رأسي وقلت: إنه لغز.

فكرت متعجباً بالمشبهين البهجة الذين ذكرتهم الآنسة مارييل.
من عساهم يكونون؟

بعد أن استأذنت بالانصراف شرعت في تنفيذ خطة معينة
خاصة بي. عدت من أولد هول سالكاً الممشى الخاص، وحين وصلت
إلى الدرج الصغير المخصص للمبور فوق المباح عدت أفراحي، ثم
اعتبرت مكاناً تعطلت أن به أثارة تدلّ على أن أحداً قد جلس في
المشعب، فانتعلقت عن الممشى وشغلقت حريمي بصعوبة بين
الأغصان. كانت الغابة كثيفة، ونحت الأشجار أعشاب وشجيرات
كثيرة، ولذلك لم يكن تفهمي سريعاً. وفجأة أحسّت أن شخصاً
يتحرك بين الأغصان غير بعيد عني، وفيما وقعت متردداً ظهر لورنس
وبدغ وهو يحمل حجراً ضخماً.

وأحسب أن الدهشة ارتسمت على وجهي، لأنه انقصر ضاحكاً
فجأة وقال: أوه، كلا، ليس هذا أحد أدلة الجريمة، إنه عرض سلام.

- عرض سلام؟

- أيمكن أن تسميه أساساً لمفاوضات مثلاً؟ أريد حجة
لزيرة جارتك، الآنسة مارييل، وقد قيل لي إنها لا تحب شيئاً حبها
لصحرة صغيرة جميلة تضعها في الحديقة الصحيرية اليابانية التي
تنظّمها في حديثها.

- صحيح تماماً، ولكن ما الذي قريته من المجوز؟

- أريد التّالي: إن كان من شيء نرى في أحداث الأسس فإن
الآنسة مارييل هي المراهلة لرؤية ذلك الشيء. وأنا لا أعني بالضرورة
شيئاً ذا علاقة بالجريمة... أو نحسب هي أن له علاقة بالجريمة. ما
أعنيه هو حدث غريب أو حدث خارج عن المألوف، حدث بسيط
صغير يمكن أن يعطينا مؤشراً ما على الحقيقة؛ شيء ربما لا نرى فيه
الآنسة مارييل ما يستحق أن يذكر للشرطة.

- أحسب ذلك ممكناً.

- إنه يستحق المحاولة على أية حال. أنا أريد أن أصل إلى
قراره هنا الأمر، إكراماً لأن إن لم يكن لشيء آخر، كما أنني لا أفتق
كثيراً بقلّة سلاك... إنه رجل متحمس، ولكن الحماسة لا يمكن
حقاً أن تغني عن العقل.

- أراك واحداً من تلك الشخصيات الفصصية التي تظهر في
الفصص البوليسية، شخصية رجل التحري الهاوي. ولكني لا أظن أن
مثل هذه الشخصية يمكن أن تقف بمحاذاة المحترفين في واقع الحياة.

نظر إليّ نظرة حادة ثم ضحك فجأة وقال: ما الذي فعلته في
الغابة أنت؟

احمرّ وجهي فقال لورنس: يوسعي أن أقسم أنك تفعل ما
أفعله أنا تماماً. إن لدينا نفس الفكرة، أليس كذلك؟ كيف جاء
القتل إلى المكسب؟ الطريق الأول عبر الطريق الشمالي ثم عبر
الغابة، والطريق الثاني من خلال الباب الأمامي، والطريق الثالث...

هل يوجد ثالث؟ كانت فكرتي أن أرى إن كان في أي مكان قريب
عذار حديقتكم آثار لإفساد الحشيش أو تكسير أغصان شجيرات.

اعترفت له قائلاً: كانت تلك بالضبط فكرتي.

- ولكني لم أشرع بالمهمة فعلاً بعد، فقد خطر لي أن أرى
الآنسة ماربل أولاً لأؤكد من أن أحداً لم يمر بالطريق الترابي مساء
أمس ونحن في المرسى.

هزرت رأسي مشككاً وقلت: لقد كانت جائزة تماماً بأن
أحداً لم يمر من هناك.

- نعم، لم يمر أحد ممن يمكن للآنسة ماربل أن تسميهم
"أحداً"... تبدو تلك فكرة معنونة، ولكنك تفهم ما أعنيه. إذ ربما
مر من هناك شخص كمساعي البريد أو بائع الحليب أو صبي
الحز أو... شخص يكون حضوره طبعياً إلى درجة لا يشعر معها
المرء بضرورة ذكره.

- أظنك كنت تقرأ قصص غيلبرت تشيسترين البوليسية.

لم ينكر لورنس ذلك ولكنه قال: ولكن ألا تظن أن هذه الفكرة
قد تحمل شيئاً في طياتها؟

- حسناً، ربما كان بها شيء.

مضينا بعد ذلك إلى بيت الآنسة ماربل دون مزيد من التلطف.
كانت الآنسة ماربل تعمل في الحديقة، وقد نادتنا عندما صعدنا الدرج
الصغير فوق السياج، فتمتم لورنس قائلاً: إنها ترى الجميع فعلاً.

استقبلنا بكل لطف، وسرت كثيراً بالحجر المضطرب الذي
أحضره لورنس وقدمه لها بكل جدية، إذ قالت له: هذا لطف بالغ
منك يا سيد ريدنغ... لطف بالغ حقاً.

شرح لورنس باللقاء أسئلته وقد شجعه سماعه لذلك، فيما
أصغت الآنسة ماربل باهتمام ثم قالت: نعم، أفهم ما تعنيه وأنفق
معك تماماً، فهذا أمر لا يهتم أحد بذكره. ولكني أؤكد لك أن شيئاً
من ذلك لم يحصل، إطلاقاً.

- أنت واثقة يا آنسة ماربل؟

- واثقة تماماً.

سألتها أنا: هل رأيت أحداً يذهب عبر الممشى إلى الغابة أو
يأتي منها عصر ذلك اليوم؟

- أوه، نعم، كثير من الناس. فقد ذهب الدكتور ستون
والآنسة كرام من تلك الطريق؛ فهي الأقرب إلى ذلك القبر بالنسبة
إليهم. كان ذلك بعد الساعة الثانية بقليل، وقد عاد الدكتور ستون
من ذلك الطريق كما تعلم يا سيد ريدنغ... باعتباره انضم إليكما
أنت والسيدة بروثيرو.

قلت: "بالمناسبة، تلك الطفلة... التي سمعنا يا آنسة ماربل.
لا بد أن السيد ريدنغ والسيدة بروثيرو سمعها أيضاً". ثم نظرت
مساءلاً إلى لورنس، فقال وهو يعبس: نعم، أظنني سمعت صوت
بعض الطفلات. أكن تكون طفلة أو اثنتين؟

قالت الآنسة ماربل: أنا لم أسمع إلا واحدة.

قال لورنس: إنه انطباع باهت جداً في ذهني. تباً، ليتني
أستطيع التذكر. لو أنني كنت أعرف فقط. المشكلة أنني كنت...

ثم توقف محرجاً. وسعلت بشيء من اللبقة، فقالت الأنسة
ماربل بتغيير الموضوع قائلة: لقد كان المفتش سلاك يحاول حللي
على أن أحدد إن كنت قد سمعت الطفلة بعد أن غادر السيد ريدنغ
والسيدة بروثيرو المرسى أم قبل ذلك، وقد اضطرت للاعتراف
بأنني لا أستطيع الحزم بالتحديد، ولكن لدي انطباعاً يقوى كلما
فكرت فيه، وهو أن الطفلة كانت بعد خروج الاثنين.

نهذه لورنس وقال: هذا ما يجعل الدكتور ستون خارج
الموضوع على أية حال، دون أن يعي ذلك وجود أدنى سبب
للارتباك بأنه هو الذي أطلق النار على بروثيرو المسكين.

قالت الأنسة ماربل: أه! ولكنني أحد دوماً من الثقل الاترياب
فليباً بالمجميع. ما أقوله هو أنك حقاً لا تعلمي، أليس كذلك؟

كان ذلك هو المعبود من الأنسة ماربل. سألت لورنس إن
كان يتفق معها بشأن الطفلة فقال: لا أستطيع الحزم حقاً فقد كان
الصوت عادياً تماماً. إنني أميل إلى الظن بأن الطفلة أطلقت ونحن
في المرسى؛ إذ إن ذلك يخفف من سماع الصوت، ويقلل من
احتمال الإلتباه إليه.

رأيت في نفسي آمياً غير هذه لعدم الإلتباه.

قال لورنس: يجب أن أسأل أن، غريباً تذكرت. بكمناسية،
يشو لي أن حقيقة غريبة تحتاج إلى تفسير. السيدة ليستريتج، لقد

قرية سبت ميري ميد، قامت بزيارة لبروثيرو بعد العشاء ليلة
الأربعاء ويبدو أن أحداً لا يدري ما هو سبب الزيارة؛ إذ لم يقل
بروثيرو شيئاً لا لزوجته ولا لابته.

قالت الأنسة ماربل: ربما كان الكاهن يعرف.

حسناً، كيف قدر لهذه المرأة أن تعرف أنني كنت في زيارة
السيدة ليستريتج عصر اليوم؟ غريبة جداً الطريقة التي تعرف بها
الأمر دوماً. حرزت رأسي وقلت إنني لا أستطيع إلقاء أي ضوء على
هذه المسألة، فسألت الأنسة ماربل: ما رأي المفتش سلاك؟

- بكل كل ما في وسعي لتعريف العادم... ولكن العادم لم
يكن في الظاهر فضولياً بحيث يشرق السمع خلف الباب. وهكذا
بني الأمر على حاله... لا أحد يدري.

قالت الأنسة ماربل: ومع ذلك فإنني أظن أن أحداً ما قد سمع
شيئاً. ما رأيك؟ أعني أنك نعد دوماً من يسمع أشياء. وفي هذه
النقطة أحسب أن بوسع السيد ريدنغ أن يحذر على شيء ما.

- ولكن السيدة بروثيرو لا تعرف شيئاً.

قالت الأنسة ماربل: لم أفصد السيدة بروثيرو، بل قصدت
العاديات. إنهن يكرهن كثيراً إبلاغ الشرطة بما يعرفن، أما بالنسبة
لشباب وميم لطيف... وأرجو أن تعلمني في ذلك يا سيد ريدنغ...
وبالنسبة لشباب تم الاشتباه به دون وجه حق... أوه! إنني وثقة أنهن
سيخبرنه في الحال.

قال لورنس بحماسة: سأذهب وأقوم بمحاولة مساء اليوم،

شكراً على هذه الفتحة يا أنسة ماريل. سأذهب بعد... بعد القيام بعملية بسيطة ليريد أنا والكاهن القيام بها.

خطر لي أن من الأفضل أن نمضي لعملاء فودعت الأنسة ماريل ثم دخلنا الغاية من جديد.

ذهبنا أولاً إلى المبنى صغيراً حتى وصلنا إلى نقطة بدا مؤكداً فيها أن أحدهم ترك المبنى عندها ودخل بينما هي الغاية. وقد شرح لورنس بأنه قد سبق وتابع هذا الأمر بعددنا ووجد أنه لا يعود إلى شيء، ولكنه أضاف أن لا خبر من المحاولة ثانية، إذ ربما كان معطلاً. ولكن الأمر كان كما قال، فما هي إلا عشرة أمتار أو أكثر قلباً حتى انتهى أي أثر لانتشاء الأغصان أو دوس طمشت. وكانت هذه المنطقة هي التي تركها لورنس وعاد إلى المبنى ليجدني هناك في وقت سابق من عصر اليوم.

عندنا إلى المبنى ثانية ومشينا فيه مسافة أبعد، ومرة أخرى وصلنا مكاناً هدأت فيه الأغصان وكان أحداً جالس خلالها. كانت الآثار خفيفة جداً ولكن لا مراه فيها كما بدا لي. كان اختلافنا للأمر هذه المرة واعداً أكثر، فقد أتبع الأثر خطاً ملتوياً والنفس حتى اقترب من بيتي، وسرعان ما وصلنا إلى حيث تنمو الأغصان بكثافة إلى أعلى الحائط، والحائط كان غرس في أعلاه شظايا من طر حاج، ولو أن أحداً وضع عليه شيئاً لتوجب الضرر على آثار ذلك.

كما نشق طريقنا ببطء بمحاذاة الحائط عندما تناهى إلى أن سمعنا صوت انكسار غصن صغير. اندفعت للأمام شذفاً طريقتي عبر مجموعة من الشجيرات الكثيفة، وسرعان ما وجدت أمامي المفتش

سلاك وجهاً لوجه. قال المفتش: هذا أنت إذن، والسيد وينغ أيضاً. ماذا تفعلان هنا أيها السيدان؟

شرحنا له وقد هبطت معنوياتنا بعض الشيء فقال: حسناً، أنا شخصياً خطرت لي نفس الفكرة، فمن لنا بالمظلمين كما يظن عائلة. أنا هنا منذ ساعة تقريباً... أتريدون أن تعرفوا شيئاً؟

قلت بإذعان: نعم.

- كأننا من كان قاتل الكولونيل بروثير فإنه لم يأت من هنا الطريق! لا أثر في هذا الجانب من الحائط ولا في الجانب الآخر. لذلك دخل من الباب الأمامي، ولا يمكن أن يكون قد أتبع طريقاً آخر.

صحت: مستحيل!

- لماذا مستحيل؟ إن بابك مفتوح دائماً، وما على المرء إلا أن يدخل، فلا يمكن لأحد أن يورى من المطبخ من يدخل من الباب الأمامي. ولماذا كل شخص من تلك طائفة، ويعلم أن زوجته في لندن وأن ديتس مشغول بلعبة تنس. الأمر أبسط من البساطة... كما أن القاتل ليس بحاجة لأن يذهب أو يأتي عبر القرية فمقابل بوابة بيتك فملاً طريق ترائي عام، ومن ذلك الطريق يمكن للمرء أن يدخل في هذه الغاية نفسها ثم يخرج من أي مكان يريد. الأمر كله في غاية الأمان ما لم تخرج السيدة رينلي من بوابة بيتها الأمامية في تلك اللحظة بالذات. نعم، لقد سلك القاتل تلك الطريق، خذها مني.

هذا الأمر فعلاً وكان المفتش مصيب فيما يقوله.

• • •

مسبقاً، ولو كان الأمر مجرد مزحة بريئة أو مقلب لما تم مسح
البصمات بكل ذلك الحرص.

- نعم، أفهم ذلك.

- ويرهن ذلك أيضاً على أن القتاتل كان يعرف تماماً منزل
لؤلؤة حول وما حوله. لم تكن السيدة برونبرو هي من أجرى تلك
المكالمة؛ فقد تحققت من كل دقيقة قضتها في عصر ذلك اليوم.
العديد من مقدم مستعدون للتقسيم بأنها كانت في البيت حتى الساعة
العاشرة والنصف، ثم جاء المسائق بالسيارة فأخذها وزوجتها إلى
القرية حيث ذهب الدكتور لوتيل لرؤية الطبيب البيطري بشأن أحد الصيول.
لما السيدة برونبرو فقد طلبت بعض المظليات من لبقال ويافع السمك،
ومن هناك ذهبت مباشرة عبر الممشى المنعطف حيث رأينا الآنسة
ماريل. كل أصحاب المذكاكين متفقون على أنها لم تكن تحمل حقيبة
معهها، وبذلك كانت المحوز على صواب.

- هي دائماً على صواب!

- ولتيس كانت في متش بينهما في العاشرة والنصف.

- صحيح، فقد كان ابن أعني هناك أيضاً.

- ذلك بحطها خارج الموضوع. الخادمة تبدو على ما يرام...
منزعجة وحسيرة التصرفات قليلاً، ولكن ماذا بوسع المرء أن يتوقع
غير ذلك؟ لقد أقيمت كثير المعلم تحت انتباهي بالطبع، بسبب تقديمه
إشعار بإنهاء عمله وغير ذلك، ولكنني لا أظنه يعرف شيئاً عن الأمر.

- يبدو أن تحرياتك انتهت إلى نتيجة سلبية أيها المفتش.

الفصل السابع عشر

جاء المفتش سلاك لرؤيتي في صباح اليوم التالي، ورأيت أنه
بدأ يصبح وبدواً تجاهي، فربما نسي مع الوقت حادث الساعة. قال
محبياً: مرحباً يا سيدي. لقد تبعت تلك المكالمة الهاتفية التي
جاءتلك.

قلت بلهفة: حقاً؟

- أمرها غريب بعض الشيء. لقد أخرجت من غرفة النوم
عند البوابة الشمالية لمنزل أولد حول. تلك الغرفة فارغة الآن،
فالبوابة القديمة أحول على التقاعد ولم يورث يوم جديد بعد. كان
المكان خالياً ومناسباً... وكانت النافذة الخلفية مفتوحة! ولم نعلم
على آثار بصمات على جهاز الهاتف نفسه فقد تم مسحها بعناية،
وهو أمر ذو دلالة.

- ماذا تعني؟

- أعني أن ذلك يبرهن أن المكالمة أخرجت مملكت عمداً بقصد
إبعادك عن البيت؛ ولذلك فإن الجريمة قد تم التخطيط لها بعناية

- هذا صحيح وغير صحيح يا مبدئي! فقد ظهر أمر غريب جداً... وعني غير توقع إذا صح التعبير.

- وما هو؟

- أذكركُ تلك الضجة التي أثارها جوارك السيدة برايس ريدلي صباح أمس؟ بشأن تلك المكالمة التي تلقتها؟

- نعم.

- تبيننا تلك المكالمة لمجرد نهبتها، فمن أين نفلتها أحرمت؟

توقعت فائلاً: من مكتب ريد؟

- لا يا سيد كينست... لقد أحرمت المكالمة من بيت السيد لورنس ريدنغ.

هتفتُ مندهشاً: ماذا؟

- نعم، أمر غريب، أليس كذلك؟ ولكن لا علاقة للسيد ريدنغ بالمكالمة؛ ففي ذلك الوقت (أي السادسة والنصف) كان في طريقه إلى فندق بلو بور مع الدكتور ستون عفى مرأى من سكان القرية جميعاً. ولكن هذا ما جرى، وهو أمر له مدلولاته، ليس كذلك؟ لقد دخل أحدهم إلى ذلك البيت الضارح واستخدم الهاتف، فمن هو؟ نحن أمام مكالمتين غريبتين في يوم واحد، وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد باحتمال وجود علاقة بين المكالمتين، ولن أسمي نفسي مفتش شرطة إن لم يكن من أجرى المكالمتين شخصاً واحداً.

- ولكن بأي هدف؟

- هذا ما ينبغي لنا أن نكشفه. لا يظهر أي هدف في المكالمة الثانية، ولكن لا بد من وجود هدف خفي ما. هل تدرك المفزى من ذلك كله؟ بيت السيد ريدنغ يستخدم لإجراء المكالمة، ومستخدم يستخدم للقتل، وكل ذلك بحملته محل الشبهات.

اعترضت قائلاً: كان الإحرب إلى ذلك الهدف أن تُجرى المكالمة الأولى من بيته.

- آه، كنت أفكر في حل لذلك. ما الذي يفعله السيد ريدنغ دائماً في فترة العصر؟ إنه يذهب إلى أولد هول ليرسم لهنس، وهو يذهب ركباً دراجته النارية ويمر من خلال البوابة الشمالية. أترى الآن المفزى من إجراء المكالمة من هناك؟ إن الغائل لم يكن يعرف بأمر الشجار وبأن السيد ريدنغ لم يعد يذهب إلى أولد هول.

فكرت دقيقة لاستوعب التفاضل الذي ذكرها المفتش. بدت تلك التفاضل منطقية لا مفر منها، وسألته: أكانت على هانف السيد ريدنغ أية بصمات أصابع؟

قال المفتش بأسى: لم تجد بصمات... تلك المحوز المزعجة التي تنظف اليث كانت قد جاءت ونظفت كل شيء صباح أمس.

تفكرت بشيء من الاكتئاب لبضع دقائق ثم قال: إنها محوز غيبة على أية حال، فهي لا تستطيع أن تتذكر متى رأت المسلسل آخر مرة، وبذات تقول إنه ربما كان موجوداً هناك صباح يوم الجريمة وربما لم يكن؛ إنها لا تستطيع الحزم... كلهن سواء!

ثم مضى قائلاً: كإجراء شكلي ذهبت وقابلت الدكتور ستون،

وعلى القول إنه كان سعيداً بالتعاطف في هذا الأمر. قال إنه ذهب مع الأنسة كرام إلى ذلك القبر المكتشف في حوالي الثانية ونصف من بعد ظهر أمس وبقي هناك طوال فترة العصر، ثم عاد الدكتور متون بمفرده وعادته هي لاحقاً. قال إنه لم يسمع أي صوت لطفلة، ولكنه اعترف بأنه شارد الذهن. ولكن أقواله كفها تؤيد ما نعتقد نحن.

- إلا أنك لم تمسك بالمحرم.

- هممم، لقد كان ما سمعته في الهاتف صوت امرأة، وكان ما سمعته السيدة برايس رينلي في الهاتف صوت امرأة في أغلب الاحتمالات. لست تلك الطفلة لم تأت مباشرة بعد انتهاء المكالمة.. حسناً، سأعرف أين أبحث.

- أين؟

- أه! هذا هو بالضبط ما أبحث عن إلا أقوله يا سيدي.

دعوت المفتش سلاك لشرب القهوة وقد نجحت لفكرة - كما ظننت - فما كدنا نجلس لشربها حتى بدأ يغدو ودياً، ثم ما لبثت أن قال: لا أظن أن في الحديث بأساً معك أنت، فسوف تبقى الحديث لنفسك، أليس كذلك؟ لن تدعه يدور بين الناس.

طمأنته في ذلك الصدد فقال: إني أشعر - وأنا أرى كيف وقع الأمر كله في يديك - أن لك حقاً في المعرفة.

- هذا تماماً ما أشعر به أنا.

- حسناً إذن، ماذا عن المرأة التي زارت بروثيرو ليلة مقتل؟

صحت بصوت عال من دهشتي: السيدة ليسترينج؟

رمانني المفتش بنظرة تأنيب وقال: لا تصرخ هكذا. إن السيدة ليسترينج هي المرأة التي أضعتها نصب عيني. أنت تذكر ما أخبرتك به... عن الابتزاز.

- لا يكاد ذلك يكون مبرراً للقتل. لكن يكون ذلك بمثابة قتل الضحاجة التي تبض ذهباً؟ هذا إذا اقترضنا نظريتك صحيحة، وهو ما لا أقره لحظة واحدة.

ومش المفتش بعينيه نحائي وقال: أه! إنها من النوع الذي يحمل الرجال إلى مساندتها. اسمعني يا سيدي، لنفترض أنها قد نصحت في الماضي في ابتزاز الرجل، وبعد مرور عدة سنوات سمعت به فحاجت إلى هنا وحاولت ممارسة ذلك من جديد. ولكن الأمور تغيرت بعد كل هذه الفترة، فقد اتخذ القانون موقفاً مختلفاً تماماً، حيث سمح في أمان هذه كل التسهيلات لمن يريدون رفع قضايا ابتزاز... فالأسماء مثلاً لا تسمع بذكرها في الصحافة. لنفترض أن الكولونيل بروثيرو وقف في وجهها وقال إنه سيلاحقها قضائياً. ستكون عندها في ورطة صعبة. إنهم يصيدون أحكاماً مشددة جداً على الابتزاز. وهكذا انقلب الساحر على الساحر، وبذلك لا يعود أمانها - لتتخذ نفسها - إلا أن تزيحه عن الطريق بأسرع ما يمكن.

كنت ساكناً. اضطررت للاعتراف بأن القضية التي رتبها المفتش كانت قابلة للتصديق. أمر واحد جعلها غير مقبولة لعقلي... ذلك هو شخصية السيدة ليسترينج.

قلت: إني لا أتفق معك أيها المفتش، فهي لا تبدو لي كذلك.

إنها... حسناً، سأستعمل كلمة قديمة الطراز، إنها سيده حقا.

رمانى بنظرة مشفقة ثم قال بشيء من التسامح: آه! حسناً يا سيدي، إنك رجل دين، ولا تعرف إلا قليلاً مما يجري. هه، سيده! ستدهش لو عرفت بعضاً مما أعرفه.

- أنا لا أتحدث عن المنزلة الاجتماعية المحددة. وبعبارة أخرى على أية حال أن السيدة ليسترينج "عزيزة قوم ذلت" كما يقال. إن ما أعنيه هو مسألة... تهذيب شخصي.

- إننا ننظر إلى الأمر من زاويتين مختلفتين يا سيدي. صحيح أنني رجل... ولكنني أيضاً ضابط شرطة، وليس يوسمهم حداعي بتهذيبهم الشخصي. إن تلك المرأة من النوع الذي يمكنه طعن امرئ يمكنه دون أن يرف لها حرف.

الغريب أن إمكانية إقدام السيدة ليسترينج على القتل بدت لي أسهل تصديقاً من احتمال إقدامها على الابتزاز. ومضي المفتش قائلاً: ولكنها لا يمكن بالطبع أن تكون قد اتصلت هاتفياً بجارتك وأطلقت النار في الوقت نفسه تماماً على الكولونيل برونيو.

لم تؤكد تلك الكلمات نخرج من قعره حتى ضرب يده على فخذه بشدة وقال: وحدثها، كائن ذلك هو الهدف من المكالمة الهاتفية. كانت بمثابة دليل غياب عن مكان الجريمة؛ فقد عرفت أننا سنربط بين المكالمتين. سوف أحقق في ذلك... ربما كانت قد رشت أحد صبيان القرية ليقوم بالاتصال نيابة عنها، وما كان لذلك العيب أن يربط أبداً بين المكالمة وجريمة القتل.

ثم انطلق المفتش خارجاً. وأطلقت غريزدا من الباب وقالت: الأنسة مارييل فريد روثك، لقد أرسلت ملاحظة مكتوبة ليس فيها أي انسجام وقد كتبت بأحرف طويلة رفيعة وتحتهنا خطوط للتأكيد. لم أستطع قراءة الكثير منها... أسرع بالذهاب إليها وانظر ما هي المسألة. ستأثني المحاكاة في غضون دقائق، وإلا لكنت حقت معك.

أسرعت بالخروج وأنا حائر الذهن كثيراً فيما يخص سبب هذا الاستدعاء. وجدت الأنسة مارييل في حالة من العصبية والارتباك. كانت محمرة الوجهة نعرتها الكلمات، وبدا رتي شارحة: ابن أخي، ريموند ويست، الكاتب، إنه آت لزيارتي اليوم... أمر مرثك جداً. أنا مضطربة لأن أشرف بنفسي على كل شيء. لا يمكنك ائتمان عادمة حتى على لريب سرير بشكل جيد، كما ينبغي طبعاً تحضير وجبة فيها لحم هذا المساء. إن الرجال شديرو الحرص على وجود اللحم في طعامهم، أليس كذلك؟

- إن كان يوسمي أن أصعد...

- أوه! كم هو لطيف منك، ولكنني لم أقصد ذلك... ما يزال لدي وقت طويل في الواقع. يستعني أنه يحضر معه غليونه الخاص وقفيه، ولكنني حزينة أيضاً لأن تعطيس السناكر من راحة الدخان التي تعلق بها يحتاج وقتاً طويلاً. إنني أقوم طبعاً بفتح النوافذ وهز الستائر جيداً كل صباح، فريموند يتأخر كثيراً في نومه... وأظن أن هذا حال الكتاب غالباً، إنه يكتب فصصاً رائعة رغم أن الناس ليسوا بفلك السوء كما يصورهم، ألا ترى ذلك؟

سألتها وأنا ما تزال عاجزاً عن فهم سبب استدعائي: أتودين أن

- أوه! كلا، شكراً لك. إنه لطيف بالفتح منك.

قلت وقد شارفت على اليأس: كان لديك... كان لديك شيء أردت رؤيتي بشأنه كما أظن.

قالت: أوه! طبعاً، غاب ذلك عن ذهني في غمرة الانفعال. ثم أغلقت الباب وعادت إلي تمشي على رؤوس أصابعها وقامت: إنه أمر غريب نوعاً ما، حصل ليلة أمس، حسب أنك ربما أصبحت مساعداً، مع أنه لا يدر حالاً أمراً ذا معنى. فقد أصابني الأرق ليلة أمس، وأما أفكر بكل هذا الأمر المحزون الذي حدث، ثم نهضت ولظرت من نافذتي، فماذا ظن أني رأيت؟

نظرت إليها متسائلة فضالت بتر كبير شديداً: غلاميس كرام، رأيتها كما أراها الآن، تذهب إلى القاعة ومعهما حفية.

حفية؟

- أليس ذلك غريباً؟ ماذا عليها تفعل بحقية في القاعة في الساعة الثانية عشرة ليلاً؟ لا أظن أن للأمر علاقة بالحريمة، ولكنه أمر غريب جداً... ونحن نتحر في الوقت الراهن أن علينا أن ننشأ إلى الأشياء الغريبة.

- أمر منهش جداً، أراها كانت ذاهبة لتنام في ذلك القبر؟

- لم تفعل ذلك على كل حال؛ لأنها عادت بعد وقت قصير.

* * *

الفصل الثامن عشر

عقدت جلسة التحقيق في الساعة الثانية من عصر ذلك اليوم (السبت) في فندق بلو سور، ومن نافذة المقول أن أذكر أن انفصال الأحملي كان عظيماً؛ إذ لم تحدث جريمة قتل في سبت مسري بعد منذ أكثر من خمسة عشر عاماً على الأقل، كما أن مقتل رجل كالكونترول برينور في مكتب بيت الكاهن كان وليمة كبرى من الإثارة ما كان جمهور القربة ليحظى بمثلها إلا نادراً.

تناهت إلى مسامعي تعليقات متنوعة ربما لم يكن مراد لي أن أسمعها: "ها هو الكاهن، يبدو شامياً، أليس كذلك؟" أسأله إن كان له يد في هذه الجريمة. فقد ارتكبت الجريمة في بيته؟. "كيف تقولين ذلك يا مسري أقام؟ ألم يكن في زيارة له تري أبوت وكثيراً؟" "أوه! ولكن يقال إن كلاماً قد جرى بينهما. ها هي مسري هيل. إنها قاتلة، باعتبارها تعمل هناك. اسمعي، ها قد جاء المحقق."

كان المحقق هو الدكتور روبرتس من بلدة تشين بينهام المجاورة، وقد تمخض وعزل وضع نظائره وبدأ رجلاً ذا أهمية قبل أن يبدأ التحقيق. إن إعادة سرد كل ما تم الإدلاء به من شهادات سيكون

أمراً ممللاً. قدم لورنس رهنخ شهادته حول عنوره على الحقة، وتعرف على المسلس مفرأ أنه له. وقال إنه يظن -بأفضل ما تسفه ذاكرته- أنه رأى المسلس يوم الثلاثاء، أي قبل يومين، وكان موضوعاً على رف في بيته، ولم يكن باب البيت يُغلق عادة.

أدلت السيدة بروثيرو بشهادة قالت فيها إنها رأت زوجها لآخر مرة في حوالي الساعة السادسة إلا ربعا عندما اخترقا في شارع القرية، وقد ولفتت على أن تمر عليه في بيت الكاهن لاحقاً. ذهبت إلى بيت الكاهن في حوالي السادسة والرابع من خلال الممشى الخلفي وبوابة الحديقة. لم تسمع أصواتاً في المكتب فتخيلت أن القرية فارغة، ولكن ربما كان زوجها جالساً إلى طاولة الكتابة، وفي هذه الحالة لم يكن من شأنها أن تراه. وفلتت إنه كان -كما رآته- في حالته الطبيعية صحة ومعنويات، وهي لا تعرف بوجود عدو يمكن أن يحمل له ضحية.

ثم أدليت بشهادتي بعد ذلك، وشرحت مسألة مواعدي مع بروثيرو واستدعاني إلى بيت عائلة أبوت، وشرحت كيف وجدت الحقة وكيف استدعيت الدكتور هيدوك. سألت المحقق: "كم من الناس كانوا على علم بأن الكولونيل بروثيرو سيأتي لرؤيتك في تلك الأمسية يا سيد كليمنت؟" فقلت: "يخيل إلي أن الكثيرين كانوا يعلمون بذلك. زوجتي كانت تعلم، وابن أخي، وقد نشج الكولونيل بروثيرو لتلك الحقيقة صباح ذلك اليوم عندما قابلته في القرية. وأظن أن الكثير من الناس ربما سمعوه، إذ كان يتحدث دوماً بصوت عالٍ لأن سمعه ثقيل". وسألت المحقق: "أكان الأمر -إذن- أقرب إلى المعلومات العامة؟ وربما عرف به الجميع؟" فأجبت بالإيجاب.

جاء دور الدكتور هيدوك بعد ذلك، وكان شامعاً هاماً. وصف بلغة وبأسلوب فني متخصص مظهر الحقة والإصابة التي تعرضت لها بالضبط. كان رأيته أن النار قد أطلقت على القليل ما بين ٦.٢٠ و ٦.٣٠ تقريباً، ولم تتجاوز بالتأكيد الساعة ٦.٣٥، وكان ذلك أقصى حد لوقت ارتكاب الجريمة، وقد أكد الدكتور هيدوك جازماً على تلك النقطة. كانت مسألة الانتحار مستحيلة كلياً، إذ لم يكن ممكناً لأحد أن يلحق بنفسه مثل تلك الإصابة.

كانت شهادة المفتش سلاك مغتضبة منقطة. تحدثت عن استدعائه والظروف التي عثر بها على الحقة. وقد تم إبراز الرسالة التي لم تكتمل، والإشارة إلى التوقيت المكتوب في أعلاها، كما تم ذكر ساعة المعاط. وقد ساد -بشكل غير مباشر- افتراض أن وقت الوفاة كان ٦.٢٢. لم يكن الشرطة بفضول بشيء، وقد أخبرني أن بروثيرو لاحقاً أنهم لم يسموها بأن تعطي لزيارتها وقتاً أبكر قليلاً من الساعة ٦.٢٠.

كانت خدماتنا ساري هي الشاهدة التالية، وقد أثبتت أنها شاهدة شرسة. قالت إنها لم تسمع شيئاً، ولا تريد أن تسمع شيئاً، وليس كل من يأتي لزيارة الكاهن تطلق عليه النار، أيدياً... كما أنها متفولة بواجباتها المعاصرة. قالت إن الكولونيل بروثيرو وصل في تمام السادسة والرابع، ونفت أن تكون نظرت إلى ساعتها عند ذلك، بل إنها سمعت دقة ساعة الكتيبة وهي نصحه إلى المكتب. قالت إنها لم تسمع أية طفلة، ولو كانت طفلة لسمعتها. ثم استدركت قائلة إنها تعرف طبعاً أن طفلة قد أطلقت دون شك، طالما أن الرجل وحده حرمياً بالرصاصة... ولكن هذا ما جرى، فهي لم تسمع الطفلة.

لم يلح المحقق كثيراً على هذه النقطة، وقد أدركت أنه يعمل
بالاتفاق مع الكولونيل ميلشيت.

كانت السيدة لسترينج قد تلقت استدعاءً للإدلاء بشهادتها،
ولكن تم إبراز شهادة طبية بإمضاء الدكتور هيدوك تقول إنها مريضة
إلى حد يمنعها من الحضور.

لم تبقَ إلا شاهدة وحيدة أخرى، وهي محووظ ترنمشر أطرفها،
وهي التي كانت تنظف بيت لورنس ريدنغ. تم عرض المسدس على
السيدة أوتشر، وقد تعرفت إليه باعتباره المسدس الذي رآته في غرفة
جلوس السيد ريدنغ. قالت: "كان يحتفظ به مريباً هناك على رف
مخازنة الكتب". وجواباً عن سؤال آخر قالت إنها واثقة تماماً أن
المسدس كان هناك وقت الغداء يوم الخميس... في الساعة الواحدة
إلا ربما عندما غادرت.

تذكرت ما قاله لي المنشر ودهشت قليلاً، فكأنما ما كان
غموضها وعدم ثبوتها عندما حقق معها سلاك فهي تبدو الآن حازمة
تماماً فيما تقول.

لخص المحقق الموقف بطريقة سلبية، ولكن بكثير من الحزم.
وتم إصدار الحكم بشكل شبه غوري:

"جريمة قتل ارتكبتها شخص أو أشخاص غير معروفين."

انتهت - وأنا أعادر قاعة التحقيق - لوجود جيش صغير من
الشباب ذوي الوجوه اللامعة اليفطة الذين يشبهون بعضهم بعضاً
شبهاً مصطنعاً. كنت أعرف العديد منهم بالشكل من قبل، باعتبارهم

ترددوا كثيراً على الكنيسة في الأيام القليلة الماضية. وبغية الخلاص
منهم عدت بسرعة إلى الفندق، وحالفني الحظ إذ رأيت أمامي عالم
الأثار، الدكتور ستون. أمسكت به دون تردد وقلت بالمختصر
المفيد: الصحفيون... إن كنت تستطيع إنفاذي من برائتهم!

- بالتأكيد يا سيد كليمنت، تعال معي إلى غرفتي غولي.

قادني على المخرج الضيق ثم إلى غرفة جلوسه حيث كانت
الآنسة كرام جلوساً "تعرّف" على مفاتيح الآلة المطابعة بمعدة
المتحرسين. حثني بإسماة ترخيب عريضة واغتست الفرصة لتتوقف
عن العمل. قالت: أمر غطيم، ليس كذلك؟ أعني ألا يعرفوا من
فعلها. لقد خاب أملي بهذا الصحفي... كان بلا طعم، هذا ما وجدته.
ليس فيه ما يمكن اعتباره مثيراً من بدائنه حتى نهايته.

- فقد كنت هناك - إذن - يا آنسة كرام؟

- كنت هناك بالتأكيد. أطفل أنك لم تروني؟ إنني أشعر بشيء
من الإهانة لذلك. نعم، أشعر بذلك. لا بد أن تكون لرجل عبقان
في رأسه حتى لو كان رجل دين.

سألت الدكتور ستون في محاولة مني للتخلص من هذه
السعرة الهازلة، فالتصبات كالآنسة كرام بشعرني دوماً بالمخرج
الشديد: أكنت حاضراً أنت أيضاً؟

- لا، إنني لا أهتم كثيراً بمثل هذه الأمور؛ فأنا امرؤ مستغرق
تماماً في هوايته الخاصة.

- لا بد أنها هواية ممتعة جداً.

سألني قائلاً: ربما كنت تعرف شيئاً عنها؟

اضطرت للاعتراف بأن ما أعرفه عنها لا يكاد يذكر، ولكن الدكتور ستون لم يكن ممن يشط مثل هذا الاعتراف بالجهل عنهم؛ فقد كانت تتجسس اعترافي بجهلي كما لو أنني قلت إن التقيب عن القصور هو متعني الوحيدة! اندفع في شرح لا نهاية له عن القصور المطلوبة والقصور المستديرة والعصر الحجري والبرونزي والصناديق التي تصمم متعلقات الموتى والشواهد الحجرية، وداهمني ذلك كله كشلال دائم، ولم أجد ما أستطيع فعله باستثناء هز رأسي والظهور بمظهر الفاهم لذلكي... وهذه الصفة الأخيرة لا أقولها إلا من باب التفاؤل المفرط! مضى الدكتور ستون يتكلم بصوته العميق. كان رجلاً ضئيل الجسم أصلع مكور الرأس، أحمر الوجه مستديره، وهو يمش في وجهك من خلال نظارة سمكة حداد. ولم أر أبداً رجلاً يبتغ به الحماسة مثل هذه الدرجة مقابل مثل هذا التشجيع الذي لا يكاد يذكر! فقد استعرض بالتفصيل كل الآراء التي دعمت أو عارضت نظريته الخاصة الأخيرة... وهي - بالمناسبة - نظرية فشلت تماماً في فهمها!

شرح بالتفصيل خلافه مع الكولونيل مرونبرو، وقال بحماسة: إنه دعي نرق. نعم، نعم، أعرف أنه ميت الآن، وأن على المرء ألا يتكلم بسوء عن الموتى، ولكن الموت لا يغير الحقائق. إن عبارة اندعي النزول نصفه بدقة، فلمجرد أنه قرأ بعض الكتب تراء ينصب نفسه حجة ومرجعاً... أمام رجلى قضى حياته في دراسة الموضوع. لقد كرست حياتي كلها يا سيد كليفنت لهذا العمل. حياتي كلها...

كان يتلثم لقرط انفعاله. أعادته غلاديس كرام إلى الواقع بحملة مفتضة، إذ قالت: سيفوتك الفطار إذا لم تنبه.

توقف الرجل الضئيل في وسط كلامه وسحب ساعة من جيبه وقال: يا إلهي، إلا ربناً! مسنحيل!

قلت له الآنسة كرام: ما أن تشرع في الحديث حتى تنسى الوقت تماماً. ما الذي كنت ستفعله لو لم أكن موجودة للاهتمام بذلك؟ هذا ما أريد حقاً معرفته.

قال وهو يربت على كفتها يود: هذا صحيح تماماً يا عزيزتي... صحيح تماماً. إنها فتاة رائعة يا سيد كليفنت. لا تنسى شيئاً. إنني أعتبر نفسي محفوظاً جداً بالعثور عليها.

قالت الفتاة: أوه! استمر في ذلك يا دكتور ستون، إنك تفعلني بأفركك فعلاً.

لم يحسن إلا الشعور بأنني أوشكت أن أكون في موقع أدهم فيه المدرسة الفكرية الثانية... قلت المدرسة التي تنبأ بأن مستقبل الدكتور ستون والآنسة كرام سينتهي بالزواج الشرعي. وقد رأيت أن الآنسة كرام شابة ذكية على طريقها الخاصة.

قالت له: من الأفضل أن تغادر الآن.

- نعم، نعم... علي أن أغادر.

دخل إلى الغرفة المجاورة ثم عاد حاملاً حقيبة. سألته بشيء من الدهشة: أنت سافر؟

- سأذهب على محمل إلى المدينة ليومين. علي أن أرى ولفني المحجوز غداً، ثم أنهي مسألة مع محامي يوم الاثنين، وسأعود

يوم الثلاثاء، بالمناسبة، أحسب أن وفاة الكولونيل بروثيرو لن تغير في ترتيباتنا شيئاً... أعني فيما يخص القبر. أتظن أن السيدة بروثيرو يمكن أن نعتزض على استمرارنا بالعمل؟

- لا أظن ذلك.

وفيما كان يتكلم كنت أتساءل مع نفسي عمن سيكون المسؤول في منزل أولد هول، إذ ربما كان بروثيرو قد أوكّل تلك المسؤولية لابنته لتييس. شعرت أن من الطمّير أن يعرف المرء محتويات وصية بروثيرو.

قالت الأنسة كرام بشيء من المتعة التي يشوبها النجاسة: إن الموت بسبب الكثير من المتاعب للعائلة، لا يكاد المرء يقدّر السوء الذي يخلفه الموت أحياناً.

قال الدكتور ستون: "حسناً، عليّ أن أذهب"، ثم قام بحمل المحاولات الفاشلة للسيطرة على الحقيبة وعلى بساط نعين يريد حمله، وعلى شعبة تصعب السيطرة عليها.

تقدمتُ لمساعدته فاعترض قائلاً: لا تعب نفسك... لا تعب نفسك. بومسي تدير الأمر تماماً... لا شك أنني سأجد أحداً في الطابق السفلي.

ولكن لم يكن في الطابق السفلي أي حمال أو سوى ذلك من الناس، وشككت بأن مستعملي الفندق قد دعوا إلى وليمة ما. كان الوقت يتقدم، ولذلك انطلقنا معاً إلى المحطة والدكتور ستون يحمل حقيبته فيما أحمل أنا البساط والشمسية.

و نحن نسرع باتجاه المحطة فذف الدكتور ستون ببعض الملاحظات القصيرة وهو يلهث: هنا فعلاً لطف كبير منك... لم أزد برعاً منك... أمل ألا يفوتنا القطار... غلاديس فتاة طيبة... رائعة حقاً... فانت طبيعة عذبة جداً... ليست سعيدة جداً في بيتها... قلبها كقلب طفل تماماً... أؤكد لك أنني... رغم غارق السن... أحد الحكماء من الأمور المشتركة بيننا...

ما أن انطلقنا باتجاه المحطة حتى رأينا بيت لورنس ريدنغ. كان البيت في موقع منعزل لا يوت حوله، ولاحظت وجود شاهين ثماني المظهر يقفان على عتبة البيت، فيما وقف اثنان آخران ينظران إلى داخل المنزل من خلال النوافذ. لا شك أن هذا اليوم كان زائراً بالعمل بالنسبة لرجال الصحافة.

قلت لأرى ما يقوله ريفي: إن ريدنغ شاب لطيف.

كان الالهات قد بلغ منه مبلغاً وجد معه صعوبة في قول شيء، ولكنه نفخ كلمة لم أفهمها للوهلة الأولى. وعندما طلبت منه إعادة كلمته قال: عطر.

- عطر؟

- عطر جداً. بالنسبة للفتيات الهربات... ليس ما هو عطر منه... يتخذهن بالشباب من أمثاله... ممن تراهم يدورون دوماً خلف النساء... أمر سيء.

ومن ذلك استنتجت أن غلاديس الحبيبة لم تفتها ملاحظة الشاب الوحيد في القرية.

هتف الدكتور ستون: يا إلهي، القطار!

كما قد قلنا كثيراً من المحطة، فهرعنا راكضين. كان للقطار الذي ينطلق من القرية واقفاً في المحطة، فيما كان القطار القادم من لندن يدخل المحطة لنوء.

عند بوابة مكتب الحجز اصطدمنا بشاب غريب المظهر نوعاً ما، وسرعان ما ميزت فيه ابن أبح الآلة ماربل الذي وصل لنوء. رأيت فيه شيئاً لا يحب الاصطدام بأحد، وهذا وكأنه ينهر بالهجر بالزواله ومظهر الحماد الذي يبدو عليه. وما من شك في أن لي اصطدام فظي يلحق ضرراً بالغاً بأي مظهر الزان مصفّع من هذا القبيل. ترنح مترامعاً، واعتذرت له على محمل، ثم دخلنا. صعد الدكتور ستون إلى القطار، ونابله حاجياته في الوقت الذي اعتبر به القطار وبدأ ينطلق.

لوحت له مودعاً ثم فلتت راجعاً. كان ريموند وست قد عادر المحطة، وكذلك كان صيدلي فريتس يغادرها لنوء باتجاه القرية مشيت إلى جانبته فقال: لقد كاد القطار بفوتكنا. كيف مضى التحقيق؟ أخبرته بالحكم الذي صدر، فقال: أود هذا - إزد - ما حدث. لقد حسبت أن الحكم سيكون كذلك. أين ذهب الدكتور ستون؟

كررت ما قاله الدكتور ستون حول سفره، فقال: من حفظه أن القطار لم يفته. مع أن المرء لا يستطيع الحزم أبداً في هذا الخط. يا له من عار يا سيد كليمنت! إنني أسبه أمراً مشيناً. لقد تأخر القطار الذي حثت به عشر دقائق. ويحدث هذا يوم السبت حيث لا يوجد أي ازدحام في الخطوط. وفي يوم الأربعاء... كلاه الخميس...

نعم، كان يوم الخميس، أذكر أنه كان يوم الحرمة، لأنني أردت أن أكتب شكوى شديدة قهقهة للشركة ولكن الحرمة أنستني الموضوع. نعم، في يوم الخميس الماضي كنت ذاهباً لمضور اجتماع جمعية الصنادل، فكم تأخر قطار السادسة وخمسين دقيقة برأيك؟ نصف ساعة كاملة. نصف ساعة بالضبط! ما رأيك بذلك؟ لا بأس في تأخير عشر دقائق، ولكن إن كان القطار لا يصل المحطة حتى الساعة وأنت غافك لا تستطيع الوصول إلى بيتك قبل الساعة والنصف. لماذا يسمونه إذن قطار السادسة وخمسين دقيقة؟

قلت له: هذا صحيح.

ثم انفصلت عنه رغبة في الخلاص من هذا الحديث من طرف واحد متظفراً بأن لديّ ما أقوله للورنس ويدفع الذي رأيته يقرب منا من الجانب الآخر من الطريق.

• • •

- لا أدري، ولكنه الحقيقة. لو بدلت معجون حلاقتك لكان
ذلك موضوع حديث في القرية!

- لا بد أنهم يعانون من نقص رهيب في الأخبار.

- نعم، بالطبع. فلا يحدث هنا شيء مثير أبداً.

- حسناً، ما قد حدث الآن... وبانتظام.

ونفقت على ذلك فسأل: ولكن من يعبرهم بكل هذه الأمور؟
عن معجون الحلاقة مثلاً؟

- ربما أحمرتهم السيدة آرثر المعجوز.

- تلك المعجوز المصفاء؟ إنها تنصف عقل كما يبدو لي.

شرحت له قائلاً: ذلك هو الترميم الذي يتبعه الفقراء. إنهم
يحتمون علف فاع الغباء، ولعلك تعد أن تلك المعجوز أكمل ما تكون
علاً. بالمناسبة، إنها تبدو الآن وثقة تماماً من أن المستطس كان في
مكانه المعتاد ظهر الثلاثاء، فما الذي جعلها ضحاة عاجزة لهذا الحد؟

- ليست لدي أية فكرة عن ذلك.

- أنظن أنها عصية في قولها؟

- هذا أيضاً لا أعرفه؛ فانا لا أقوم بحرق لمقنناتي كل يوم.

نظرت حولي في غرفة الجلوس الصغيرة. كانت كل الرفوف
والطاولات تزخر بأشياء مختلفة عديدة. كان لورنس يهش وسط
خوضي "قبة" كان من شأنها أن تفقدني صوابي لو كنت مكانه.

الفصل التاسع عشر

قال لورنس: يسميني جداً أنني قابلتك. تنفضل معي إلى البيت.

التفتنا عند البوابة الصلبة ومشينا صمودة على المشي. أخرج
من حبه مفتاحاً وأدخله في القفل فقلت له: أرى أنك أصبحت تغفل
الباب الآن؟

ضحكت بمرارة وقال: نعم. مثل أولئك الذين أقفلوا الأسطبل
بعد أن سُرقت المهرة، أليس كذلك؟ هذا يشبه ذلك.

فتح الباب ودخل قائلاً: أنعم يا سيد كليمنت؟ في هذا الأمر
شيء لا أرتاح له. إنه يبدو... يبدو امرأً أشبه بمسألة داخلية. لقد
عرف أحدهم يأمر مسدسي. وهذا يعني أن القاتل - كائناً من كان -
قد دخل عملياً إلى هذا البيت... وربما تناول معي الشاي.

اعترضت قائلاً: ليس بالضرورة، فربما كانت قريبة سبت
ميري ميد بأسرها تعرف أين تضع غرشاء أسنانك وما نوع معجون
الأسنان الذي تستعمله.

- ولكن لماذا يشير ذلك اهتمامهم؟

قال وقد لاحظت نظرتي: يكون من الصعب أحياناً العثور على الأشياء، ومن جانب آخر فإن كل شيء في متناول اليد... وليس مخفياً في زاوية ما.

- ما من شيء مخفي بالكأيد، وربما كان من الأفضل لو كان المستس كذلك.

- أعلم أنني توقعت من المحقق أن يقول شيئاً كهذا؟ للمحققون أغبياء جداً... لقد توقعت توجيه تقرير شديد لي.

- بالمناسبة، هل كان المستس محشوراً؟

هو لورنس رأسه بالنفثي وقال: لست مهتماً إلى هذه الدرجة. كان فارغاً، ولكن كانت بعابه غلبة طلاقات.

- يبدو أن حمراته ليست قد مكث بالطلقات، وأن طلقة واحدة قد أطلقت.

أوما لورنس برأسه موافقاً وقال: ومن هو صاحب اليد التي أطلقتها؟ لن يكون الأمر على ما يرام حتى يتم اكتشاف القتيل الحقيقي، وبغير ذلك سأبقى موضع شبهة في هذه الجريمة حتى موتي.

- لا تقل ذلك يا بني.

- بل سأقوله.

سكت عابثاً مع نفسه، ثم نهض أعبيراً وقال: ولكن دعني أخبرك كيف سارت الأمور معي ليلة أمس. أنت تعلم أن الأنسة ماريل تعرف بعض الأمور.

- أظن أنها لا تحظى بشعبية واسعة بسبب ذلك.

مضى لورنس في روايته لقصة. فقد ذهب إلى منزل أولد هول بناء على نصيحة الأنسة ماريل، وهناك استطاع بمساعدة أن إحراء مقابلة مع الخادمة. كانت آن قد قالت لها ببساطة: "يريد السيد لورنس ريدنغ أن يسألك بضعة أسئلة"، ثم تركتهما وغادرت الغرفة. وقد شعر لورنس بشيء من الارتباك. أما الخادمة روز، الفتاة الجميلة ابنة الخامسة والعشرين، فقد حدثت به بنظرة دهشة وجددها حربةكة نوعاً ما، ثم قال: الأمر... الأمر يخص وفاة الكولونيل برزويرو.

سألته: نعم يا سيدي.

- إني حريص جداً على الوصول إلى الحقيقة.

- نعم يا سيدي.

- أظن أنه ربما كانت.. أن أحداً ربما... أنه ربما وقع حادث معين...

عند هذه النقطة شعر لورنس أنه لا يعطى صورة مشرفة عن نفسه، فشتم الأنسة ماريل واقتراحاتها. ثم قال للفتاة: كنت أنسأبل إن كان بوسعك مساعدتي؟

- نعم يا سيدي.

كان موقف روز ما يزال الموقف التقليدي للخادمة المثالية: مودبة، حريصة على المساعدة، محافظة تماماً على عدم الفضول. قال لها: دعينا من كل شيء. ولكن، ألم تتقشوا الأمر معاً في قاعة الخدم؟

ارتبكت روز قليلاً من طريقة الهجوم هذه وقالت: غي قاعة
الخدم يا سيدي؟

- أو في غرفة مربية المنزل، أو المطبخ، أو أي مكان تحدثون
فيه؟ لا بد من وجود مكان ما.

أفهمت روز ميلاً خفيفاً جداً للضحك، فوجد لورنس في
ذلك تشجيعاً له وقال: اسمعيني يا روز، أنت فتاة غايبة اللطف
والروعة، وأنا واثق أنك ستفهمين ما أشعر به. أنا لا أريد أن أنتهي
مشوقاً. إنني لم أقتل سيدك، ولكن كثيراً من الناس يرون أنني قتله.
ألا يمكنك مساعدتي بأية طريقة؟

يوسمي أن أنصور في هذه النقطة كيف بدأ لورنس وقتها تشد
ما يكون وسامة وإثارة للعطف، برأسه الحميل وعينه الزرقاوين.
استلمت روز خاتمة: أوه يا سيدي! إنني على ثقة... إن استطاع أي
مننا مساعدتك بأية طريقة. لا أحد منا يرى أنك فعلت ذلك... أبداً.

- أعرف. يا فتاتي العزيزة، ولكن هذا لن يساعدني مع الشرطة.

ماتت روز برأسها وقالت: الشرطة! يوسمي أن أعبرك يا سيدي
أنا لم نحب كثيراً بذلت المجهود المدعو سلاك. يا للشرطة!

- ومع ذلك فالشرطة تقوياء جداً. والأول يا روز، لقد قلت
إنك ستفهمين ما يوسميك مساعدتي. لا أمثك إلا أن أشعر بأنه
يوجد الكثير مما لم تعرفه بعد. فمثلاً تلك السيف التي جاءت لزيارة
الكولونيل بروثيرو ليلة مقتله.

- السيدة ليمسرينج؟

- نعم، السيدة ليمسرينج. لا يسعني إلا الشعور بأن في زيارتها
ثقت شيئاً غريباً.

- نعم، بالفعل يا سيدي، هذا ما قلناه جميعاً.

- حقاً؟

- لقدومها بتلك الطريقة، وسرورها عن الكولونيل. ولقد سبق
ذلك بالطبع الكثير من الأحداث... إذ لا أحد يعرف شيئاً عنها هنا.
والسيدة سيمونز، وهي مديرة المنزل هنا، ترى أن هذه السيدة سيئة
جداً. ولكن بعد سماع ما قالته غلاديس فأنني لا أدري ماذا أقول.

- ماذا قالت غلاديس؟

- لم تقل شيئاً يا سيدي! كان ذلك مجرد... كنا نتحدث فقط.

نظر لورنس إليها وراوده شعور أنها ألفت على شيء لم
تذكره فقال: إنني أقسم لك كثيراً عن موضوع مقابلتها تلك للكولونيل.

- نعم يا سيدي.

- وأظنك تعرفين يا روز؟

- آناً؟ أوه، لا يا سيدي! أنا حقاً لا أعرف. وكيف لي ذلك؟

- اسمعيني يا روز، لقد قلت إنك ستساعديني. إن كنت قد
سمعت بالصدفة شيئاً... أي شيء... حتى لو لم يبد مهمماً، فساكن
في متهى الامتنان لك. إذ ربما سمع أحدهم بالصدفة... بمحض
الصدفة شيئاً ما.

- ولكني لم أسمع شيئاً يا سيدي... لم أسمع حقاً.

قال لورنس بذكاء: "إذن فقد سمع أحد غيرك شيئاً."

- أوه يا سيدي...

- أخبريني رجاءً يا روز.

- لا أعرف ما الذي ستقوته غلاديس.

- لا شك أنها تريد منك إبلاغني. من هي غلاديس بالمناسبة؟

- إنها خادمة المطبخ يا سيدي. وكانت قد خرجت قبلًا

لمجرد الحديث مع صديق لها، وكانت تهرأ أمام النافذة... وكان

سيدي هناك مع تلك السيدة. كان يتكلم ضجراً بصوت عالٍ جداً،

وهو دائماً يتكلم بصوت عالٍ. وكان ضجيراً... أعني مع ما كانت

تسهر به من مضطرب...

- هذا طبيعي جداً، أعني أو المرء يحد نفسه مضطرباً للإصغاء.

- ولكنها لم تحجر أحداً بالطبع... باستثنائي أنا. وكاننا

وجدنا الأمر غريباً جداً. ولكن غلاديس لم تستطع قول شيء. إذ لو

عُرف أنها كانت عارضة لرؤية... لرؤية صديق، لشب ذلك الكثير

من المشكلات مع السيدة برات، أي الطباخة. ولكي واثقة أنها

مستعدة لإخبارك بكل شيء يا سيدي.

- حسناً، هل أذهب إلى المطبخ وأتحدث معها؟

أرعب روز هذا الاقتراح فقال: "أوه، كلا يا سيدي، لن يتفهم

ذلك أبداً! كما أن غلاديس فتاة شديدة الازدواج على كل حال.

وأخيراً تمت تسوية الأمر بعد نقاش مطول حول التفاسط

الصعبة، وتم الترتيب للقاء سري بين الشجيرات في الحديقة.

وهناك قابل لورنس في نهاية الأمر تلك الفتاة المرتبكة العصية

التي شبهها بأنها أقرب إلى ثريب مرعد منها إلى إنسانة طليعة. وقد

تطلبت نهديتها عشر دقائق، وهي تشرح أنها لا تستطيع... وأنها لا

تظن... وأنها لا ينبغي لها، وأنها لم تحسب أن روز ستغشي أمرها،

وأنها لم تقصد إلقاء أحدها، وأنها ستضطر كثيراً إن قُدر للسيدة برات

أن تسمع بالموضوع.

ومارس لورنس كل ما في وسعه من تهدئة وإقناع... وفي

النهاية وافقت غلاديس على الكلام: "إن كنت واثقاً أن الأمر لن

يحدثنا نحن يا سيدي"، كما قالت.

- بالطبع لن يحدثنا.

- ولئن ينسب ذلك إليّ في أية محكمة؟

- أبداً.

- ولئن تعير سيدي؟

- ولا بأي شكل.

- آتت واثق أن الأمر سيكون على ما يرام؟

- طبعاً، وستكونين سعيدة يوماً ما لأنك أنقذتني من حبل المشنقة.

صدرت عن غلاديس صرخة خفيفة وقالت: آوه! إنني لا أحب ذلك بالنطع يا سيدي. حسناً، إن ما سمعته قليل جداً... وكأي ذلك كله بمحض الصدفة إن حاز لي القول...

- أنهم ذلك تماماً.

- ولكن سيدي كان غاضباً جداً. كان يقول لها: "بعد كل هذه السنوات نحرلن على القديوم إلى هنا...". ثم قال: "إنه أمر مثير الغضب...". لم أستطع سماع ما قالت السيدة، ولكنه قال بعد قليل: "إنني أرفض نهائياً... نهائياً...". لا أستطيع لتذكر كل شيء... بدأ وكأنهما منخرطان في محادثة حميمة، هي تريد منه القيام بشيء وهو يرفض. كانت إحدى العبارات التي قالها: "إنه لمن العار أن تأتي إلى هنا". كما قال أيضاً: "إنك لن تريها... أنتك من ذلك...". وهذا ما جعلني أصغي بكل انتباه. بدأ وكأن السيدة تريد إخبار زوجة الكولونيل برونيرو بشيء ما وهو خائف من ذلك. وفكرت قائلة لنفسي: "ماذا؟ أمهل ذلك من سيدي؟ سيدي جون غيره؟ وهو الذي لا يمتنع بأية وسامة في نهاية الأمر، أمهل ذلك؟". وغلت لسديني بعدها: "الرجاء كلهم سواء". وهو ثم يتفق معي، بل ناقش وجدل، ولكنه اعترف أنه متدهش من أمر الكولونيل برونيرو... باعتبارها عضواً في هيئة الكنيسة وقرأ الدروس أيام الأحد. وفقت له: "نعم، عادة ما يكون هؤلاء أسوأ من غيرهم إذا انصرفوا". هذا ما سمعت أمي تترده يوماً.

توقفت غلاديس لتسترد أنفاسها، وحاول لورنس بليقة إعادتها إلى حيث بدأ الموضوع فقال: هل سمعت شيئاً آخر؟

- من الصعب أن أتذكر بدقة يا سيدي. كان الكلام متشابهاً إلى حد بعيد. قال مرة أو مرتين: "لا أصدق ذلك". جاءت العبارة هكذا: "لا أصدق ذلك مهما قال الدكتور هيدوك".

- أو قال ذلك؟ مهما قال الدكتور هيدوك؟

- نعم، وقال إن الأمر كله مؤامرة.

- ألم تسمعي السيدة تتكلم أبداً؟

- سمعتها فقط في النهاية تماماً. كانت قد نهضت لتذهب كما يشي والخبرت أكثر من النافذة، وسمعت ما قالت، ولقد جئت قولها الدم في عروفي فعلاً. لن أنسى أبداً ما قالت... قالت: "في مثل هذا الوقت من ليلة القدر قد تكون ميتاً! وكانت طريقة قول العبارة شريفة. وسعرد سماعي لئلا المحرمة قلت لروزي: "أرأيت؟ أرأيت؟".

وقف لورنس متعجباً يتساءل. تساءل بشكل رئيس عن المقدار الذي يمكن فيه الاعتماد على قصة غلاديس، ومع أنه رأى أنها صحيحة في خطوطها العامة، إلا أنه شك في أنها قد مرت بشيء من التزييق والتجميل منذ مقتل الكولونيل. وشك بشكل خاص في دقة تلك الملاحظة الأخيرة، ورأى من الممكن كثيراً أن يكون الخسب في وجود تلك العبارة هو مقتل الكولونيل فقط. شكر غلاديس وكافأها بما تستحقه وطمأنها بأنه لن يوح بهفواتها للسيدة برات، ثم غادر أولاد هولي وفي ذهنه الكثير مما يشغله.

شيء واحد كان واضحاً، وهو أن لقاء السيدة ليسترينج مع الكولونيل برونيرو لم يكن بالتأكيد لقاء عادياً، وأنه كان لقاء حرمص

الذكولونيل على عدم علم زوجته به.

فكرتُ في قصة الأنسة مارييل عن عضو هيئة الكيكة الذي كانت له عائلة أخرى لا يعلم بها أحد. أتكون هذه القصة مشابهة لظلك؟ وتعميت - أكثر ما تعميت - من علاقة هيدوك بالأمر كله. لقد أنفذ السيدة ليسترينج من الاضطراب للإدلاء بشهادتها في التحقيق. ولقد فعل كل ما في وسعه لحمايتها من الشرطة. ولكن: إلى أي مدى سيستمر في تلك الحماية؟ وإذا افترضنا أنه يملك في فورتكاهها للحريمة... أترأه يحاول - رغم ذلك - التمسك عليها؟

كانت امرأة غامضة غريبة... امرأة ذات سحر مفضي لا يقاوم. أنا نفسي كرهت فكرة ربطها بالحريمة بأي شكل. شيء ما في داخلي قال: "لا يمكن أن تكون هي!" لماذا؟ وأصحاب شيطان في رأسي قالوا: "لأنها امرأة رائعة الجمال والحنان، هذا هو السبب".

وكما كان من شأن الأنسة مارييل أن تقول في مثل هذه المواقف، فإن فينا جميعاً الكثير من طبائع النفس البشرية.

• • •

الفصل العشرون

عندما عدت إلى بيتي وحدثت أنا في وسط أزمة منزلية. فابنتي غريزلدا في الصلاة وسحبني - والدموع في عينيها - إلى غرفة الجلوس قائلة: إنها ذاهبة.

- من هي الذاعبة؟

- ماري؛ لقد أعطيني إشعاراً بذلك.

لم أستطع فعلاً تنفي الخبر بشكل مأساوي، فقلت: حسناً، ستعطي للحصول على عاصمة أخرى.

بدا لي أن قول ذلك مسألة طبيعية تماماً، فعندما يذهب خادم الثراء فإنه يوظف خادماً غيره. كنت حائراً في فهم نظرة التأنيب في عيني غريزلدا فقلت: لين... إنك شديد قسوة لقلبك؛ أنت لا تهتم!

والحقيقة أنني لم أهتم؛ بل إنني شعرت بفيل من الارتياح وأنا تفكر بأننا ستحصل من القطائر المحروقة والحضار التي لا تنضج.

مضت غريزلدا قائلة بصوت كله رثاء لنفس: سيتعين علي البحث عن فتاة، والعثور عليها، ثم تدرجها.

- وهل ماري مدبرة؟

- بالطبع مدبرة.

- لا أحسب إلا أن أحداً سمعها تتحدث: "سيدي وسيدي"، فانتزعها منا فوراً باعتبارها فريدة عصرها. كل ما يمكنني قوله هو أن أمل ذلك الشخص سيحب.

- ليس الأمر كذلك، فلا أحد يريدنا، ولا أحري كيف يمكن لأحد أن يريدنا. المسألة في مشاعرنا. خرجت مشاعرنا لأن لبينس بروثيرو قالت إنها لا تحسن التنظيف بشكل جيد.

كثيراً ما نخرج عليّ غريزلدا بأقوال مدحشة، ولكن عبارتها هذه بدت مدحشة إلى حدٍ جعلني أشك بها. بدا لي أن أبعاد الأمور احتمالاً في العالم أن نخرج لبينس عن طبيعتها لتتدخل في شؤوننا المنزلية ونويع معادتنا على كسبها في أعمال البيت. كان ذلك أبعد ما يكون عن طبيعة لبينس. وقد قلت ذلك: لا أرى ما هي العلاقة بين لبينس بروثيرو وتنظيف بيوتنا.

- ليست لها أية علاقة؛ ولذلك كاذب الأمر غير معقول أبداً. لبينك لذهب وتكلم مع ماري بنفسك... إنها في المطبخ.

لم أكن أرغب بالحديث مع ماري في الموضوع، ولكن غريزلدا - وهي شديدة النشاط والسرعة - دفعتني عبر الباب باتجاه المطبخ قبل أن يتاح لي الاعتراض. كانت ماري تقشر البطاطا عند المحلى. قلت لها بارتباك: هم، مساء الخير.

رفعت ماري رأسها وأطلقت صوتاً كالشخير، ولم تزد عليه.

- السيدة كليمنت تقول لي إنك مشتركنا.

تأملت ماري وأجابته عن ذلك بفموض قائلة: بعض الأمور ينبغي ألا يطلب من أية فتاة التعايش معها.

- هل لك أن تعبريني ما الذي أزعجتك بالضبط؟

- أستطيع أن أخبرك بذلك بكنمين وروما أظن أنها أخلفت وعدها أيها الإخلاف: ما بال الناس يأتون إلى هنا ويدسون أنوفهم بحثاً عن الأعطاش عندما أدير ظهري؟ وما هذا التسكع؟ وما شأنها هي بعدد الثمرات التي يُسمح فيها أثاث المكتب أو يُنظف المكتب نظيفاً شاملاً؟ إن كنت أنت والسيدة لا تستكتمان فليس من شأن أحد أن يتدخل. إن كنت أرضيكما فهذا كل ما يهم.

لم تكن ماري ترضيني أبداً... وأعترف أن بي شوقاً لفرصة يتسم مسحها وترتيبها كل صباح. وإن عادة ماري في نفخ الأتربة الأكثر ظهوراً عن الطنولات الصغيرة لم تكن برأيي كافية أبداً. ولكني أذكرت أن لا قالة في الوقت الحاضر من الدخول في قضايا جانبية.

- ألم اضطر للذهاب إلى ذلمك التحقيق؟ فتاة محترمة مثلني تقف هناك أمام اثني عشر رجلاً ومن يدري أية أسئلة يطرحون. سأقول لك ما يلي: لم أكن أبداً من قبل في مكان نضع فيه جرملة قتل، ولا أريد أبداً أن أكون ثانية في مثل ذلك المكان.

- أرحو ألا تكوني، ولكن أظن أن ذلك سيكون مستبعداً جداً حسب قانون الاحتمالات.

- إنني لا أهتم للفانون. ألم يكن هو حاكماً؟ وكم من فقير

سحبه لسجود اصطبياد أرب... وهو الذي يري طيور الزينة وغيرها الكثير. وفوق ذلك، وقيل أن يتم دفنه تأتي ابته تلك وتقول إنسي لا أقوم بعملني كما ينبغي.

- أتعتين أن الأنسة بروثيرو كانت هنا؟

- وجدتها هنا عندما عدت من غندقي بلمو بور. كانت غني الممكسب، وعندما دخلت قالت: "أوه! إنسي أبحث عن قبعتي الصغيرة... إنها قبعة صغيرة صفراء تركتها هنا قبل أيام". قلت لها: "إنني لم أر أية قبعة هنا. لم تكن هنا عندما نظفت الغرفة صباح الخميس". فقالت: "أوه! ولكنني أظن أنك ما كنت لترينها. إنك لا تفضين وقتاً طويلاً في تنظيف الغرف، أليس كذلك؟". ومع قولها هذا مررت أصبحها على رف الموقد ثم نظرت إليها. وكأني كنت أملك وقتاً كافياً في مثل هذا اليوم لأزيج كل التحفبات ثم أعيدها. والشرطة لم يفتحوا الغرفة إلا ليلة أمس. قلت لها: "إن كان الكاهن وزوجته راضين لأنني أظن يا أنسة أن هذا هو كل ما بهم". فصار كان منها إلا أن ضحكك ومرحت من الباب الزجاجي قائلة: "أوه! ولكن هل أنت واثقة أنهما راضيان؟".

قلت لها: فهمت.

- وهذا ما جعل... إن للفنأة شعوراً إنني مستعدة - بكأكيد - لبذل كل جهد من أجلك أنت وسيدتي، ولو أنها رغبتم في تحريرة طبق جديد لكنت دوماً مستعدة لصنعه.

قلت مهدئاً: أنا واثق من ذلك.

- ولكن لا بد أنها سمعت شيئاً، وإلا لما قالت ما قالت. وإن كنت لا أرضي أحداً فالأفضل أن أذهب. وهذا لا يعني أنني أهتم بما نقوله الأنسة بروثيرو، فهي غير محبوبة في أولاد هول. لا يسمع أحد منها كلمة "شكراً" أو "من فضلك"، كما أنها تبغض المال ذات اليمين وفات الشمال. ما كنت شخصياً لأضع دكاناً قرب الأنسة ليتيس بروثيرو، رغم كل تعلق المريد دينيس بها. ولكنها من ذلك النوع الذي يمكنه أن يلعب بالشباب الصغار كوخما يريد.

خلال حديثها كله كانت ماري تنظف البطاطا من العيون والبنور التي تكون بها، وكانت تقوم بذلك بقسوة بلغت حداً جعل تلك العيون تتطير في أرجاء المطبخ كأنها حبات نرذ. وفي هذه اللحظة أصابني إحداها في عيني وسببت توقفاً مؤقتاً في الحديث، فقلت وأنا أخفف عيني بالاحتدبل: ألا تزين أنك قد ملئت كثيراً إلى الشعور بإهانة لم تكن مفسدة أبداً؟ إنك تعرفين يا ماري أن سيدتك ستكون حزينة جداً لفقدانك.

- ليس عندي شيء ضد سيدتي... ولا ضدك أنت يا سيدتي.

- حسناً، ألا تزين إذن أنك تنصرفين بشيء من المسحوق؟

مشفت ماري وقالت: لقد كنت منزوعة قليلاً، بسبب التحقيق وما شهده. كما أن قلقنا مشاعرها... ولكنني لا أريد أن أسبب لسيدتي أذى إرباكاً.

- خلّت انفضية إذن.

غادرت المطبخ لأحد غريز لدا ودينيس ينتظرانني في الصالة.

هتفت غريزلدا: هاه؟

- إنها باقية.

ثم تهتدت فقالت زوجتي: لين، لقد كنت ذكياً فعلاً.

شعرت بأنني لا أميل للاتصافى معها. أنا لا أرى أنني كنت ذكياً، إذ اعتقد جازماً أنه ما من عارضة يمكن أن تكون أسوأ من ماري، وأرى أن أي تغيير سيكون بالضرورة تغييراً للأفضل. ولكنني أحب إسعاد غريزلدا، وقد رويت لها الخطوط العريضة لشكوى ماري، فقال دينيس: يا لطيفة لينيس! لا يمكن أن تكون قد نسيت تلك المقبة الصفراء هنا يوم الأربعاء، فقد كانت تلبسها للعب التنس يوم الخميس.

قلت: يبدو لي ذلك محتملاً جداً.

قال دينيس بشيء من القهر الممزوج بالحب الذي شعرت أن لا داعي له إطلاقاً: إنها لا تعرف أبداً أين تترك أشياءها، وتفقد دسنة من الأغراض كل يوم.

هَلَلْتُ قائلًا: يا لها من ميزة رائعة؟

قال دينيس متتهماً: ولينيس رائعة بالفعل... والشباب دائماً يتقدمون لخطبتها، هي قالت لي ذلك.

- لا بد أن عروض الخطبة هذه غير شرعية إذ كانت تتم هنا في القرية، فليس لدينا هنا أي أعزب.

قالت غريزلدا وعينها تترافضان: يوجد الدكتور ستون.

اعتزفت قائلًا: لقد دعاها بالأمس للذهاب لرؤية القبر.

قالت غريزلدا: طبعاً دعاها، فهي جذابة بالفعل يا لين. وحتى عالم آثار تصلح بوسعه أن يشعر بذلك.

قال دينيس وهو يفتعل الحكمة: فيها الكثير من الحاذية.

ومع ذلك فإن سحرها لم يؤثر أبداً في لورنس ويدنغ. ولكن غريزلدا غمرت ذلك بطريقة الواثق من صحة كلامه: لورنس نفسه لديه الكثير من الحاذية، وهذا النوع يُجيب دائماً... ماذا يسمون ذلك... بحب من يمكن كثيرات التحفظ والحياء. أظن أن أن هي المرأة الوحيدة التي موسعها إقناع لورنس. ومع ذلك فبأنني أرى أنه كان - بطريقة ما - غيباً بعض الشيء. لقد استعدهم لينيس بشكل أو بآخر، ولا أظنه حليم أبداً بأن تكون مهتمة به، فهو متواضع جداً من بعض الحواش، ولكن لدي شعور بأنها مهتمة به بالفعل.

قال دينيس جازماً: إنها لا تطيقه. هي قالت لي ذلك.

استقبلت غريزلدا ملاحظته بصمت مشفق لم أؤمّطه أبداً من قبل. وذهبت إلى مكبي، فتعيلت أن حراً غريباً محيطاً لا يزال يحسم على الغرفة، وعرفت أن عليّ التقلب على هذا الشعور، إذ قد لا أستطيع استخدام المكب ثانية أبداً لو استسلمت له. مشيت متأملاً إلى حيث طاولة الكتابة. هنا جلس برونيرو بوجهه الأحمر وحيوانه وأعماله الصارمة، وهنا قتل يفتة. هنا - حيث أنف أنا - وقف هدو من قبل... وهكذا... ثم بعد لبرونيرو وجود!

هنا القلم الذي أمسكه لمصابعه. وعلى الأرض كانت توجد

بقعة قائمة باهنة... لقد أرسلت السحادة إلى المصيفة لتنظيفها، ولكن الدم كان قد تخللها عميقاً. ارتعدت وقلت بصوت عالٍ: لا أستطيع استخدام هذه الغرفة، لا أستطيع استعمالها.

ثم وقعت عيناى على شيء... مجرد نقطة من اللون الأزرق اللامع. انحنيت، فرأيت بين طرف الطاولة والأرض شيئاً صغيراً فأخذته. وفيما أنا واقف أحديق فيه وهو في راحة يدي دخلت غريزelda قائلة: نسيت أن أخبرك يا لين، تريد الآنسة ماريل مسا زيارتها اليوم بعد العشاء لتسليمه لمن أعجبها، فهي تخشى أن يناله السام، وقد قلت لها إننا سنأتي.

- حسناً يا عزيزتي.

- ما الذي تنظر إليه؟

فنت لزوجتي: لا شيء. وأطلقت كفي وأكملت وأنا أنظر إليها: إن كان السيد ريموند وست لا يهتم بنت مسا عزيزتي فهذا يعني أن إسعاده صعب جداً.

احمر وجه زوجتي وقالت: لا تكن سعيلاً يا لين.

ثم خرجت ثانية وعدت لأفتح يدي. كان في راحة يدي قرص أزرق لا زوردي ذو لآلي صغيرة جداً.

كانت قطعة غير عادية من المجوهرات، وكنت أعرف تماماً أين رأيتها آخر مرة.

• • •

الفصل الحادي والعشرون

لا يمكنني القول إنني كنت أكين في أي وقت إيجاباً كبيراً ريموند وست. أعلم أنه - كما يفترض - روائي ألمعي، وأنه جعل نفسه اسماً كشاعراً، ولكن قصائده لا يمكن فهمها، الأمر الذي يشكل - كما اعتقد - جوهر المحدثات، ورواياته تدور حول شخصيات كريمة تعيش في سأم قاتل.

وبدي الببد وست حياً صمحاء "العمة حين" التي يشير إليها وهي حاضرة باعتبارها من "بلانيا ومن غابر". وهي تصغي لمحدثه باهتمام كبير، ولكن طرقت بعينها أحياناً مسريرة بمحدثه فأني وانق أنه لا يتبه لذلك أبداً.

وقد وجه اهتمامه فوراً إلى غريزelda بسرعة نظفت النظرة. ناقش الاثنان المسرحيات المحدثات، ثم انتقلا من ذلك إلى أساليب التذكور المحدثات. وقد تصغت غريزelda السخريفة من ريموند وست، ولكني لفتن أنها تأثرت بمحدثه.

وعلا لحدثي (المعمل) مع الآنسة ماريل تناهت إلى ماسمي علة مرأت عبارة "تدفنون أنفسكم هنا". وأخيراً بدأت هذه العبارة

نزعني فقلت فحاة: أحسب أنك تعتبرنا خارج العالم تماماً هنا في هذه القرية

لوح ريموند وست بلقافة تلقي في يده وقال بلهجة الوثني: إنني أعتبر سينت ميري ميد بركة مياه راكدة.

تم نظر إلينا وكأنه مستعد لتلقي السخط من عبارته، ولكن أحداً لم يمر عن انزعاجه، الأمر الذي أطلقه أزعجه كثيراً. قالت الأنسة ماريل بسرعة: ليس هذا حقاً بالكسب الحيد يا عزيزي ريموند. لا أفطن أن بوسعتك أن ترى شيئاً بضحج بالحياة تحت المظهر أكثر من نقطة ماء أخذت من بركة مياه راكدة.

اعترف الروائي قائلاً: هذه حياة... من نوع ما.

قالت الأنسة ماريل: وهي "حقاً" من نفس نوع الحياة أيتها كانت. أليس كذلك؟

- أنقارنن نفسك مع أحياء بركة راكدة يا عمه جين؟

- يا عزيزي، إنني أنذكر أنك قلت شيئاً من هذا القبيل في آخر كتاب لك.

ما من شاب ذكي يحب أن يتم الاستشهاد بأعماله ضده شخصياً، ولا يستثنى ريموند وست من ذلك. فقد صاح بسرعة: ذلك مختلف تماماً.

قالت الأنسة ماريل بصوتها الهادي: إن الحياة في نهاية الأمر هي نفسها أينما كانت. يولد الإنسان، ثم ينمو... ثم يحتك بغيره

من الناس... ويتراحم معهم، ثم يأتي الزواج والمزيد من الأطفال...

قال ريموند وست: وأخيراً الموت، ولا يكون ذلك موتاً بشهادة وفاة حواء، فبين الأحياء من هم موتى.

قالت غريزelda: بمناسبة الحديث عن الموت، أعلم أن جريمة قتل قد حدثت عندنا هنا؟

نحى ريموند وست جرائم القتل جانباً بإشارة من يده وقال: قتل مسألة بالغة التعقيد... إنني لا أهتم بها.

لم يحددني قوله هذا حقيقة واحدة؛ إذ أنك لن ترى أحداً لا يهتم بجرائم القتل. وفيما يمكن للبسطاء من أمثالي وأمثال غريزelda أن يعترفوا بهذه الحقيقة، فإن شخصاً مثل ريموند وست مضطرب للظواهر بالسأم... في الدقائق الخمس الأولى على الأكل.

ولكن الأنسة ماريل فضحت ابن أختها بقولها: أفا وريموند لم تكن تناقش شيئاً غير ذلك طوال العشاء.

سارع ريموند إلى القول: إنني أهتم كثيراً بكل الأنباء المحلية. ثم أجسم بلطف ونسأله للأنسة ماريل.

سألك غريزelda: أليديك نظرية فيما يخص هذه الجريمة؟

قال وهو يلوح بلقافته: منطقياً، شخص واحد يمكن أن يكون قد قتل برونو.

- من؟

أشربت صيوفا إليه بانتباه فقال: الكاهن.

شهقتُ فقال يطعنني: إنني أعرف طبعاً أنك لم تقتله! غلخية
لا تكون أبداً كما ينبغي أن تكون. ولكن فكر فيما يشتمل عليه ذلك
من دراما... ومن تناسب... عضو هيئة كية يقتل في مكب
الكاهن على يد الكاهن... قضية مثيرة جداً!

سألته: والدافع؟

اعتدل في جلسته تاركاً لغافته تنظفي وقال: أوه! هذا أمر مثير.
أظنه عقدة النفس... ربما كان بسبب كبت هائل. يودي لو أكتب
قصة هذه القضية.. معقدة بشكل رهيب! أسبوعاً بعد أسبوع، وسنة
بعد أخرى كان يرى ذلك الرجل في اجتماعات الكنيسة كل يوم،
وكان يكره ذلك الرجل دوماً... وكان ينزع فوراً مشاعر الكراهية
لديه، فهي مشاعر لا يقرها الدين. وهكذا اعتملت تلك المشاعر في
الدماغ، تحت السطح، وفي أحد الأمام...

ثم قام بحركة تصويرية برأسه.

التفت غريزلاً إلي وقالت: أشعرت يوماً بمثل ذلك يا لين؟
قلت صادقاً: أبداً.

قالت الآنسة ماريل: ومع ذلك فقد سمعت أنك تميت
مغامرته هذا العالم من وقت ليس بالبعد.

(يا لذلك الشمس ديسا! ولكنها كانت غلخية بالطبع أن أقول
تلك الملاحظة). قلت: أعشى أنني قلت ذلك فعلاً، كانت ملاحظة
صحيفة بدت مني، ولكنني كنت قد قضيت معه صباحاً متعباً جداً.

قال ويموند ومست: هذا معيب للأعمال، فلو كان عقلك
الباطن يعطط فعلاً لقتله لما سمح لك بقول تلك الملاحظة أبداً.

ثم تنهد وقال: لقد سقطت نظرتي. ربما كانت هذه جريمة
تخل اعتبارية تماماً... مارق طيور يريد الانتقام أو ما شابه ذلك.

قالت الآنسة ماريل: لقد جاءت الآنسة كرام لرؤيتي بعد ظهر
اليوم. قابلتها في القرية وسألتها إن كانت تحب رؤية حديثتي.

سألت غريزلاً: أهي مفرمة بالمحدثات؟

قالت الآنسة ماريل وهي تطرف برموشها قليلاً: لا أظنها
مفرمة، ولكن في ذلك حجة مفيدة جداً للحديث، ألا تظنين ذلك؟

سألت غريزلاً: وكيف وحديثها؟ لا أظنها سيئة لتلك الدرجة؟

- تطوشت بالكثير من المعلومات... أعطت حقاً الكثير من
المعلومات، حول نفسها وحول أسرته. يبدو أنهم جميعاً إما أموات
أو غائبون في الهند... أمر محزون جداً! بالمناسبة، لقد ذهبت إلى
توليد حول لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- ماذا؟

- نعم، يبدو أن السيدة برونيو دعته (أو أنها هي التي لمحت
السيدة برونيو... لا أدري تماماً أيهما الذي حصل)، وذلك للقيام
بعض الأعمال الكتابية؛ فكثير من الرسائل ينبغي كتابته. وقد كان
في ذلك بعض الحظ، باعتبار الدكتور ستون غائباً وليس لديها ما
تفعله. كم أثار اكتشاف ذلك القبر من حماسة.

قال ريموند: ستون؟ أمو رجل الأثار؟

- نعم، إنه ينقب عن قبر أثري في أرض هروثيرو.

- إنه رجل طيب، حافظ جداً في اختصاصه. ثقته في مناسبة عشاء قبل فترة قريبة وبادلنا حديثاً ممتعاً. لا بد أن أزوره.

قلت: لقد سافر قبل قليل مع الأسف إلى لندن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. بل لقد اصطدمت به عملياً في المحطة عصر اليوم.

- لقد اصطدمت بك أنت.. وكان معك رجل سمين ضئيل الجسم، ويضع نظارات.

- نعم... إنه الدكتور ستون.

- ولكن يا صاحبي... لم يكن ذلك الدكتور ستون.

- لم يكن ستون؟!

- ليس ستون عالم الأثار. إنني أعرفه تماماً. لم يكن ذلك الرجل هو الدكتور ستون... بل إنه لا يحمل أي شبه به!

حدثنا كلنا بعضنا البعض، وحدثت أنا خصوصاً بالآنسة ماريل وقلت: غريب جداً!

قالت الآنسة ماريل: الحقيقة.

قالت غريزلدا: ولكن لماذا؟

تمتت الآنسة ماريل قائلة: يذكرنني ذلك بزمان ادعى فيه أحدهم أنه مفتش الغاز... ولم يكسب إلا القليل.

قال ريموند وست: شخص متحلي، هذا حقاً مشير.

قالت غريزلدا: السؤال هو هل لذلك أية علاقة بالجريمة؟

- ليس بالضرورة، ولكن...

ثم نظرت إلى الآنسة ماريل التي قالت: هذا فعلاً أمر غريب. أمر غريب آخر!

قلت وأنا أنهض: نعم، إنني أشعر أن علينا إبلاغ المفتش بذلك فوراً.

* * *

- ما الذي تريد خطه؟

- أريد الالتحاق بعظم القمل.

ازدادت دهشتي أضعافاً وسألت: ما الذي تعنيه بالمال؟

- ما قلته تماماً. أريد الذهاب إلى المدينة.

- ولكن يا بني العزيز، أنا واثق أنك لن تحب الحياة هناك.
حتى لو حصلت على وظيفة في مصرف...

قال دينيس إنه لم يقصد ذلك، فهو لا يريد الالتحاق بمصرف.
سأله عما يعنيه بالضبط فوجدت أن الفتى - كما توقعتم - لم يكن
يعرف حقاً ما يريد.

كان يعني بالذهاب "إلى عالم المال" مجرد أن يصبح غنياً
بسرعة، الأمر الذي أوحى له تساؤل الشباب بأنه مؤكد بمجرد
"الذهاب إلى المدينة". خلصته من هذه الفكرة بالفضل ما أستطيعه
من لطف ثم سأله: ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة؟ لقد كنت
مقتنعاً تماماً بفكرة الالتحاق بالبحرية.

- أعرف يا عم لين، ولكنني كنت أفكر - إذ لا بد لي من أن
أفترج يوماً ما... ولا بد أن يكون المرء غنياً حتى يتزوج فتاة.

- الحقائق تدحض نظرتك هذه.

- أعرف... ولكنني أعني فتاة اعتادت العيش للزينة.

كان حديثه غامضاً، ولكن حسيت أنني عرفت ما يعنيه فقلت

الفصل الثاني والعشرون

كانت أوامر المفتش سلاك مختصرة جازمة فور حديثي معه
بالحائض. ينبغي ألا "يتسرب" شيء، وينبغي - بشكل خاص - عدم
تنبيه الأنسة كرام. وفي غضون ذلك سبهم البدء بحديث عن الحقيقة
في المنطقة المحاذرة للتير الأثري.

عدت وغريرلدا إلى البيت ونحن في غاية الانفعال لهذا التطور
الجديد. ولم يكن بوسعنا قول الكثير بحضور دينيس بعد أن وعدنا
المفتش بصديق ألا ننسب بكلمة لأحد، وقد كان دينيس منشغلاً بتساعبه
الخاصة على أية حال، جاء إلى مكثي وبدأ بعث بأصابعه وطرز حج
قدميه شأنه حين يكون محرراً جدياً. قلت له أخيراً: ما الأمر يا دينيس؟

- يا عم لين، إنني لا أريد مهنة البحرية.

دهشت لفوقه، فقد كان الفتى - حتى تلك اللحظة - مصمماً
جداً بشأن مهنة المستقبلية.

- ولكنك كنت متحمساً جداً لها.

- نعم، ولكنني غيرت رأيي.

يلطف: أنتري، ليست كل الفتيات مثل ليتيس بروثيرو.

رد فوراً بغضب: أنت متعامل جداً عليها، ولا تحبها. غريزدا أيضاً لا تحبها، تقول إنها متعبة.

إن غريزدا محقة تماماً من وجهة النظر النسوية؛ فليتيس متعبة فعلاً، ولكن يوصي أن تدرك أن من شأن فتى مثل دهنيس أن يكره هذا الوصف.

- لو أن الناس يبدون فقط بعض التسامح. حتى عائلة هارنلي نابير يدورون ويندُمرون منها في وقت كهذا! لمجرد أنها غادرت لعبة الشس مبكرة قليلاً. لماذا تبقى إن هي أحست بالملل؟ أظن أنه كان لطفاً كبيراً منها أن تذهب أساساً.

- ذلك فضل عظيم.

ولكن دهنيس لم ينتبه لعبارتي الساخرة، فقد كان مستغرقاً في آلامه المعاصلة التي يحسها نهاية من ليتيس. وأضاف قائلاً: إنها حقا أبعد ما تكون عن الأنانية. وحتى أراك فقط علم أنايتها تقول إنها جعشني أبقى هناك، فقد أردت أن أذهب أيضاً بالطبع، ولكنها رفضت ذلك بتافاً. قالت إن ذلك سيكون سيئاً على أسرة نابير، وهكذا بقيت ربع ساعة أخرى لمجرد إسعادها. والآن سمعت أن سوزان هارنلي نابير تدور في كل مكان وتقول إن ليتيس فتيلة الأدب.

فكرت بأن للشباب آراء بالغة الغرابة في الأمانة والإثارة. قلت: لو كنت مكانك لما احتمت.

قال دهنيس: "حسناً، ولكن..." وبعد توقف طويل أكمل قائلاً: أبتني على استعداد لأن... لأن أفعل أي شيء من أجل ليتيس.

- قليلون منا يستطيعون عمل أي شيء لأحد، وكائنات ما كانت رغبنا في ذلك، فلا حول لنا ولا قوة.

- ليتي كنت مهتاً.

يا للفنى الممكّن، إن حب المراهقين مرض فتاك! أحجمت عن قول أي من الأمور الواضحة التي تتبادر بسهولة إلى الذهن وقد تكون مزعجة له، وبذلك ذلك تمنيت له ليلة طيبة وذهبت للنوم.

قمت صباح اليوم التالي لأحمد غريزدا جالسة إلى طاولة الإفطار وفي يدها رسالة مفتوحة. كانت الرسالة من آن بروثيرو:

عزيزي غريزدا

إن استطعت القدوم أنت وزوجك للقاء هنا بهدوء اليوم سأكون ممتنة كثيراً لكما. لقد حدث أمر غريب جداً، وأرجب في استشارة الكاهن.

وحياء لا تذكرني ذلك عند قدومك فانا لم أخبر أحداً بشيء.

المحلصة: آن بروثيرو

قالت غريزدا: ينبغي أن نذهب بالطبع.

ولحققتها على ذلك، فقالت: أتساءل ما الذي عساه حصل؟

كنت أنا أيضاً أتساءل عن ذلك. قلت لغريزدا: أتعلمين، أشعر بأننا لم تصل بعد إلى نهاية هذه القضية.

- أتعني أننا لن نصل حتى يُقتل أحدٌ فعلاً؟

- كلا لم أقصد ذلك. أقصد أن فيها نغمات وأموراً تحري في الخفاء ولا نعلم شيئاً عنها. هناك كم كبير من الأمور التي ينبغي إزاحتها وتبديدها قبل أن نصل إلى الحقيقة.

- أتعني بذلك أموراً ليست ذات أهمية ولكنها تعترض الطريق؟

- نعم، أظن ذلك، يجر عن المعنى بشكل جيد.

قال دينيس وهو يتناول بعض المربى: أظن أننا نشعر جميعاً ضجة كبرى لا داعي لها. إنه لأمر رائع أن يموت برونيرو، فلم يكن أحد يحبه. أود أن أعرف أن الشرطة لا بد أن يهتموا... فهذا عملهم. ولكنني أتمنى شخصاً أن لا يموتوا على شيء. إنني أكره رؤية سلاك وقد ترفض ومضى متبجحاً بذلك.

إن لدي من الضعف الشري ما يجعلني أميل إلى الموافقة على نقطة الخاصة بترقية سلاك؛ إذ ليس من حق رجل جعل دأبه إزعاج الناس ومضايقتهم أن يأمل حبه.

مضى دينيس قائلاً: الدكتور هيدوك يرى تقريباً نفس ما أراه فهو لم يسلم قافلاً إلى العدالة أبداً. مع انذني قال ذلك.

أعتقد أن هذا هو المحظر في آراء الدكتور هيدوك. غفد تكبر صحيحه بحد ذاتها - وهذا ما لا أقرره أنا - ولكنها تترك على عقل الشباب اللاهني انطباعات لا يفصله هيدوك نفسه بكل تأكيد.

نشرت غريزليدا من النافذة وقالت إن هي الحقيقة صحفيين، ثم

أضاحت متهددة: أفانهم يصورون نوافذ المكتب ثانية.

لقد عانينا الكثير من هذا الأمر، ففي البداية كان فضول أهل القرية، حيث جاء الجميع لينظروا ويحلقوا. ثم جاء الصحفيون مسلحين بأجهزة تصويرهم، وجاء أهل القرية من جديد ليروا المصورين. وفي النهاية اضطررنا لإحضار شرطي من بلدة منش بينهام المجاورة ووضعه خارج المنزل. قلت: حسناً، ستكون الحنازة صباح غداً، وبعدنا ستعف الحماسة بالثأكيد.

عندما وصلنا إلى أولد هول لاحظت وحسود بعض الصحفيين يتسكعون هناك، وقد أمطروني بالعديد من الأسئلة التي لم أجب عنها غير العجوب المعتاد (الذي وجدناه الأفضل): "ليس لدي ما أقوله".

قلدنا كبير المخدم إلى غرفة الجلوس التي بدا أن شياغلها الوحيدة كانت الأنسة كرام... وقد بدت في سعادة كبيرة. قالت وهي تصافحنا: إنها مفاجأة، أليس كذلك؟ ما كنت لأفكر أبداً بمثل هذا الأمر، ولكن السيدة برونيرو امرأة لطيفة، كما أنه ليس من المستساغ بالنسبة لشابة مثلي أن تبقى بمفردها في مكان كفتدي بلو برو مع وحرد كل أولئك الصحفيين. وهذا لا يعني طبعاً أنني لم أستطع تقديم بعض المساعدة... فالمرء يحتاج فضلاً لسكريرة في مثل هذا الوقت، والأنسة ليتيس لا تقدم أية مساعدة، أليس كذلك؟

لاحظت أن عدايتها القديم ليتيس باق، ولكن الفتاة أصبحت - كما هو واضح - نصيرة منجسة للسيدة برونيرو. وقد تساءلت في نفس الوقت إن كانت قصة قتلها إلى هنا دقيقة جداً، فهي تدعي أن المباشرة جاءت من أن، ولكنني تساءلت إن كان الأمر

كذلك بالفعل. ربما كانت أول إشارة منها فكراتها الإقامة في الفندق هي التي صدرت من الفتاة. ورغم أنني تركت عقلي مفتوحاً لتقبل كل الاحتمالات في هذا الأمر، إلا أنني لم أؤمن الآنسة كرام كانت صادقة كل الصدق.

في تلك اللحظة دخلت أن بروثيرو الغرفة. كانت فرنسي السواد الهادئ، وتحمل في يدها صحيفة مدتها إلى بنقرة حزينة وقالت: ليست لدي أية خبره بمثل هذه الأمور. أمر كريمة جداً، أليس كذلك؟ لقد رأيت صحفياً أثناء التحقيق. قلت له فقط إنني متزعزعة جداً وليس لدي ما أقوله، ثم سألني إن كنت منلهمة على العثور على قاتل زوجي فقلت له: "نعم". ثم سألني إن كانت لدي أية شكوك فأجبت بالنفي، وسألني إن كنت أرى أن الجريمة تدل على معرفة تفصيلية بالقرب فقلت إنها تبدو كذلك بالتأكيد. وكان ذلك كل ما دار من حديث. والآن انظر إلى هذا

في وسط الصفحة كانت صورة من الواضح أنها أعدت قبل عشر سنوات (والله أعلم من أين حازوا بها)، ونحتها بعنوان بارز:

ارملة تعلن أنها لن تسريح حتى توقع بقاتل زوجها

"السيدة بروثيرو، أرملة الرجل القاتل، وثقة أن تبحث عن القاتل ينبغي أن يتم في حدود القرية. ولديها شكوكها، ولكن لا شيء مؤكد. وهي تقول إن الحزن قد شلها، ولكنها مصممة على الإيقاع بالقاتل".

قالت آن: كلام لا يشبهني في شيء، أليس كذلك؟

قلت وأنا أعيد لها الصحيفة: كان من الممكن أن يكون الأمر

باعتقادي أسوأ من ذلك.

قلت الآنسة كرام: أليس ذلك وقاحة منهم؟ بودي لو أرى واحداً من أولئك الذين يحاولون الحصول على شيء.

من طرفه عين السيدة بروثيرو اقتضت بأنها ترى في هذا القول من الصحة أكثر مما أرادت الآنسة كرام له أن يبدو.

جاء من يعلن أن الغداء جاهز فدعنا إلى غرفة الطعام. لم نأت ليتس للقاء حتى كنا في منتصف وجبتنا، حيث دخلت ومضت بأسلوبها الثاني إلى حيث المكان الفارغ وهي تحيي غريزتها بالتسامح وتحبيني أنا بإيماءة من رأسها. راقبتها ببعض الانتباه لأسباب خاصة بي. ولكنها كانت على نفس طبيعتها الغامضة المبهمة. كانت رائحة العسل... هذا ما يضطرني الإنصاف للاعتراف به، وكانت ما تزال محببة عن ليس السواد حيث ارتدت لباساً أحضر فاتح اللون.

بعد شرب القهوة قالت أن يهتوء: أريد أن ألكلم قليلاً مع الكاهن، سادعوه إلى الطابق العلوي حيث غرفة جلوسي.

جاء الوقت أخيراً لأعرف سبب استدعائها. نهضت ونهضت على العرج. توقفت عند باب الغرفة، وحينما كنت على وشك الكلام مدت يدها لتوقفني. بقيت منحنية وهي تنظر إلى الأسفل حيث الصالة، ثم قالت: حسناً، إنهم يصرحون إلى الحقيقة. كلا... لا تدخل هناك، ستصعد إلى الأعلى.

ووسط دعشتي سارت لثامي عبر العمر حتى نهايته، حيث كان خرج حقيق أشبه بالسلم يهضي إلى الطابق الأعلى. ارتقت وأنا خلفها

حتى وجدنا أنفسنا في ممر خشبي ينفوه الفئار. فتحت أن أحد الأبواب وأدخلني إلى سقيفة واسعة قليلة الإضاءة بدا واضحا أنها تستخدم لتخزين الأثاث والحاجيات القديمة. كانت فيها صندوق ثياب، وقطع أثاث قديم مكسور، وبعض الصور المكدمسة، مع كل تلك الأشياء العديدة التي تحفل بها مثل هذه الغرف.

كانت دعشتي يادية للدرجة جعلتها تنسم قليلاً وتقول: عليّ لولاً أن أشرح لك الأمر. إن نومي خفيف جداً في هذه الأيام، وفي الليلة الماضية... أو بالأحرى صباح هذا اليوم، في حوالي الثالثة ليلاً، كنت على قنطرة بأنني سمعت أحداً يتحرك في المنزل. انصرفت لبعض الوقت، ثم نهضت أخيراً وبهرجت لأرى، وعلى استراحة الدراج خارج غرفتي أدركت أن الأصوات تأتي من فوق وليس من الأسفل. تقدمت حتى أسفل هذا الدرج الضيق، وهناك خيل لي أيضاً أنني سمعت صوتاً. فادبت: "هل من أحد؟"، فلم ألق جواباً ولم أعد أسمع شيئاً، وهكذا افترضت أن أعصابي هي التي تدعني وعدت إلى النوم. ولكنني صعدت إلى هنا في وقت مبكر من صباح اليوم لا بدعني لذلك إلا الفضول. ووجدت هذا!

انحنت وأدارت صورة كانت تستند إلى الجدار وظهرها إليّ.

شهقت دهشة. بدا واضحاً أن الصورة كانت رسماً شخصياً بالألوان الزيتية، ولكن الوجه كان مقطوعاً بطريقة وحشية لم يمد بالإمكان معها التعرف على صاحب الصورة، وفوق ذلك بدا واضحاً أن ذلك النقطيع والتشويه تم حديثاً. قلت: يا له من أمر غريب جداً!

- أليس كذلك؟ فل لي، هل يخطر في بالك أي تفسير؟

هزوت رأسي نائياً وقلت: في هذا الأمر نوع من الوحشية التي لا أرتاح لها. يبدو وكأن ذلك تمّ خلال نوبة من الغضب الجنوني.

- نعم، هذا ما خلننته أيضاً.

- ما هي هذه الصورة؟

- ليست لدي أدنى فكرة عن ذلك، فلم أرها أبداً من قبل. كل هذه الأشياء كانت في السقيفة عندما تزوجت لوكيوس برونسيو وبحثت للمعيش هنا.

- غريب جداً!

انحنيت وقصصت الصور الأخرى. كانت من تلك الصور التي يتوقع المرء وجودها في مثل هذه السقيفة... صور عادية لمناظر طبيعية، وأخرى للوحات زيتية، و لوحات مقلدة ذات ألوان رخيصة.

لم أجد ما يقيد صندوق ثياب ضخم قديم الطراز وقد كتبت عليه الأحرف الأولى "أ ب". رفعت غطاءه فوجدته فارغاً، ولم يكن في السقيفة شيء آخر ذو دلالة. قلت: إنه فعلاً حدث مدهش جداً، ولكنه أيضاً... غير ذي معنى.

- نعم، وهذا يعني قليلاً.

ثم يكنّ ثم ما تبي غير ذلك. رافقتها إلى غرفة جلوسها فأغلقت الباب وقالت: أظن أن عليّ أن أفعل شيئاً حيال ذلك؟ أأعبر الشرطة؟

ترددت وقلت: من الصعب القول ظاهرياً إن كان...

أكملت هي العبارة قائلة: إن كان الأمر علاقة بجريمة القتل أم

لا، أعرف ذلك. هذا هو ممكن الصعوبة، فظاهرياً لا تبدو أية علاقة بين الأمرين.

- نعم، ولكنه أمر غريب آخر.

جلستا ساكتين نطرب حاجبتنا، ثم قلت: ما هي عططك. إن كان لي أن أسأل؟

رفعت رأسها وقالت بشيء من التحدي: سأستمر في العيش هنا لستة أشهر أخرى على الأقل! رغم أنني لا أحب ذلك، فأنا أكره فكرة العيش هنا. ولكنني أرى أن ذلك هو السبيل الوحيد، وإلا قاتل الناس إنني هربت... وإن ضميري يعتذري.

- ليس هذا معقولاً.

- أوه، نعم. سيقولون ذلك. خاصة أنني عندما... عندما تنهي الأشهر الستة... سأأزوج لورنس.

أنفست عيناها وهي تقول: كلانا لا يريد الانتظار أكثر من ذلك.

- كنت أحسب أن ذلك سيحدث.

فجأة انتهزت ودفت رأسها يديها قائلة: أنت لا تدري كي أنا محنة لك... لا تدري. كنا قد ودعنا بعضنا، وكان على وشك طرحي. أشعر بشعور فظيع نجاه موت لوكيوس، ولو كنا نعصط للهروب معاً ومات وقتها لكان الأمر فظيلاً بالنسبة لي الآن، ولكنك جعلتنا نرى مقدار الخطأ في ذلك التصرف. ولهذا أنا ممثلة لك.

قلت لها متحجماً: أنا أيضاً شاكر لكما.

اعتذلت في حليتها وقالت: ومع ذلك، طالما أن القاتل الحقيقي لم يكشف فإنهم سيقولون حتماً أنه لورنس... أوه! نعم، سيقولون ذلك، وخاصة عندما يتزوجني.

- يا عزيزتي، لقد أثبتت شهادة الدكتور هيدوك بما لا يدع مجالاً للشك...

- وحتى نعلم الناس بالشهادات؟ إنهم لا يعرفون بأمرها، والدليل الطبي لا يعني شيئاً بالنسبة لأناس غرباء على أية حال. وهذا سبب آخر لبقائي هنا يا سيد كليمنت. إنني سأعثر على الحقيقة.

التمعت عيناها وهي تتكلم، ثم أضللت: وللذلك طلبت من تلك الفتاة القنوم إلى هنا.

- الآنسة كرام؟

- نعم.

- أنت التي دعوتها إذن. أعني أن الفكرة كانت فكرتك.

- فكرتي تماماً، لقد دعوتها إلى هنا عامدة.

- ولكن، أتراك تظنين من الممكن أن تكون لطفك لشابة السخيفة علاقة بالحرية؟

- من السهولة البائدة الظهور بمظهر السخافة يا سيد كليمنت. هذا واحد من أسهل الأمور في الدنيا.

- إذن فأنت حقاً تظنين...

- لا، لا تكمل، فأنا لا أفضل شيئاً سوى أد تلك القصة تعرف شيئاً ما... أو ربما عرفت شيئاً، أريد دراستها عن كثب.

قلت متأملاً: وفي أول ليلة لها هنا تم تمزيق تلك الصورة؟

- أنظنها هي التي فعلت ذلك؟ ولكن لماذا؟ يبدو ذلك في منتهى السخف والاستحالة.

- يبدو لي في منتهى السخف والاستحالة أن يقتل زوجك في مكبي، ولكنه قتل فيه!

وضعتُ يديا على ذراعي وقالت: أعرف، إنه أمر فظيح بالنسبة لك. إنني أدرك ذلك، مع أنني لم أقصد كثيراً عنه.

أعرجت القراط الأزرق اللازوردي من جيسي ورفعت أمانها قائلاً: أظن أن هذا لك؟

- أوه، نعم!

مدت يدها لتأخذه بإتسامة سرور قائلة: أين وجدته؟

ولكنني لم أضع القراط في يدها الممدودة، بل قلت: أمانعي إن احتفظت به لفترة بسيطة؟

- لا أمانع بالتأكيد.

بدت متسائلة، ولكنني لم أشبع فضولها. سألتها عن وضعها المالي وقلت: أعرف أنه سؤال وقع، ولكنني لا أقصده بهذا المعنى.

- لا أراه وحقاً أبداً، فأنت وغريزelda أفضل صديقين لي هنا،

كما أنني أحب تلك المعجوزات المسكيات ماريل. لقد كان لوكيوس كما تعلم غنياً جداً، وقد قسم تركته بالتساوي تماماً بيني وبين ليتيس. هذا المنزل مؤول إليّ، ولكن تقضي الوصية بأن نختار ليتيس من الأثاث ما يمكنه لفرض بيت صغير لها، وقد ترك لها مبلغاً منفصلاً لشراء بيت، بحيث تصبح القسمة متساوية.

- ما هي عطيلها، أنظرين؟

انسمت أن يسخرية وقالت: إنها لا تعبرني بعطيلها. يحيل إلي أنها ستترك هذا المنزل بأمرع ما تستطيع. إنها لا تحبني... لم تحبني أبداً. أفلتني الممطلة، رغم أنني حاولت حقاً أن أكون منصفة معها دائماً. ولكنني أحسب أن أية فتاة تكره وجود امرأة أبى شابة.

سألتها غداً: أتحبينا؟

ثم تحبني على الفور، وهذا ما أتعني بأن آن برونبرو امرأة شديدة الصدق. قالت آميراً: أحببتها في البداية. كانت فتاة رائعة جداً، ولكن لا أظن أنني أحبها الآن. لا أدري لماذا... ربما لأنها لا تحبني. أنا أحب أن يحبني الناس.

قلت: "كلنا نحب ذلك"، فرائتها نيسم.

بقيت أمانمي مهمة واحدة، وهي تبادل بضع كلمات مع ليتيس برونبرو على الفرد. وقد تدهرت ذلك بسهولة عندما رأيتها وحدها في غرفة الخفوس، وكانت غريزelda وغلاديس كرام في الحديقة. دخلت وأغلقت الباب خلفي وقلت: ليتيس، أريد الحديث معك.

رفعت رأسها دون اهتمام وقالت: نعم؟

كنت قد فكرت مسبقاً فيما سأقوله. مدت يدي بالقرط الأزرق وقلت: لماذا أسقطت هذا في مكبي؟

وأيتها تصطب للحنة... كاد ذلك يكون أقرب للمح البصر، ثم استعادت السيطرة على نفسها بسرعة منحلة جعلني أشك فيما رأيته حينئذ، وقالت دون اهتمام: أنا لم أسقط في مكبك شيئاً أبداً. هذا ليس لي... إنه قرط آن.

- أعرف ذلك.

- حيناً، لماذا تسألني إذن؟ لا بد أن آن أسقطته.

- إن السيدة بروثيرو لم تدخل إلى مكبي إلا مرة واحدة بعد الحريمة، وعندها كانت تلبس السواد، ولذلك لا يمكن أن ترتدي مع السواد قرطاً أزرق.

- في تلك الحالة لا بد أنها أسقطته قبل ذلك... هذا هو التفسير المنطقي.

- منطقي جداً. أترى تذكرين متى كانت زوجة أبيك تضع هذا القرط في أذنها آخر مرة؟

- آوه!

نظرت إلي نظرة بدت فيها بعض الحيرة وقالت: أعذا مهم جداً؟

- ربما كان مهماً.

- سأحاول التذكر.

جلست هناك عاقدة الحاجبين تفكر. لم يسبق لي رؤية لينييس بروثيرو يمثل هذه الفتة التي بدت عليها في هذه اللحظة. قالت فصاحت: آوه، نعم! كانت تلبسه... يوم الخميس. تذكرت الآن.

قلت ببطء: الخميس كان يوم الحريمة، وقد جاءت السيدة بروثيرو إلى غرفة المكتب من الحديقة في ذلك اليوم. ولكنها قالت في شهادتها - إن كنت تذكرين - إنها لم تصل إلا للباب الزجاجي للمكتب، وليس إلى داخله.

- وابن وجدته أنت؟

- ملقي تحت طاولة الكتابة.

قلت لينييس ببرود: يبدو الأمر - إذن - كما لو أنها لم تقل الحقيقة، أليس كذلك؟

- أتحين أنها دخلت ووقفت عند الطاولة؟

- هكذا يبدو، أليس كذلك؟

ثم نظرت إلي بعينين صافيتين وقالت بهدوء: إن أردت رأيي فإني لم أحسب أبداً أنها كانت تقول الحقيقة.

- وأنا أعرف أنك أنت لا تقولين الحقيقة يا لينييس.

جفت وقالت: ما الذي تعنيه؟

- أعني أن آخر مرة رأيته فيها هذا القرط كانت صباح يوم الجمعة عندما أتيت إلى هنا مع الكولونيل ميلشيت. كان موضوعاً

مع فردته الأخرى على طاولة زينة السيدة بروثيرو، وقد تلمست
الفردتين كلتيهما بنفسى عملياً.

- أوه...!

اضطربت وفذفت نفسها فجأة على خراع كرسيها وانفجرت
بالبكاء. فدللى شعرها الأشقر حتى كاد ينفخ الأرض. كان موقفاً
غربياً... جميلاً ونقائياً.

فركتها تتحب لبضع دقائق في حسرت ثم قلت لها بكل لطف:
لماذا فعلت ذلك يا ليتيس؟

- ماذا؟

فمرت وعدلت من جلستها وهي تقذف شعرها بقوة إلى
الحلف. بدت مذعورة... بل مرعوبة إلى حد ما. قالت: ماذا تعني؟

.. ما الذي جعلت تفعلين ذلك؟ أمي الغيرة؟ كراهيتك لأد؟

- أوه...! أوه، نعم!

ردت شعرها عن وجهها إلى الحلف وبدت فجأة وكأنها
استعادت السيطرة على نفسها ثم قالت: نعم، بوسعك أن تسمي
ذلك غيرة. كنت دوماً أكرهه آن... منذ أن أتت هنا لتلعب دور
الملكة. لقد وضعت ذلك القوط الياقوت تحت الطاولة. كنت أرجو
أن يوقعها ذلك في المتاعب... وكان سيوقعها لو لم تكن أنت ذلك
المتدخل الذي يدس أنفه ويتلمس طاولات زينة الآخرين. وعلى كل
حال، ليس من شأن رجل الدين أن يقوم بمساعدة الشرطة.

بدأ أن من الصعب النظر بحدية إلى محاولتها الانتقام من آن.
وقد قلت لها ذلك، وأضحت أنني سأعيد القوط للسيدة بروثيرو دون
أن أخبرها شيئاً عن ملابسها عثوري عليه. بدت متأثرة بذلك بعض
شيء، وقالت: هذا لطف كبير منك.

سكنت قليلاً ثم قالت وهي تختار كلماتها بعناية ونسج
بوجهها: لو كنت مكانك يا سيد كليمنت... لو كنت مكانك
لأجعت دينيس من هنا بأسرع ما يمكن. أظن... أظن أن ذلك أفضل.

رفعت حاجبي شيء من التعجب، ولكن شيء من القسوة أيضاً.
أضافت قائلة بنفس ذلك الأسلوب الفطيع: سيكون ذلك أفضل فيما
أظن. إنني أسفة بشأن دينيس. لا أظنه... على كل حال، أنا أسفة.

وتركت الموضوع عند تلك النقطة.

• • •

يكفه هو لها يمكن أن يلقي الضوء على الأمور... ولكن بمجرد أن تعلم أننا نعرف بأمرها فستطبق فيها هكذا.

ثم يوضح الشرطي كيف هي هذه الهكذاء، ولكنني شككت في إمكانية أن تطبق الآنسة غلابيس كرام فعلها بالطريقة التي وصفها؛ فقد كان من المستحيل تصورها إلا كفتاة تتدفق كلاماً.

قال الشرطي هيرست بأسلوب تعليمي: عندما يتنحل امرؤ شخصية غيره فلا بد أن تعرف لماذا يتنحل.

- أمر طبيعي.

- ولطوب. لا بد أن يوجد في هذا القبر... وإلا لماذا بقي بحث فيه يوماً؟

- ربما اتخذ عذراً ليعوم هنا.

غير أن فكرني لم ترق للشرطي فقال برود: ذلك رأي الهواة.

- ولكنك لم تعد الحقيقة على أية حال.

- مستعدها يا سيدي، لا شك في ذلك.

- لست واثقاً إلى هذا الحد. كنت أفكر بقول الآنسة ماربل إن الفتاة عادت بعد وقت قليل وهي لا تحمل شيئاً، وفي هذه الحالة ما كان لها من الوقت ما يكفي للوصول إلى هنا والعودة ثانية.

- لا تأبه لما تقوله المجازر، فعندما يشاهدن شيئاً غريباً ويتظنون عواقبه بكل لهفة يمر الوقت سريعاً بالنسبة إليهن. وعلى أية

الفصل الثالث والعشرون

في طريق عودتنا افترحت علي غريزelda أن نحول طريقنا بحيث نمر على القبر الأثري؛ كنت راغباً في معرفة ما إذا كان الشرطة يعملون هناك، وإن كانوا كذلك فما الذي اكتشفوه، ولكن كان لدى غريزelda ما تفعله في البيت، وهكذا تركني لأقوم بالمهمة بمفردي.

وجدت الشرطي هيرست يتولى مسؤولية العمل هناك. قال: ما من أثر حتى الآن يا سيدي، ومع ذلك فإن المنطق يقول إن هذا هو المكان الوحيد لكتفنا.

وقد احترت في فهم ما يرمي إليه، إلا أنه سرعان ما أوضح قائلاً: ما أعنيه يا سيدي هو أنه ما من مكان آخر يمكن أن تكون تلك الفتاة قد قصدهت بسلوكتها ذلك الطريق، فهو لا يؤدي إلا إلى أولد هول وإلى هنا وحسب.

- أحسب أن من شأن المفتش سلاك أن يزوري أي إحراء بسيط من قبل التوجه مباشرة وسؤال الفتاة.

- إنه سريض على عدم تيبها للأمر؛ فكل ما تكبه لترون لو

حال، لن نجد امرأة تعرف شيئاً عن الوقت.

نظاماً تعجبت من ميل العالم كله للتعميم إذ سادوا ما تصح التعميمات، إن صبح منها شيء، وعادة ما تكون عاطفة جداً. أنا شخصياً أعاني من ضعف الإحساس بالوقت (وذلك سبب تركي للساعة متقدمة عن الوقت الحقيقي)، أما الآلة ماربل -مثلاً- ففيها إحساس مرهف بالوقت؛ فساعات بينها دقيقة كلها حتى الثواني، وهي نفسها دقيقة جداً في كل مواعيدها. ولكني لم أكن أتوي معادلة الشرطي في هذه النقطة، ولذلك تمنيت له مساء سعيداً وحظاً طيباً ومضيت.

كنت أقترّب من البيت عندما جاءني الفكرة. وقد جاءت دون مقدمات، بل التهمت فجأة في ذهني كحل محتمل.

ربما تذكرون أنني -لدي بحثي الأول في الطريق الترامبي في اليوم التالي للحرمة- وجدت الأغصان على غير طبيعتها في مكان معين، وقد فهم -أو أدركت ما حسبه وفهمها- أن ذلك الأثر كان من مرور لورنس خلالها وهو يتابع مهمة كمهني.

ولكنني تذكرت أننا عثرنا معاً بعد ذلك على أثر آخر لشخص مرّ بين الأغصان، ونبين أن ذلك الشخص لم يكن سوى المفتش. وأنا أعيد التفكير في الأمر تذكرت على نحو محدد بأن الأثر الأول (أثر لورنس) كان واضحاً مدحوظاً أكثر من الثاني، كما لو أن أكثر من شخص قد سلك ذلك الطريق، وفكرت في أن ذلك ربما كان هو الذي لفت انتباه لورنس أساساً لذلك الأثر. فماذا لو افترضنا أن ذلك الأثر الأول كان بفعل مرور الدكتور ستون أو الآلة كرام؟

تذكرت -أو عيّل في أنني تذكرت- أنني رأيت هناك العديد من الأوراق الذابلة على أغصان مكسورة، فإن كان الأمر كذلك لما كان يحدث ذلك الأثر قد تم في نفس الظهيرة التي بحثنا فيها أنا ولورنس. كنت أقترّب لتوي من ذلك المكان المقصود، وقد ميزته بسهولة وشققت طريقتي ثانية بين الأغصان، ولاحظت هذه المرة وجود أغصان كسرت حديثاً. لقد مر أحدكم فعلاً من هنا بعد مروري أنا ولورنس. وسرعان ما وصلت إلى المكان الذي التقيت فيه بلورنس. ولكن الأثر الخفيف امتد أبعد قليلاً، ومضيت ورائه. وفجأة اتسعت مساحة ذلك الأثر لتأخذ شكل مساحة صغيرة خالية بها أنوار لتفجير حديث في قشرة الأرض. وإني أقول مساحة خالية لأن النباتات فيها كانت أقل مما عداها، أما أغصان الأشجار فوقها فقد تشابكت، ولم يكن المكان كله أكثر من بضعة أقدام.

في الجانب الآخر كانت النباتات كنبهة مرة أخرى، وهذا واضحاً أن أحداً لم يشق طريقه عبرها مؤخراً. ومع ذلك بدأت على غير طبيعتها في مكان واحد فقط. عبرت إليه وركعت على ركبتي وأخذت أبعد أغصان الشجيرات والنباتات بكلتا يدي. وقد وجدت مكاناً في سطح بني لامع. أدخلت يدي وكلتي انفعال، وبكثير من الصعوبة أخرجت حفية بيضاء صغيرة.

أطلقت صيحة انتصار، فقد نجحت! ورغم ملاحظات الشرطي المتهمكة فإني أثبت صحة تحليلي. إلى هنا حصلت الأنسة كرام الحقيبة دون شك. حاولت معالجة قفل الحقيبة فوجدته مغلاً.

وفيما أنا أنهض واقفاً لاحظت حبة كريستالية صغيرة نعل إلى

اللون البني، التغطيتها بشكل بكاد يكون ألياً ودستها في جيبي، ثم أمسكت بالحقيبة من مقبضها وعدت سالكاً الطريق الترابي من جديد. وفيما أنا أصعد المرفقة لأعبرها إلى الممشى المؤدي إلى البيت صاح بي صوت منفصل قريب: أوه! سيد كليمنت. لقد وجدتُها! يا لذكائك!

وازنت الحقيبة على السياج بيني وبينها وأنا أسجل في ذهني حقيقة أن الأنسة ماربل هي -بلا منازع- سيدة من نيوون ولا يروون. قالت: هذه هي... كنت سأعرفها أينما كانت.

رأيت أن زعمها هذا يتطوي على شيء من المبالغة مع وجود الآلاف من الحقائق الرخيصة اللامعة التي يشبه بعضها بعضاً بحيث لا يملك أحد تمييز واحدة منها وهو يراها في ضوء القمر من مثل هذا البعد، ولكنني أدركت أن القصة كلها كانت انتصاراً بسجل الأنسة ماربل، الأمر الذي يجعلها الخروج بشيء من المبالغة المنفورة.

- أحسبها مقلدة يا سيد كليمنت؟

- نعم، كنت على وشك أخذها إلى مركز الشرطة.

- ألا تنظر من الأفضل الاتصال بهم هاتفياً؟

ما من شك في أن الاتصال الهاتفي أفضل بكثير؛ إذ سيكون مسيرتي عبر القرية حاملاً حقيبة بيدي مدعاة لدعابة غير مرغوبة. وهكذا فتحت بوابة حديقة الأنسة ماربل ودخلت البيت من خلال الباب الزجاجي، وهناك اتصلت وأبلغت عن الخبر من غرفة الخدم التي أغلقت بابها.

كانت النتيجة أن المفتش سلاك أعلن أنه سيكون عندنا في غضون دقيقتين. وعندما وصل كان في أنكك حالاته. بسافوني قائلاً: حصلنا عليها إذن، أليس كذلك؟ كان عليك -يا سيدي- ألا تحتفظ بالمعلومات نفسك. إن كان لديك ما يدعوك للاعتقاد بأنك نعرف معية الفرض الذي يجري البحث عنه فقد كان عليك إبلاغ ذلك للسلطات المحلية.

- كان ذلك مجرد صدفة، فقد جاءني الفكرة فجأة.

- وهذه قصة محتملة؟ نمشي ما يقرب من ثلاثة أرباع الميل داخل غابة، ونصد مباشرة إلى النقطة الصحيحة ونضع يدك على الحقيبة!

كان بإمكانني أن أشرح للمفتش سلاك المحطرات المنطقية التي قادتنا إلى تلك البقعة تحديداً، ولكنه كان قد حقق غرضه المصداق في إزعاجي، ولذلك لم أقل شيئاً.

قال المفتش سلاك وهو ينظر إلى الحقيبة بكرهية وباستعداد لعدم الاهتمام: حسناً؟ أحسب أن من الأفضل أن تنظر إلى ما بداخلها.

كان قد أحضر معه رزمة من المفاتيح وسلكاً، وكان للفعل من النوع الرخيص، فلم يستغرق فتح الحقيبة أكثر من دقيقتين.

لا أعرف ما الذي كنا نتوقصه... وبجمل لي أننا توقعنا شيئاً مشرقاً حذاً. ولكن أول ما صادفته أعيننا كان وشاحاً ذا نقش على شكل مربعات وقد اتسخ بالدهون. رفعه المفتش فظهر بعده معطف قزوين غامق قد بهت لونه وهو أسوأ من سابقه. وتبع ذلك كتاب من قماش ذي مربعات.

قال المفتش: بضاعة غاسدة.

ثم جاءت بعد ذلك جزمة منخفضة الكعب مهترئة، وفي أسفل الحقيبة كانت رزمة ملفوفة بورق الصحف.

قال المفتش بمرارة وهو يفتح الرزمة: أظنه قسيماً.

بعد لحظة كان يمسك أنفاسه دهشة، فني داخل الرزمة كانت بعض الأغراض النضبة للمزعزعة وصحن واسع من نفس المعدن!

صاحت الأنسة ماربل صبيحة تعرف حادة وهتفت: إنها ثوتسي الكولونيل بروثيرو، وبعضها يعود لعهد الملك تشارلز الثاني. حين سمعنا يمثل هذا الأمر!

احمر وجه المفتش كثيراً وقال: كانت تلك هي اللبنة إذن... مسألة مرفقة؟ ولكني لا أستطيع فهم الأمر إذ لم يذكر شيء عن فقد مثل هذه الأمور.

قلت: ربما لم يكتشفوا فقدانها. لا أظن مثل هذه الأغراض الثمينة تكون موضوعة بشكل ظاهر للاستخدام اليومي. ربما كان الكولونيل بروثيرو قد احتفظ بها في خزانة ما.

قال المفتش: ينبغي أن أحقق في ذلك. سأذهب الآن فوراً إلى لولد هول. لهذا - إذن - أطلق دكتورفا ستون ساقه للريح... فبسبب الجريمة وغيرها من الأمور الغريبة، خشي أن نعلم بأفشطته. رأى أن من المرجح أن يتم تفتيش أمتحته، فلدغ الفتاة لتعذيبها في المقابلة مع ثياب مناسبة للتكرار. كان يتوي العودة من طريق مختلف لأعد تلك الأغراض في ليلة ما بينما تبقى هي هنا لتبديد الشكوك. حسناً، في

قلت أمر إيجابي واحد، فهذا يبرقه من قضية القتل. لا علاقة له بجريمة القتل، فلك مسألة أخرى مختلفة.

أعاد وضع الأغراض في الحقيبة ثم انصرف رافضاً دعوة الأنسة ماربل لتناول كوب من الشاي.

قلت متلهذاً: حسناً، ما قد خل أحد الانتاز. ما قاله سلاك صحيح تماماً، ما من مبررات للشك بالدكتور ستون فيما يخص جريمة القتل، فلكل فعله تفسير مقنع تماماً.

- يبدو الأمر حقاً على هذا النحو، مع أن المرء لا يمكن أن يكون واثقاً تماماً من كل شيء، أليس كذلك؟

- الدافع غائب بالتأكيد! فقد حصل على ما يريد وكان على وشك المغادرة.

- نعم...

كان واضحاً أنها غير مقتنعة تماماً، ونظرت إليها بشيء من الفضول فسارعت للإجابة على نظرتي المتسائلة بلهفة بها لظنها الاعتذار: لا شك أنني معطلة تماماً، فأنا غيبية في مثل هذه الأمور، ولكنني كنت أتساءل فقط... أعني أن هذه القضايا ثمانية جداً، أليس كذلك؟

- أعلن أن صحننا فضياً كالذي رأيناه قد بيع قبل أيام بنحو ألف جنيه.

- أعني أن القيمة ليست في المعدن فقط.

- كلا، فالقيمة تكمن في جماليته وتاريخه.

- هذا ما أعنيه، ويبيع مثل هذه التحف بتظلم وقتاً لتزويج الأمر، وحتى لو تم تزويجه فلا يمكن المضي في الأمر إلا بسرعة. أعني أن السرقة - إذا ما تم الإبلاغ عنها ودب الضياع لدى الشرطة - فمن يكون بالإمكان تسويق تلك الأغراض أبداً.

- لا أفهم تماماً ما الذي تعنيه؟

ازداد ارتياك الآتية ماريل واذا دلت لهبتها اعتذاراً وقابلت أعلم أنني لا أحسن التعبير، ولكن يبدو لي أن... أن هذه الأغراض لم يكن من الممكن سرقتها هكذا ببساطة. التصرف المتفجع الوحيد هو أن يتم استبدال تلك التحف ببيع زائفة عنها، وعندها ربما لا نكتشف السرقة إلا بعد زمن طويل.

- هذه فكرة عجيبة.

- ستكون تلك هي الطريقة الوحيدة، أليس كذلك؟ وإن كان الأمر كذلك، ففور استبدال التحف لن يكون سبب - كما قلت - لفشل الكولونيل بروثيرو... بل على العكس.

- بالضبط، هذا ما قلته.

- نعم، ولكني كنت أنسأل فقط... لا أعرف طبعاً... كما أن الكولونيل بروثيرو كان من عادته أن يتكلم كثيراً عما يعترق فعله قبل القيام به فعلاً، وكان أحياناً لا يقوم بما اعتزمه أبداً، ولكنه ذكر بالتأكيد...

- ماذا ذكر؟

- ذكر أنه سيقوم بشيء كل حاجياته... ونحدث عن شخص

سيأتي من لندن، لأغراض المحضر... كلا، ليس المحضر؛ فالمحضر لا يقال إلا في معرض المذكرات... ولكن لأغراض التأمين. فقد أخبرهم أنهم بضرورة القيام بذلك. تحدثت في هذا الموضوع كثيراً، وفي ضرورة تأمينه. لا أدري طبعاً إن كان قد قام بأية ترتيبات فعلية، ولكن إن كان قد قام بذلك...

- فهمت.

- كان من شأن التعبير أن يعرف الحقيقة فور رؤيته للفضيات، وعندها سبذكر الكولونيل بروثيرو أنه عرض التحف على الدكتور ستون. أنسأل إن كانت عملية الاستبدال قد تمت وقتها... يقلل من خفة اليد كما يسمونها. عملية ذكية... ولكن إن كان الكولونيل قد استدعى خبيراً لتأمين الفضيات فسوف تكون الفلاس قد وقعت في الرأس كما يقول العامة.

- فهمت فكرتك. أظن أن علينا التأكد من هذا الأمر.

ذهبت ثانية إلى الهاتف. وسرعان ما كنت أتحدث مع أن بروثيرو في أولد هول. قلت لها: كلا، ليس في الأمر شيء بالغ الأهمية. هل وصل المفتش؟ لوه؟ إنه في طريقه إليك إذن. سيبدأ بروثيرو، أنتطعين بإيجازي إن كنتم قد أجريتم تفتيشاً لمحتويات منزلكم؟ ماذا تقولين؟

جاء جوابها واضحاً جازماً. شكرتها ووضعت السماعة وعدت إلى الآتية ماريل قائلاً: جايك جواب مؤكد. لقد أجرى الكولونيل بروثيرو ترتيبات لتقديم عبيد من لندن يوم الإثنين... أي غداً... للقيام بتأمين شامل. ربيب وفاة الكولونيل تم تأجيل الأمر.

قالت الأنسة ماريل مهددة: إذن فقد كان لديه دافع.

- بالنسبة للدافع نعم، ولكن هذه كل ما خفي الأمر. فعندما أطلقت الطفلة كان الدكتور ستود قد انغمس لشوه إلى لورنس وأن، أو أنه كان يصعد المراقبة في طريقه للانضمام إليهما.

قالت الأنسة ماريل بتأمل: نعم، هذا يخرجنا من دائرة الشك.

• • •

حدثت إلى يتي لأحد هاوز في انتظاره في مكبي. كان يشرح المكتب جيدة وذهاباً بصيد. وعندما دخلت المكتب جفيل كمن أطلقت عليه النار وقال وهو يمسح جبينه: ينبغي أن تعذرني، فأعصابي أصبحت محطمة مؤجراً.

- يا صديقي العزيز، عليك بالتأكد أن تسافر من أجل بعض الخير، وإلا سنجدك منهاراً تماماً، وهذا لن يفيد في شيء.

- لا أستطيع ترك موقعي. كلا، هذا شيء لن أفعله أبداً.

- إنها ليست مسألة ترك موضع. أنت مريض، وأنا واثق أن هيدوك سينقضي معي في ذلك.

- هيدوك... ما هذا الطيب؟ مجرد طيب عام في الريف.

- لا أحسبك أنصفته. لقد أعبر يوماً رجلاً قديراً في مجال عمله.

- أوه! ربما. نعم، أظنه كذلك، ولكنني لا أجه.

أغمض عيني والزهر ريشه يتشج.

من الواضح لي أن ثمة شيئاً غير طبيعي أبداً عند هاويز. وقد بدا
مديكاً لا إنكارياً، لأنه فتح عينيه وقال بسرعة: ليس بي شيء حقاً. لا
يعلم الأمر مسألة هذا الصداق... هذا الصداق الرهيب لمعني. لا أدري
إن كان يوسعلك إعطائي كوباً من الماء.

- بالتأكيد.

ذهبت وأحضرت له كوب ماء بنفسي؛ فصرخ الأجرس في
بيتنا ممارسة لا طائل منها. أعطيت الماء فشكرني وأخرج من حبه
علبة كروتونية فتحها وأخرج منها كبسولة دواء ابتلعها مع الماء وقطلت
فيها مسحوق لمعالجة الصداق.

تساعلت فجأة إن كان هاويز قد أدمن تعاطي مثل هذه العقاقير،
فمن شأن ذلك أن يفسد كثيراً من تصرفاته الغريبة، ولذلك قلت له:
لعلك لا تأخذ الكثير من هذه العقاقير كما أرحو.

- أوه، لا، لا. لقد حذرنى الدكتور هينوك من ذلك، ولكنها
رابعة فعلاً؛ فهي تسبب أحياناً فوياً.

وقد بدا بالفعل أميل إلى اللجوء والافتنان. قلت له: اذهب إلى
البيت واسترح. كلا، لن أسمع أي مناقشة في ذلك... ولا كلمة.

شكرني ثانية، ثم قال وعيناه تتجاوزاني إلى الباب الزجاجي:
لقد... ذهبت إلى أرولد هول اليوم، ليس كذلك يا سيدي؟

- نعم.

- أرحو أن تعذرني... ولكن هل أرسل في طلبك إلى هناك؟

نظرت إليه متلهثاً فتورد وجهه وقال: إنني أسف يا سيدي.
إنني... إنني حسبت فقط أن بعض التطورات المحددة ربما حدثت
وكانت سبباً في استدعاء السيدة بروثيرو لك.

لم يكن في نيتي أبداً أن أشبع فضول هاويز، فقلت له: لقد
لقدت مناقشة تربية الحنازة وبعض الأمور الصغيرة الأخرى معي.

- أوه! كان ذلك كل ما في الأمر... فهمت.

لم أتكلم. نعلل متعللاً من قدم إلى أخرى، ثم قال أميراً: السيد
ويديغ جاء لزيارتي ليلة أمس. ولا... ولا أدري لماذا.

- ألم يهبرك؟

- أكنفي بالقول إنه فكر بالمجيء لزيارتي. قال إن البرء يشمر
بالوحدة قليلاً في الليل، ولكن لم يسبق له أن زارني من قبل.

قلت مستمناً: حسناً، يفترض أنه شاب حسن الصحة.

- ولماذا يأتي لزيارتي؟ لست مرفاحاً لذلك.

علا صوته حتى احتد وهو يضيف: قال إنه مهتود عليّ ثانية.
ما معنى هذا كله؟ ما هي الفكرة التي تراوده برأيك؟

- ولماذا تفترض أن لديه دافعاً خفياً؟

رعد هاويز بعناد: لست مرفاحاً لذلك. إنني لم أهاجمه بأي
شكل. لم أشر إلى أنه هو المذنب... حتى عندما اتهم نفسه قلت إن
ذلك يبدو ثمراً غير مفهوم أبداً. ولو كانت لدي شكوك بأحد لكأنت

بذلك الرجل أرتشر، وليس به هو أبداً. أرتشر من حيلة مختلفة تماماً، فهو مشرد لا خلق عنده ولا وارث... مجرد عاتق مكبر.

- ألا ترى أنك قاسي قليلاً عليه؟ فنحن لا نعرف عن الرجل إلا القليل في نهاية الأمر.

- سارق، لا يخرج من السجن حتى يعود إليه، لا يتورع عن فعل شيء.

سأنته بفضل: أنظن حقاً أنه أطلق النار على بروثيرو؟

لدى هاوز كراهية راسخة للإحابة المختصرة بنعم أو بلا، وقد لاحظت ذلك كثيراً مؤخراً. أحياناً قائلاً: ألا ترى أنت يا سيدي أن ذلك هو الاحتمال الوحيد الممكن؟

- لا يوجد - حسب معلوماتنا - أي دليل ضده مهما كان.

قال هاوز بحماسة: وتهديداته، أنسيت تهديداته؟

سكنت سماع كل هذا الكلام عن تهديدات أرتشر، إذ لا يوجد - بقدر ما أعرف - دليل على أنه أطلق أية تهديدات أساساً.

- لقد كان معصباً على الانتقام من الكونت روبرت، وهكذا ملأ جوفه خمرًا ثم قتلته.

- هذا افتراض محض.

- ولكن لا بد أن تعترف أنه محتمل تماماً؟

- كلا، لا اعتبره كذلك.

- إذن لا بد أن تعتبره ممكن الحدوث؟

- كل شيء ممكن الحدوث.

- لماذا لا تعتبره محتملاً؟

- لأن رجلاً مثل أرتشر ما كان ليفكر باستخدام المسدس، إنه السلاح الخطأ.

بدا أن هاوز قد فوجئ بمنطقي، وكان واضحاً أن ذلك لم يكن الاعتراض الذي توقعه. سألتني بارتشاب: أنظن حقاً أن اعتراضك هذا ممكن فعلاً؟

- إنه - بالنسبة لي - عقبة أكيدة كبرى أمام إمكانية اتهام أرتشر بارتكاب الجريمة.

لم يقل هاوز شيئاً في مواجهة تأكيدي الحازم، ولكنه شكرني وانصرف. رافقته حتى الباب الأمامي، ولاحظت على طارئة العبالة أربع رسائل تجمع بينها خصائص معينة؛ فقد كانت مكتوبة كلها بخط أنثوي لا يمكن أن نحفظه العين، وكانت تحمل جميعاً عبارة "يسلم باليد، عاجل"، والفرق الوحيد الذي استطعت ملاحظته هو أن إحدى الرسائل كانت منسحة أكثر من البقية. وقد جعلني الانشابه بين هذه الرسائل أراها أكثر من عددتها الحقيقي.

خرجت ماري من المطبخ فرائني أحرق في الرسائل فتطلعت قائلة: منمت كلها باليد في فترة ما بعد الضداء، باستثناء واحدة وحدها في صندوق.

لومأت براسي وأخذت الرسائل ونهبت إلى مكثي.

وأطلقت عبارة اشمساز ثم عادت ورمتها إلي، وهي تدبر ظهرها.
أشعلتها وراقبها وهي تحترق.

كانت غريزلدا قد ابتعدت ووقفت أمام الشرفة تنظر إلى
الحديقة، ثم قالت دون أن تلفت: لين.

- نعم يا عزيزتي.

- أريد أن أخبرك شيئاً، نعم، لا تسكتني. عندما... عندما جاء
لورنس وبدلني إلى هنا لوهمتني أنني لم أكن أعرفه من قبل، وهذا لم
يكن صحيحاً، فقد كنت أعرفه بشكل جيد. والحقيقة أنني
كنت أحبه إلى حد ما قبل أن أعرفك. أقل من ذلك هو شأن معظم
النساء مع لورنس. كنت... كنت في الواقع متعلقة جداً به ذات
يوم. لا أعني أنني كتبت له رسائل فاضحة أو أي تصرف غبي مما يرد
في الروايات، ولكنني كنت شديدة الاهتمام به ذات يوم.

- لماذا لم تعبريني؟

- أوه! لأنني... لا أدري في الواقع، باستثناء... باستثناء أنك
تكون أحسن أحياناً في بعض الأمور. لمجرد أنك أكبر مني بكثير
فأنت تظن أنني... أنني قد أحب رجلاً آخر. رأيت أنك ربما
تصرفتي بشكل مزعج تجاه صداقتي مع لورنس.

قلت وأنا أتذكر ما قالته لي في تلك الغرفة منذ أقل من أسبوع
وانطريقة الذكية التي تحدثت بها: إنك ذكية جداً في إخفاء الأمور.

- نعم، كنت دوماً قادرة على إخفاء الأمور.. وأكد أحسن - نوعاً
ما - ياسي أحب القيام بذلك.

كانت في صوتها رنة فرح طفولي.

- ولكن ما قلته صحيح تماماً. لم أكن أعرف أمر علاقته بأن،
وتصحت من التفكير الكثير لدى لورنس، ومن عدم.. ومن عدم ملاحظته
لي. ثم أعند على ذلك!

ساد شيء من الصمت. ثم قالت غريزلدا بلهفة: أنت تفهمني،
ليس كذلك يا لين؟

قلت: نعم، أنا أفهمك.

ولكن هل فهمتها حقاً؟

• • •

الحرية؟ فإذا كانت قد أعطت وقتها في راحة النهار فكيف لها أن تميزني في ضوء القمر؟ إن طريقة تصرف هؤلاء المحاكز هنا شريفة. إنهم على استعداد لقول أي شيء، فيما أنا نائمة في سوري بركة من كل كلامهم. عليكم أن تخطئوا من أنفسكم، أنتم جميعاً.

- وإذا ميزت صاحبة فندق بلو بور الحقة على أنها حقيقتك يا آنسة كرام؟

- إن قالت شيئاً من هذا القيل فهي معطلة. ليس على الحقيقة اسم، ولدى الجميع تقريباً حقة مثلاً. وما للدكتور ستون المسكين، تنهونه هكذا بأنه سارق من الرعايا وهو الذي يحصل العديد من الأخطاء.

- إذن فأنت ترفضين إعطاءنا أي تفسير يا آنسة كرام؟

- ليست المسألة مسألة رفض. لقد ارتكبتم خطأ، هذا كل ما في الأمر... أنتم ومحاكزكم الفضوليات من أمثال الآنسة ماربل. لن أقول كلمة واحدة فوق ذلك... ليس قبل أن يحضر معلمي. أنا ذاهبة في هذه اللحظة... إلا إن كنتم ستعتقلوني.

وحولاً على ذلك نهض المفتش وفتح لها الباب فخرجت وهي تهز رأسها.

قال سلاك وهو يعود إلى مقعده: ذلك هو المنحى الذي اتبعته: الإنكار الكامل. وفلك المحوز ربما كانت قد أعطت بالطبع. ما من هيئة محلفين ستصدق أن بوسعت أن تميز شخصاً من ذلك المبدع تحت ضوء القمر... قد تكون المحوز معطلة كما قلت.

الفصل الخامس والعشرون

وحدث صعوبة في التوصل من الانطباع الذي تركته الرسالة المعطلة من التوقيع، فالفار يُلَوَّت كما يقال. ولكنني جمعت ثمرات الثلاث ونظرت إلى ساعتني ثم انظفت وأنا أتساءل عن ذلك الشيء الذي "وصل إلى مسمع" ثلاث نساء في وقت واحد. وحسبت أن ذلك الشيء لا بد أن يكون نفس العصر، ولكن قُدر لي أن أدرك أنني كنت معطلة في ذلك.

لا أستطيع الادعاء بأن زيارتي كانت تستدعي المرور أمام مركز الشرطة، ولكن قسمني انشدتاً إلى هناك تلقائياً. كنت متعبة على معرفة ما إذا كان المفتش سلاك قد عاد من أولد هول.

وحدث أنه عاد فعلاً من هناك، وعادت الآنسة كرام معه. كانت غلايس الحميطة حاضرة في مركز الشرطة تأخذ الأمور من موقع المتفرج، فقد أنكرت تماماً أنها أخذت الحقة إلى الغاية.

قالت: لمجرد أن واحدة من تلك المحاكز الثرائيات لا عمل لها إلا أنظر من نافذتها طوال الليل تأتون أنتم وتختاروني أنا. ألا تذكرون أنها أعطت مرة عندما قالت إنها رأيتني عند نهاية الممشى عصر يوم

- ربما، ولكنني لا أظنها أعضاء؛ إذ عادة ما تكون الأنسة ماربل على صواب، وهذا ما يجعلها غير محبوبة.

ابتسم المفتش وقال: هذا ما يقوله هيرست. يا لهذه القرى!

- ماذا عن الأواني الفضية أيها المفتش؟

- تبدو طبيعية تماماً، وهذا يعني بالطبع أن واحداً منها هو المزيف دون شك. في بلدة نيش بينهم رجل شديد الحذق يُعتبر خبيراً في شؤون الفضة، وقد اتصلت به وأرسلت له سيارة تحضره. وسنعرف قريباً أي الأواني هي المزيفة. إما أن تكون السروقة حريصة نمت، أو تكون في مرحلة التعتيق فقط. وهذا لا يغير من الأمر كثيراً، أعني قدر تعلق الأمر بنا... فالسروقة أمر جين مقارنة بالمفتش. ربما يجب على طرف خفيف حوله من دلال افتاة... لهذا نركبها فذهب دون إثارة المزيد من الضجة.

- أمر عجيب!

- سيكون السيد ريدنج، إنك لا تعد دوماً رجلاً يذل كل ما في وسعه لبيديك معروفة.

قلت وأنا أبتسم قليلاً: نعم، أحسب ذلك صحيحاً.

قال المفتش واعظاً: انشاءً بين الكبير من المتاعب.

نهد ثم مضى قائلاً عبارة أدهشتني قليلاً: ولدينا أرشتر مانض.

- أوه! هل فكرت فيه إذن؟

- طبعاً، منذ البداية. لم أكن بحاجة إلى أية رسائل مفضلة من

التوقيع حتى أتعب أمره.

قلت بجدية: رسائل مفضلة؟ أوفد استلمت رسالة مفضلة إذن؟

- هذا ليس جديفاً... تسلم منها دمنة يوماً على الأقل! نعم، أحدهم أخبرنا عن أرشتر، كما لو أن الشرطة لا يستطيعون البحث بأنفسهم! كان أرشتر موضع شبهة منذ البداية. المشكلة في الأمر أن لديه دليل غياب عن مكان الجريمة وقت وقوعها. ليس معنى ذلك أن هذا بهم كثيراً، ولكنها حجة غياب يصعب دحضها.

- ماذا تعني بقولك إن ذلك لا بهم كثيراً؟

- يبدو أنه كان مع اثنين من أصحابه طوال فترة ما بعد الظهور. وهذا لا يلزم به كثيراً كما قلت، لأن رجلاً مثل أرشتر وأصدقائه مستعدون للإدلاء بأية شهادة وحلف أغضب الأسيان عليها. لا أحد يصدق كلامهم. هذا معروف بالنسبة لنا نحن، ولكنه غير معروف لعامة الناس، وحيث المحلفين تؤخذ من عامة الناس، وهو ما يؤسف له. فهم لا يعرفون شيئاً، ويصدقون في الغالب الأهم كل ما يقال على منصة الشهود بغض النظر عما يقوله. وبالطبع فإن أرشتر شخصياً سيحلف حتى تشرق نهاره بأنه لم يرتكب الجريمة.

قلت مبتسماً: إنه ليس ممن يقدمون المعروف كالسيد ريدنج.

قال المفتش كمن يطلق حفيقة لا مراء فيها: إلا أرشتر.

- أحسب من الطبيعي أن يتمسك المرء بالحجة.

قال المفتش بتعجب: سندعش لو عرفت كم من القلفة أنكسوا

من العقاب نتيجة رقة قلوب هيناث المحلفين.

- ولكن هل ترى حقاً أن آرثر هو القتال؟

لقد لغت انتباهي منذ البداية أمر غريب هو أن المفتش سلاك لا تبدو لديه أية وجهات نظر خاصة بشأن جريمة القتل. كل ما كان يهتم به - كما يبدو - الحصول على حكم قضائي.

وها هو الآن يعترف قاتلاً: أود أن أكون أكثر نقة بشأنه... أن أحصل على بصمات أو آثار أقدام أو علي شاهد شاهده قرب مسرح الجريمة. لا أستطيع المحازفة باعتفاله دون شيء من هذا القبيل. رآه بعضهم مرة أو مرتين قرب منزل السيد ريدنج ولكنه يقول إنه كان هناك للمحدث مع أمه، وهي امرأة لا غبار عليها. لا، إنني لمهل عموماً إلى الارتباب بالسيدة ليسترينج. لو قدر لي فقط الحصول على أي دليل على الابتزاز... ولكن يبدو أن المرة لا يستطيع الحصول على أي دليل محدد في هذه الجريمة؟ كلها نظريات... نظريات؟ من المؤسف عدم وجود أية مجوز عائس نعيش أمام الطريق المنفضي إلى بيتك يا سيد كليمنت، وإلا لكنت راكنت أنها كانت متشاهد شيئاً ما، إن كان هناك ما يشاهد.

ذكرتني كلماته بزيارتي قمتأذنته. كانت هذه المرة هي المرة الوحيدة تقريباً التي أراه فيها في مزاج ودي.

كانت زيارتي الأولى للآنسة هارنتيل. ولا بد أنها كانت تراقبني من النافذة! لأنها فتحت الباب الأمامي قبل أن تخرج الحرس. ثم أمسكت بيدي وفادتني وأنا أعبر عتبة الباب قائلة: جميل منك أن تأتي. تفضل هنا... هنا أكثر انعزلاً وخصوصية.

دخلنا غرفة بلغة الصغر. أغلقت الآنسة هارنتيل الباب وأشارت لي - بشكل يوحي بالسرية - بالجلوس على واحد من الكراسي الثلاثة التي لا يوجد غيرها في الغرفة. أدركت أنها مستمتعة بما تفعله. قالت بصوتها المبتهج: لست ممن يحبون التلف والتدوران. ثم خفضت صوتها انسحاباً مع متطلبات الموقف وقالت: أنت تعرف كيف تنتقل الأخبار في قرية كهذه.

- أعرف مع الأسف.

- أوافقك الرأي، فلا أحد يكره القيل والقال أكثر مني، ولكن ليس بالبد حيلة. لقد رأيت أن من واجبي إبلاغ مفتش الشرطة أنني مررت بزيارة السيدة ليسترينج عصر يوم الجريمة وأنها لم تكن في بيتها. إنني لا أتوقع الشكر على ناديه واجبي، بل أكتفي بتأديته؛ فشكران الجميل هو ما تلاقيه أولاً وأخيراً في هذه الحيافا بالأسف فقط مثلاً قامت تلك السيدة الواقعة بيكر...

فأعلمتها على أمل تحب سماع تلك المعروفة الطويلة: نعم، نعم. هذا مؤسف جداً، مؤسف جداً، ما الذي كنت تقولينه؟

- إن الطبقات الدنيا لا تعرف أصدقاها الحقيقيين. إنني دائماً ما أخرج الرأي الذي أراه مناسباً عندما أזור أحداً، رغم أن أحداً لم يشكرني أبداً على ذلك.

استمعته قائلاً: كنت تتحدثين عن زيارتك للسيدة ليسترينج؟

- بالضبط... وبالنسبة، فإن المفتش لم يشكرني حين أخبرته بذلك، بل قال فقط إنه سيطلب المعلومات عندما يحتاجها. لم تكن

تلك كلماته بالضبط، ولكن هذا هو فحوى حديثه. ثمة طبقة جديدة من الرجال في سلك الشرطة هذه الأيام.

- هذا ممكن، ولكنك كنت تصعد قول شيء ما، أليس كذلك؟

- قررت ألا أفترق هذه المرأة من أي مفتش تعيس. إن رجل الدين يفتي رجلاً مهذباً في نهاية الأمر.. بعضهم على الأقل مهذبون.

فهمت - ضمناً - أن هذا الوصف يفترض أن بشملي. قلت لها: إن كان يوسعي مساعدتك بأي شكل...

- إنها مسألة واجب.

أغلقت فيها ضجأة، ثم عادت لأقول: لا أريد أن أضطر لقول مثل هذه الأمور، فلا أحد يكرهها مثلي، ولكن الواجب هو الواجب.

انتظرتُ فمضت الأنسة هارنيل تقول وقد احمر وجهها: فهمت أن السيدة ليسترنج أعلنت أنها كانت في البيت طوال الوقت، وأنها لم تحب على قرع الباب لأنها... لأنها لم ترد ذلك. بما لذلك التفاعل الفارغ! إنني لم أزرها إلا من باب الواجب، ويتبني التعامل مع الأمر على هذا الأساس!

قلت بشيء من اللطف: لقد كانت مريضة.

- مريضة؟ هراء! أنت غارق كثيراً في حسن الظن يا سيد كليمنت! فتلذ المرأة لا تعاني من شيء. فدعي أنها مريضة بحيث لا تستطيع حضور التحقيق، وشهادة طبية من الدكتور هيدوك أبعث! إن يوسعها أن تتحكم به كما تشاء... الجميع يعلمون ذلك. حسناً.

أين وصلنا في الحديث؟

لم أكن أعرف تماماً أين وصلنا؛ فمن الصعب - في حالة الأنسة هارنيل - أن يعرف المرء أين ينتهي السرد لديها وأين يبدأ التهجم على الناس. قالت: نوره، نعم، حول زيارتي لها عصر ذلك اليوم. هراء قولها إنها كانت في المنزل؛ إذ لم تكن هناك. إنني أعرف ذلك.

- ولكن كيف لك أن تعرفي؟

تزداد احمرار وجه الأنسة هارنيل. ولو كان ذلك عند امرأة لفل وحشية لأمكن وصف حائلها بأنها مُحَرَّجَة. قالت: لقد دققت الباب وقرعت الحرس مرتين، إن لم يكن ثلاث مرات... وقد عظم لي فحاة أن الحرس قد يكون عاطلاً.

أسعني أن ألاحظ أنها لم تكن قادرة على النظر إلى وجهي وهي تقول ذلك. إن بناء واحداً هو الذي بنى بيتنا جميعاً، والأحراس التي ركبها تُسمع بشكل جيد من قبل الشخص الذي يفرعها خارج الباب الأمامي. وأنا والأنسة هارنيل نعرف كلانا هذه الحقيقة تماماً، ولكني ظننت أن من الضروري الإبقاء على شيء من اعتبارات اللياقة. تمتعتُ فأتلاً: نعم؟

- لم أشأ أن أدخل بطلقتي في فتحة الرسائل في الباب بحيث أرى ما في الداخل، فذلك تصرف وفتح تماماً. وما أنا بالواقعة. أدلت بهذا التصريح المدهش دون أن يعرف لها حفر. وهكذا رأيت أن أحوار قليلاً حول البيت... وأفرع على مصراع النافذة.

ثم أكملت دون حرج: دوت حول البيت كله ونظرت من

جميع التوافد فلم أحد أحداً في البيت أبداً.

فهمتها تماماً. فقد اغتنمت الأنسة هارتيل فرصة فراغ البيت فأطلفت لفضولها العنان وأخذت تسجول حول البيت متفحصة الحديقة ومتلصصة عبر النوافذ لترى كل ما يمكنها رؤيته داخل البيت. وقد اعتادت أن تحكي قصتها لي أنا، فلما منها أنني سأكون مستمعاً أكثر تعاطفاً ورحمة من الشرطية؛ إذ يُفترض أن يمنع رجال الدين وعلمائهم موزة حسن الظن.

لَمْ أَعْلَقْ عَلَى الموقف، بل اكتفيت بالسؤال: في أي وقت كان ذلك يا أنسة هارتيل؟

- لا بد أن الساعة كانت تقرب من السادسة حينما أتذكر؛ لقد عدت بعدها مباشرة إلى البيت، ووصلته في حوالي السادسة وعشر دقائق. وقد جاءني السيد بروتشور في حوالي السادسة والنصف تاركة الدكتور ستون والسيد ريدنج في الشارع، ونعدتنا عن زراعة بعض الزهور. وكان الكولونيل المكيين طوال الوقت يقبع هناك مقتولاً... إنه عالم حزين!

- نعم، إنه عالم كرهه أحياناً.

نهضت قائلاً: وهذا كل ما نريدين إخباري به؟

- لقد خطر لي فقط أن ذلك قد يكون هاماً.

- ربما.

استأذنت وانطأ المزيد من الإلهاء، مما سبب حيرة أمل للأنسة

هارتيل. استقبلتي الأنسة وخرسي - التي كانت التالية في جدول زيارتي - بشيء من الارتباك: يا عزيزي الكاهن، كم هو لطيف منك. هل تناولت الشاي؟ أحقاً لا تريد وسادة لظهرك؟ لطيف بالغ منك أن تأتي بهذه السرعة. دوماً تتحمل المشقات من أجل الآخرين.

سمعت للكثير من هذا الحديث قبل أن نصل إلى الهدف من الزيارة، وحتى بعد الوصول إلى ذلك الهدف لم يتم التقرب منه إلا بكثير من المراوغة الكلامية. قالت: ينبغي أن تعلم أنني سمعت هذا من أفضل مصدر موثوق.

(إن أفضل مصدر موثوق في صيت مهري مبد يكون عادة خادمة لدى منزل آخر!)

- ألا نستطيع إخباري بمن أهلك؟

- لقد قطعت عهداً يا سيد كليمنت، وأنا أرى دوماً أن العهد ينبغي أن يكون شيئاً مقدساً.

بدت حازمة تماماً. قالت: لماذا لا نقول إن عصفورة صغيرة أخبرني؟ لكن يكون ذلك أسلم؟

كان بودي أن أقول: "هذا صحيح جداً"، وليتني قلت ذلك؛ إذ كنت أحب رؤية أثر ذلك على الأنسة وخرسي.

- حسناً، ظلت تلك العصفورة الصغيرة إنها رأت سيدة معينة، لن تذكر لها اسماً.

- أهي عصفورة أخرى؟

وللهشيتي الشديدة انفجرت الأنسة وذري في نوبة ضحك هادرة وروبت على ذراعي عابث وقالت: أوه أيها الكاهن، لا تكن شقياً!

وعندما استردت أنفاسها مضت قائلة: سيدة معينة... وأبين تغلن تلك السيدة كانت ذاهية؟ لقد التفت لتدخل في الطريق المؤدي إلى بيتك، ولكن قبل أن تفعل ذلك نظرت بمنة وبسرة إلى الطريق بشكل غريب جداً... لتري إن كان أحد تعرفه قد رآها كما أظن.

- وماذا عن العصفورة الصغيرة...؟

- كانت تزور بائع السمك... في الخرفة فوق المحل.

أعرف أين تذهب العاديات في أيام عطلةهن! مضت الأنسة وذري قائلة بأسلوب غامض وهي تسبحي للأمام: وكان الوقت قبل الساعة السادسة بقليل.

- في أي يوم؟

أطلقت الأنسة وذري صرخة ضعيفة وقالت: في يوم الحريمة طبعاً، ألم أقل لك ذلك؟

- لقد استنتجته. وما هو اسم السيدة؟

قالت وهي تومئ برأسها عدة مرات: اسمها يبدأ بحرف "ل".

نهضت وأنا أشعر أنني حصلت على كل ما تريد الأنسة وذري الإفضاء به. قالت بشكل بنير الشفقة وهي تمسك يدي يديها كليهما: لا أظنك ستدع الشرطة تحقق معي، أليس كذلك؟ إنني أكره العلنية الفاضحة، فكيف بالوقوف في محكمة؟

قلت: "إنهم يسمحون بالحلوس في حالات خاصة". ثم هربت.

ما زال عليّ أن أرى السيدة برايس ريديلي. وقد تدفقت تلك السيدة بالحديث على الفور، فقد قالت بعدما صافحتني بيروود: إن أتورط في أي أمر يخص محاكم الشرطة... أنت تفهم ذلك؟ ولكنني رفعت على أمر يحتاج إلى تفسير وأظن من الواجب إعطاء السلطات به.

- هل يتعلق الأمر بالسيدة ليسرينج؟

سألت السيدة برايس ريديلي بيروود: ولماذا يتعلق بها؟

حشرتني في زلوية بهذا السؤال. ثم مضت قائلة: الأمر بسيط جداً. فعادتي كلارا كانت تقف عند البوابة الأمامية، ذهبت هناك لوضع دفاتق... لتستشق بعض الهواء النقي كما تدعي هي. ولا أظن ذلك صحيحاً، فالأرجح أنها خرجت لتبحث عن صبي بائع السمك - إن كان يسمى نفسه صبياً - ذلك الشاب الوقح الذي يظن أنه يستطيع معارضة كل الفتيات لمجرد أنه في السابعة عشرة من عمره. على كل حال، كانت واقفة عند البوابة فسمعت عطسة.

قلت وأنا أنتظر المزيد: نعم.

- هذا كل ما في الأمر... قلت لك إنها سمعت عطسة، ولا تبدأ في إيجاري بأنني لم أعد شابة كما كنت، وأنني ربما أعطيت؛ لأن كلارا هي التي سمعتها، وهي ما زال في التاسعة عشرة.

- ولكن لماذا يفترض ألا تسمع عطسة؟

نظرت السيدة برايس ريديلي إليّ في إشفاف واضح لقلعة عقلي

ثم قالت: لقد سمعت عطسة في يوم وقوع الجريمة، وفي وقت لم يكن فيه أحد في بيتك. لا شك أن القتيل كان معتباً بين الشجيرات ينتظر فرصته. إن ما عليك البحث عنه هو رجل مصاب بالزكام.

- أو شخص يداني من حمى القش! ولكن الحقيقة يا سيدني هي أن لهذا اللغز حللاً شديداً البساطة؛ فقد كانت خادمته، ماري، تعاني من زكام حاد جداً. ولا بد أن عطستها هي ما سمعته خادمك.

قالت السيدة برايس ريدلي بحزم: كانت عطسة رجل، كما أنك لا تستطيع سماع عطسة خادمك في المطبخ وأنت تقف عند بوابة

- إنك لا تستطيعين أيضاً سماع عطسة أحد في المطبخ وأنت عند البوابة... أو لنقل إنني أشك كثيراً في مثل هذا الاحتمال.

- لقد قلت إن الرجل ربما كان معتباً بين الشجيرات، ولا شك أنه استطاع - بعد دخول كلارا - أن يدخل عبر الباب الأمامي.

- حسناً، هذا ممكن بالطبع.

حاولت ألا أجعل في صوتي لهجة استرضاء وتهذبة، ولكنني فشلت على ما يبدو، لأن السيدة برايس ريدلي حددت في فحاة وقالت: إنني معتادة على عدم إصغاء الناس إليّ، ولكن بوسعي أن أذكر أيضاً أن ترك مضرب تنس مرمياً حكماً دون اهتمام على العشب، ودون غطاؤه الواقعي، يناف ذلك المضرب تماماً. ومضارب التنس غاية جداً هذه الأيام.

لم يد لي وجود منطق أو معنى في هذا الهجوم الخجائي... وقد حيرني ذلك أشد الحيرة.

قالت السيدة برايس ريدلي: ولكنك قد لا تتفق معي؟

- أوه! إنني أتفق معك... بالتأكيد.

- أنا سعيدة بفطك. حسناً، هذا كل ما لديّ. لقد غسلت يدي من الأمر كله.

استندت إلى ظهر كرسيها وأغمضت عينيها وكأنها سمنت هذا العالم. شكرتها واستأذنت بالرحيل. وعند الباب نهرأت وسألت كلارا عما فاكه سيدنها فقالت: صحيح تماماً يا سيدتي، لقد سمعت عطسة، ولم تكن بالعطسة العادية... ولا بأي شكل.

ما من شيء يكون عادياً أبداً في الجرائم. فالطفلة لم تكن طليقة عادية، والعطسة لم تكن عطسة عادية. ولا أحسبها كانت إلا عطسة قاتل عاصف! سألت الفتاة عن وقت سماعها لذلك، ولكن إجابتها كانت غامضة تماماً، قالت إن ذلك حدث في وقت ما بين السادسة والربع والسادسة والنصف كما نظن. وعلى أية حال، كان ذلك قبل أن تتلقى سيدني تلك المكالمات الهائلة وتضخم بها.

سألتها إن كانت قد سمعت طلقة من أي نوع، فبالت إن الطفلة كانت امرأة فظيعة. بعد ذلك لم أعد أصدق الكثير من أقوالها.

كنت على وشك الانعطاف لدخول بوابة بيتي عندما قررت زيارة صديق لي. نظرت إلى ساعتني فوجدت أن لديّ الوقت الكافي. مشيت الطريق إلى منزل هينوك، وعرج إلى عتبة البيت لاستقبالي.

لاحظت محدداً مقدار ما يبدو عليه من المفلق والضنى. وقال محياً: إنني سعيد برؤيتك، ما هي الأخبار؟

أخبرته بأخر انظورات المتعققة بالدكتور ستون، ففطن قاتلاً:
نعم من النضفة الرافية! إن ذلك يفسر الكثير من الأمور. لقد أتقن
موضوعه بعمق، ولكنه كان يقع في بعض الزلات أمامي من وقت
لآخر. لا بد أن برونيرو قد أوقع به في زلة ما... وأنت تذكر ما وقع
بينهما من شجار. ما رأيك بالفتاة؟ أهي متواظفة معه أيضاً؟

- لم يستقر رأيي على ذلك بعد، أما بالنسبة لي فإني أظن أن
الفتاة بريئة. إنها مغفلة من الدرجة الأولى.

- أوه! ما كنت لأقول ذلك. إن في الأنسة كرام شيئاً من حدة
الذكاء، وهي من النوع الذي يتمتع بصحة عامرة لا يستفيد منها أبناء
مهنتي شيئاً.

قلت له إسمي فلان على هاتذ، وإخفي حرمي عني أن يسام
ثباتاً قسماً حقيقياً من الراحة والتغيير. كتاب سلوكه شيء مروع لا
يدرك كنهه عندما كنت ذلك، ولم يبدُ حوايه صادقاً تماماً عندما قال
بيضاء: نعم، أظن أن ذلك سيكون أفضل شيء. ولد مكبراً!

حسبك لم تكن نجيح.

- لا أجه... ليس كثيراً. ولكنني أسف على كثير من الناس
الذين لا أحبه.

ثم أضاف بعد صمت لحظات: [إنني حزين جداً على انكولونيل
برونيرو. مسكين... لم يحبه أحد كثيراً. كان بالغ الانشغال بامتقانه
الشديدة، مبالغاً في النجاح، وهو مزيج لا يحظى بالحمية. وقد كانت
دوماً هكذا... حتى في شبابه.

- ما كنت أعلم أنك كنت تعرفه منذ ذلك الحين.

- أوه، نعم! عندما كنا نعيش في ويسمورلاند، وكنت أعمل
في منطقة قريبة. كان ذلك منذ زمن طويل... من نحو عشرين سنة.
تهدمت، فمئذ عشرين سنة كانت غريزدا في الخامسة من
عمرها. غريب أمر الزمن!

- أهذا كل ما جئت لتخبرني به يا كليمنت؟

رفعت إليه نظري وقد سفلت. كان هيدوك يراقبني بعينين
حادتين. قال: يوجد شيء آخر، أليس كذلك؟

أومات براسي بالإيجاب. لم أكن قد حزمت أمري عندما
جئت إلى هنا إن كنت سأفكلم أم لا، ولكنني قررت الآن أن أفكلم.
إنني أحب هيدوك أكثر من أي رجل أعرفه، فهو رجل رائع من جميع
الوجه. شعرت أن ما سأقوله قد يكون مفيداً له.

أعادت عليه سرد قصة مفاتيح للأنسة هارثويل والأنسة وفري.
وفي صامتة لفترة طويلة بعد أن تكلمت كلامي، ثم قال أخيراً: هذا
صحيح تماماً يا كليمنت، لقد كنت أحاول حماية السيدة ليسترينج
من أي إزعاج يمكنني حمايتها منه، والحقيقة أنها صديقة قديمة لي،
ولكن هذا ليس سببي الوحيد. فتلك الشهادة الطبية التي أصدرتها
لها لم تكن زائفة كما تظنون جميعاً.

سكت قليلاً ثم قال بنهم: اكتم الأمر بيتا يا كليمنت...
السيدة ليسترينج متلاقي قدرها المحتوم.

- ماذا؟

- إنها امرأة نموت، ولا أظنها تعيش أكثر من شهر على أبعد تقدير... فهل تعجب - بعد ذلك - إن أردت حمايتها من المساءلات والاضغوط؟ ثم مضى يقول: عندما التفت إلى هذا الطريق في ذلك المساء فإنما كانت قادمة إلى هنا... إلى هنا البيت.

- ولكنك لم تقل هذا من قبل.

- لم أرد إثارة الأقاويل. إنني لا أستقبل مرضى بين السادسة والسابعة، والجميع يعرف ذلك. ولكن نرى بأنها كانت هنا.

- ومع ذلك لم تكن هنا عندما جئت إليك... أعني عندما اكتشفنا الجثة.

هذا مضطرباً وقال: نعم، كانت قد غادرت... لكني بموعد لها.

- أين كان موعدنا؟ في بيتها؟

- لا أدري يا كليمنت... بشرفي لا أدري.

صدفته، ولكن... قلت له: وافترض أن رجلاً يريد أن قد شئت؟

- كلا، لن يشتق أحد بسبب مقتل بروثير. أؤكد لك ذلك.

لم أستطع تصديق ذلك، ولكن كانت الثقة في صوته عظيمة جداً. كرر كلامه قائلاً: لن يشتق أحد.

- إن هذا الرجل آرتشر...

فاطمني بإشارة نفاذ صبر من يده وقال: ليس له من الفضل ما يجعله يسمح البصاات عن المسكن.

قلت يارنيامي: "ربما". ثم أخرجت من جيبى قطعة الكريستال البنية التي وجدتها في الغابة ومددت يدي بها إليه، وسأله ما هي.

تردد قائلاً: عظم، يبدو أشبه بحامض البكريك. أين وجدتها؟

- هنا سر شيرلوك هولمز.

أقسم فسأله: وما هو حامض البكريك؟

- إنه مادة متفجرة.

- نعم، أعرف ذلك، ولكن له استخداماً آخر، اليس كذلك؟

أوما برأسه موافقاً وقال: إنه يُستخدم طبياً... في محلول من أجل الحروق... مادة عجيبة.

مددت يدي، فأعادها إلي بشيء من التردد.

- ربما لا تكون لها أهمية كبيرة، ولكني وجدتها في مكان غير طبيعي نوعاً ما.

- نحن نعتبرني أين؟

وبشيء من الصيانة امتنعت عن إخباره. إن كانت له أسرار، فستكون لي أيضاً أسرار... فلقد شعرت بشيء من الإهانة لأنه لم يسمح لي بما في صدره بشكل كامل!

• • •

وقالت: لين، لقد كنتَ قفطياً الليلة. لم... لم يعجبني ذلك. لم
أسمعك أبداً تحطّب بهذا الشكل من قبل.

قلت: ولا أحبك منسّمعتي بعدها أبداً! ثم ألقيت بنفسي
على الأريكة ستماً فقد كنت متعباً.

- ما الذي جعلك تفعل ذلك؟

- سيطر علي جنون مفاجئ.

- لو! كم... ألم يكن في الأمر شيء خاص؟

- ماذا تعنين... شيء خاص؟

- كنت أتساءل... هذا كل ما في الأمر. إن لك طبعاً لا
يمكن التنبؤ به أبداً يا لين، لا أشعر أبداً بأنني أعرفك حق المعرفة.

جلسنا لتناول عشاء بارد، إذ كانت ماوي عارضة. قالت
غريزelda: تلك رسالة في الصناديق. هل لك أن تحضرها يا دينيس؟

امتثل دينيس الذي كان ساكناً طوال الوقت. أعيذت الرسالة
وأنا أدمدم. كان مكتوباً في الزاوية العليا إلى اليسار: باليد... عاجل.

قلت: لا بد أنها من الأنسة ماربل، إذ لم يبقَ غيرها.

وقد كنت مصيباً تماماً في افتراضي. قرأت:

عزيزي السيد كليمنت،

أود كثيراً التحدث إليك بشأن بعض الأمور التي حدثت
معي. أشعر أن علينا جميعاً أن نحاول المساعدة في حل هذا

الفصل السادس والعشرون

جاء وقت الموعظة المسائية التي وعدت هاويز أن أقيمها نيابة
عنه. وفقت حلف المنصة ونظرت... كانت الكنيسة ممتلئة بشكل غير
معتاد. كان هيدوك هناك، وهو أمر غير معتاد منه، وكذلك لورنس
ريدينغ، ولدهنتي رأيت بجانبه وجه هاويز المتعب المشاحب. وكانت
آن برونبرو حاضرة، وغلاديس كرام، ولقد أدهنتي أكثر أن أرى
لييس أيضاً. ولا أظنني بحاجة إلى القول إن السيدة برايس ريدي
والأنسات هارنيل وودربي وماربل كنَّ هناك بكامل فواهن. كانت
أهل القرية جميعاً حاضرون، لا يكاد الممرء يستني من ذلك
أحداً... وقد وصلتُ إلى نتيجة مفادها أن الجميع قد جاؤوا ليردوا من
أني غيرهم، وربما ليبتاهلوا بعض الأقاويل في رواق الكنيسة لاحقاً.

كان الموضوع الذي ركزت عليه في سوعظتي - تلك الليلة -
هو الدعوة إلى التوبة من الذنوب والشجوف من الإصرار عليها، وقد
أحسست أنني كنت مؤثراً جداً ومتدفقاً بشكل مختلف طبيعي
المعتادة في الوعظ، ووجدتني - أكثر من مرة - أرفع يدي مستكراً
مكرراً عبارة: "إني أعاطبك أنت أيها المخطئ!". وحين عدت إلى
البيت وجدت غريزelda شاحبة بعض الشيء. دسّت فرائعها تحت فراشي

الفر يوسف. سوف أتيت -إلا سمحت- نحو الساعة والنصف وأدق على الباب الزجاجي لغرفة مكتبك وربما تلفت غريزدا وديس منمحيء إلى هنا لتبلى من أنتى. إن لم ألتق منك حواياً فسأتوقع حضورهما وسأني أنا في الوقت الذي ذكرته.

المناسبة: جن ماريل

أعطيت الرسالة لغريزدا، فقرأتها وقالت بفرح: أوه، سذهب! فلا أفضل من السر في مثل هذه الأسى. أظن أن حلويات ماروي الثقيلة هي التي تحصر على أنقاسنا، فقد كانت بخبة تماماً.

بدأ أن المشروع لا يروق لديس بنفس الدرجة، فقد شكاً قائلاً: الأمر رائع بالنسبة لك، إذ يوسعك أن تتكلمي عن الفن والكتب، أما أنا فأشعر بأنني مغفل تماماً وأنا حالي أصفي إليكما.

أصابت غريزدا بهدوء: هذا جيد بالنسبة لك، فهو يوسعك في مكانك الصحيح، ولكني لا أرى ريموند وست بالغ الذكاء كما ينبغي.

قلت: فليولن جداً بيتنا من هم بالغو الذكاء.

تساءلت كثيراً ما هو بالضبط ذلك الأمر الذي ترغب الأنسة ماريل بالتكلم فيه معي. إنني أعتبر الأنسة ماريل الأذكى من بين كل النساء في القرية، ولا يقتصر الأمر على رؤيتها وسماحتها لكل من يجري عملياً، بل إنها تستنتج من الحقائق التي فلا حظها استنتاجات مذهلة في برعتها وأخذها كل المتناقضات بحس الإعتبار. ولو أنني أردت القيام في أي وقت بعملية خداع لكنت الأنسة ماريل هي من سأنتشاه!

بدأ ما أسته غريزدا بحفلة التسلية بعد الساعة التاسعة بقليل، وبينما كنت أنتظر وصول الأنسة ماريل أخذت أتسلى بوضع ما يشبه الجدول للحقائق المترتبة بالحريمة، وقد رتبت تلك الحقائق -قدر الإمكان- حسب التسلسل الزمني لوقوعها. إنني لست امرئاً شديد الدقة في مسألة الوقت، ولكني امرؤ مرتب، وأحب تسجيل الأمور بشكل منهجي.

في التاسعة والنصف تماماً سمعت طرفة عفيفة على الباب الزجاجي، فنهضت وأدعيت الأنسة ماريل. كانت تضع على رأسها وكتفها وشاحاً صوفياً رالماً، وبدت كبيرة السن ضعيفة. دخلت وهي تلعثم بالكثير من تعبارات المترددة.

- جميل جداً منك أن تسمح بقدمي... وجميل جداً من غريزدا أيضاً... كلا، لا أحتاج شيئاً لرحلي.

وضعت وشاحها الصوفي على أحد الكرسي وعلمت لأجلس على كرسي قبالة ضيفتي. تبادلنا النظرات، ثم ارتست على وجهها فحاة الانسامة احتجاج صغيرة وقالت: أشعر أنك تتساءل حول ربيب لماذا أنا مهتمة كثيراً بهذا الأمر. وربما ظننت ذلك منافضاً تماماً لطبيعة النساء. كلا، رجاء... أود أن أشرح الأمر إذا سمحت لي.

توقفت لحظة وقد احمرت وجتاهاء، ثم قالت أخيراً: الأمر أن حياة المرأة بمفرده -كما أعيش أنا- في منطقة معزولة من العالم، تطلب من أن يشغل نفسه بهواية ما. توجد بالطبع حياة للصوف، ولعمل فكشفي النسوي، والخصيمات العبرية، ولكن هوايتي أنا كانت -وسبق- دراسة لطبائع البشرية؛ فهي شديدة التنوع

وممتعة جداً. وبالطبع فإن لدى المرأة - في قرية صغيرة ليس فيها ما يشغله - فرصة كبرى ليصبح ضليعاً في دوائيه تلك. يبدأ للمرأة بتصنيف الناس، بشكل محدد تماماً، كما لو كانوا طيوراً أو أرهطاً: المجموعة الفلانية، وهذا النوع، وتلك الفصيلة. وأحياناً يخطئ المرأة بالطبع، ولكن الأخطاء تقل مع مرور الزمن. وهكذا أيضاً يختبر المرأة نفسه؛ يأخذ مشكلة صغيرة... مثلاً: قصة تلك السلسلة التي كانت تحتوي على الروبيان المتفني، والتي تفرح لها بالعزيزة غريز لما كثيراً... لفر لا أهمية له إطلاقاً، ولكنه غامض تماماً ما لم يحله المرأة بالشكل الصحيح. وأيضاً دواء السعال الذي تم استبداله، ومظلة زوجة الحزاز... إن من الممتع جداً أن يحرب المرأة أحكامه ويحدد أنه كان معيباً.

قلت منسماً: أفنك مصيبة دائماً.

اعترفت الأنسة ماربل قائلة: أعشى أن ذلك قد جعلني مغرورة قليلاً. ولكنني كنت يوماً أنسايل إن كنت سأستطيع القيام بنفس الشيء إذا ما واجهني لغز كبير حقاً في يوم ما. أعني.. إن كنت ساحل اللغز بشكل صحيح. لا بد - منطقياً - أن يكون الحال واحداً. إن نموذجاً مصغراً للطوربيد هو في نهاية المطاف كالطوربيد الحقيقي.

قلت ببعد: نعين أن المسألة نسبية. اعترفت أنها ينبغي أن نكون كذلك... منطقياً، ولكنني لا أدري إن كانت حقاً كذلك.

- الحال واحد دون شك... إن العوامل - كما كنا نسعيها في المدرسة - هي نفس العوامل: المال، وانحطاب الرجال والنساء كل إلى الآخر، وغرابة الأطوار... إن لدى الكثير من الناس شيئاً من غرابة

الأطفال، أليس كذلك؟ بل إن أغلب الناس كذلك عندما تتعمق في معرفتهم. والناس الطبيعيون يقومون بأمور مذهشة أحياناً، وأحياناً نجد غير الطبيعيين في غاية العقل والطبيعة. والحقيقة أن الطريقة الوحيدة هي مقارنة الناس مع أناس آخرين عرفتهم أو صصادقهم. سيدعشك أن تعلم كم هي قليلة الأنواع المحددة للبشر عموماً.

- إنك تخيفيني... أشعر وكأنني موضوع تحت المجهر!

- ما كنت لأحلم طبعاً بقول شيء من هذا للكلونيل مكشيت، فهو شديد السلط، أليس كذلك؟... والمفتش المسكين سلاك... إنه تماماً كشابة في محل أحذية تريد أن تبعلك زوجاً من الأحذية الجلدية لسحرد أن لديها قياسك، غير أبهة لحقيقة أنك تريد في الحقيقة شراء خفافات فقط.

هذا حقاً وصف جيد جداً للمفتش سلاك.

- أما أنت يا سيد كلبينت، فأنا واثقة أنك تعرف عن الجريمة بقدر ما يعرف المفتش سلاك. ولذلك فكرت... إن كان بوسعنا أن نعمل معاً...

قلت: إنني لأستغرب... أحسب أن كلاً منا - في فرارة نفسه - يتجمل نفسه كشيرلوك هولمز. ثم أخبرتها عن تلك الاستدعاءات التي تلقينها عصر ذلك اليوم، وأخبرتها عن اكتشاف أن للصورة التي تم تعزيز وجهها، وأخبرتها - أيضاً - عن موقف الأنسة كرام في مركز الشرطة، ووصفت لها تعرف هيدوك على القطعة الكريستالية التي وجدتتها. ثم أنهيت حديثي قائلاً: بما أنني أنا من عثر على تلك القطعة فإني أرغب بأن تكون مهمة، ولكن ربما لا تكون لها علاقة بالفضية.

- لقد كنت أقرأ في الفترة الأخيرة كثيراً من القصص البوليسية الأمريكية من المكتبة، على أمل العثور على شيء مفيد.

- وهل وجدت فيها شيئاً عن حمض البكريك؟

- قرأت مرة قصة سمّ فيها رجلٌ بـحمض البكريك وفلاتولير بعد أن تم لف المادتين على جسمه كسهم.

- ولكن بما أن أحداً لم يسم هذا، فلا يبدو للأمر علاقة بقضية.

ثم أصرحتُ جدولي وأعطينها إياه قاتلاً: لقد حاولت إعادة تلخيص حقائق القضية بأكبر قدر ممكن من الوضوح.

المحامي، البحادي والعشرون من الشهر الجاري:

١٢،٣٠ ظهر: الكولونيل بروثيرو بغير مواعده من الساعة إلى السادسة والمربع. والغالب أن نصف أهل القرية سمعوه بذلك.

١٢،٤٥: أمر مرة ثمت فيها ولاية الشمس. (ولكن هذا مشكوك فيه، إذ قالت السيدة أوتشر سابقاً إنها لا تتذكر).

٥،٣٠ (تقريباً): الكولونيل والسيدة بروثيرو يمشون سراً في اتجاه القرية بالسيارة.

٥،٣٠: مكالمة مزيفة أحريت معي من غرفة الليوف عند الدواب الشمسية لعنزل أولد هول.

٦،١٥ (أو أقل من ذلك متيقنين): الكولونيل بروثيرو يمشي بيني، وتذهب ماري إلى المكتبة.

٦،٢٠: السيدة بروثيرو تأتي عبر الممشى الخلفي ثم تمر

الحديقة إلى عذاب طرماحي للمكتبة، ولم يكن ملحوظاً وجود الكولونيل بروثيرو.

٦،٢٩: مكالمة للسيدة برايس وينلي ثم إخراجها من بيت لورنس وينغ (كما أنادت البدالة).

٦،٣٠-٦،٣٥: تُسمع طفلة (إذا ما اعتبرنا توقفت المكالمة الهاتفية صحيحاً). تشير شهادة كل من لورنس والسيدة بروثيرو وفدكتور ستون إلى أن الطفلة كانت في وقت أبكر، ولكن ربما كانت السيدة برايس وينلي على حواشي.

٦،٤٥: لورنس وينغ يصل بيتي ويحتر على الحلة.

٦،٤٨: آنا ألقي ملورنس وينغ.

٦،٤٩: أعتبر أنا على الحلة.

٦،٥٥: هيلوك يذهب للحلة.

ملاحظة: شخصان الرصدان لا يوفرن لديهما أي فهرس لمكان وجودهما ما بين الساعة ٦،٣٠ و٦،٣٥ هما الأنسة كرام والسيدة ليسترينج. تقول الأنسة كرام إنها كانت عند القبر الأكري، ولكن ما من تأكيد لذلك. ولكن يبدو أنه استبعدت أمر معقول إذ لا يوجد ما يربطها بالجرمة. السيدة ليسترينج غادرت منزل الدكتور هيلوك لي وقسم ما بعد السادسة لكي تضي مواعدها لها. أيمن كان الموعد، ومع من؟ لا يكاد يُقبل أن يكون مواعدها مع الكولونيل بروثيرو، إذ كان الكولونيل يتوقع أن يتشغل معي. صحيح أن السيدة ليسترينج كانت قريبة من مكان الجريمة ساعة ارتكبتها، ولكن تحيط الشكوك بالوقوع فهي قد تكون لديها نية لا يمتنع عنها، ونظرة المشتش حول الاستزاد لا

يمكنني تحملها، فالسيدة ليست ربح ليست من ذلك النوع من النساء، كما لا يبدو محتملاً حصولها على مجلس لورنس

قالت الأنسة ماريل وهي تومي برأسها استحياءاً: جيتور واضح جداً... واضح جداً بالفعل. إن الرجال يصوغون دوماً مذكرات ممتازة كهذه.

- أتواقينني على ما كتبه؟

- أوه، نعم... لقد رقيت الأمور بشكل جميل.

عندئذ سألها السؤال الذي كنت أنوي طرحه طويلاً الوقت: أنسة ماريل، بمن تشكين؟ لقد كنت مرة إن لديك سبعة أشخاص.

قالت وهي شاردة: نعم. أظن ذلك صحيحاً... أظن كل واحد منا يشك بشخص مختلف. يوسع المرء رؤية ذلك في الحقيقة.

لم تسألني بمن أشك، بل قالت: النقطة هي أن على المرء أن يقدم تفسيراً لكل شيء. كل شيء ينبغي أن يتم تفسيره بشكل مقنع. فإن كانت لديك نظرية تناسب كل الحقائق فمعهها لا بد أن تكون تلك النظرية هي الصحيحة، ولكن ذلك أمر في غاية الصعوبة. لولا تلك الرسالة فقط...

قلت مندهشة: الرسالة؟

- نعم، لقد أخبرتك كما تذكر... تلك الرسالة قد شغلت فكري طوال الوقت. إن فيها شيئاً خطأ على نحو ما.

- ولكن ذلك قد تم تفسيره الآن بالتأكيد! فقد كتبت الرسالة

في السادسة وخمسين وثلاثين دقيقة وساعات يد أخرى - هي يد الفاتل - ووضعت التوقيت المضلل ٦.٢٠ في أعلى الصفحة. أظن ذلك ثابتاً بشكل واضح.

- ولكن حتى في هذه الحال فالأمر كله غير طبيعي.

- لماذا؟

سالت الأنسة ماريل للأمام بلهفة وقالت: اسمع، لقد عبرت السيدة بروثيرو أمام حديقتي كما قلت لك، وذهبت حتى وصلت الباب الزجاجي للمكتب، ونظرت للداعل ولم تر زوجها.

- لأنه كان يكتب على الطاولة.

- وهذا ما هو غير طبيعي أبداً، كان ذلك في السادسة والثلاث. وقد اتفقتنا على أنه ما كان يجلس ويكتب أنه لم يعد قادراً على الانتظار إلا بعد السادسة والنصف... لماذا - إذن - كان يجلس وقتها إلى الطاولة؟

قلت بتسهل: لم أفكر في ذلك.

- دعنا يا عزيزي السيد كليبت نستعرض الأمر مرة أخرى. السيدة بروثيرو تأتي إلى الباب الزجاجي وتظن أن الغرفة فارغة... لا بد أنها ظنت ذلك، وإلا ما كانت تذهب أبداً إلى المرمى لتقابل السيد ويدفع! إذ لن يكون الأمر آمناً عندها. لا بد أن صمتاً مطبقاً كان يحيم عنى الغرفة إن كانت قد حسيها فارغة. وهذا ما يعضنا أمام ثلاثة احتمالات، أليس كذلك؟

- آههههه...

- الاحتمال الأول هو أن يكون الكولونيل بروثيرو مبنياً أساساً من قبل... ولكني لا أظنه الاحتمال المرجح. فهو - بدايةً - لم يكن قد مر على وجوده هناك أكثر من خمس دقائق، وفي هذه الحالة كنت سأسمع أنا أو هي صوت الطفلة، وثانياً: ستبقى لدينا نفس مشكلة جلوسه على الطاولة. الخيار الثاني هو أنه كان جالساً إلى الطاولة يكتب رسالة، ولكن لا شك - في هذه الحالة - بأنها كانت رسالة مختلفة تماماً. لا يمكن أن يكون موضوعها الاعتذار عن عدم قدرته على الانتظار. والاحتمال الثالث...

- نعم؟

- الاحتمال الثالث طبعاً هو أن تكون السيدة بروثيرو على حق، وأن الغرفة كانت فارغة بالفعل.

- أتعتن أن أخرج - بعدما ادخلته ماري الغرفة - ثم عاد لاحقاً؟

- نعم.

- ولكن لماذا عساه يفهم بذلك؟

مدت الأنسة ماريل فروعها في إشارة خيرة، فقلت: إن ذلك سمعني المنظر إلى القضية من زاوية مختلفة تماماً.

- غالباً ما يضطر المرء للنظر من زوايا أخرى في كل الأمور... ألا تعتقد ذلك؟

لم أجبها. كنت أستمع في عقلي بدمية الحيارات الثلاثة التي اقترحتها الأنسة ماريل.

ثم نهضت الأنسة المحوز وهي تطلق تهيدة خفيفة وقالت: ينبغي أن تعود. إنني سعيدة جداً لتبادل هذا الحديث معك... مع أننا لم نحقق تقدماً كبيراً، أليس كذلك؟

قلت وأنا أحضر وشاحها: أصرحك القول بأن الأمر كله يبدو لي لغزاً محيراً.

- أوه! ما كنت لأقول ذلك. أظن عموماً أن إحدى النظريات تقصر كل شيء تقريباً. بمعنى أنها كاملة إذا ما سمحتنا بصيغة واحدة وقعت... وأظن أن بالإمكان السماح بوقوع صيغة واحدة، ولكن من غير المحتمل طبعاً وقوع أكثر من واحدة.

سألتها وأنا أنظر إليها: أتظنين ذلك حقاً؟ أعني بوجود نظرية؟

- أعترف بأن في نظريتي نقصاً واحداً... حفيظة واحدة لا أستطيع تجاوزها. أوه! لو أن تلك الرسالة كانت فقط شيئاً مختلفاً تماماً...

تهددت وهزت رأسها أسفاً، ثم مثلت بانحاء الباب الزجاجي ومدت يدها وهي شاردة لتلمس نبتة منتصبة هناك بدل منظرها على الذهري. قالت: أتدري يا عزيزي السيد كليمنت، ينبغي سقاية هذه النبتة أكثر. مسكينة، تحتاج الماء بشدة. ينبغي للعادميتكم أن تسقيها يوماً. أظن أن العادمة هي التي ترعاها، أليس كذلك؟

- نعم، ورعايتها لها لا تزيد عن رعايتها لأي شيء في هذا البيت.

- إنها ما زالت غرة قليلاً.

- نعم، وترفض غريزتها يوماً إنهاء خدماتها، وعلمها في ذلك

أن ما من خادمة ستقبل البقاء عندنا إلا إن كانت خادمة كريهة جداً.
ومع ذلك فإن ماري نفسها أعطتنا بالأمر إشعاراً بأنها تريد التفرقة.

- حقاً لقد كنت أحسبها دوماً شديدة التعلق بكما؟

- أنا لم ألاحظ ذلك. ولكن الحقيقة هي أن لبتيس بروثيرو هي
التي أزعجتها. فقد جاءت ماري من التحقيق بمزاج معكر ووحدت
لبتيس هنا و... تبادلنا بعض الكلمات.

قالت الأنسة ماريل: أودا

كانت على وشك الخروج من الباب الزجاجي فتوقفت فجأة
وبدت على وجهها سلسلة محيرة من التغيرات. دمدت قائلة لنفسها:
أودا يا إلهي! لقد كنت مغفلة حقاً. هكذا الأمر إذن؟ كان ذلك
ممكناً تماماً طوال الوقت.

- عفواً، ماذا تقولين؟

أدارت نحو ي وجهاً قلقاً وقالت: لا شيء... مجرد فكرة
عطرت لي نواً. عليّ أن أعود إلى البيت وأفكر في الأمور بكل
عمق. أتدري، أظنني كنت مغفلة تماماً... بشكل لا يكاد يُصدق.

قلت بلهفة: أجد صعوبة في تصديق ذلك. ثم صجبتها من
خلال الباب وعبر ممشي الحديقة، وسألتها: هل لك أن تعبريني
بهذا الذي يحطرك لك هكذا فجأة؟

- لفضل ألا أخبرك... في الوقت الراهن. فما زال احتمال أن
أكون معطلة، ولكنتي لا أظن ذلك... ها قد وصلنا إلى بوابة بيتي.

شكراً جزيلاً. أرجو ألا تنعب نفسك أكثر.

سألناها بعد أن عبرت البوابة وأغلقتها خلفها: أما زالت الرسالة
عقبة كأداء؟

نظرت إليّ بشروء وقالت: الرسالة؟ أودا! طبعاً لم تكن تلك
هي الرسالة الحقيقية. لم أعتبرها كذلك أبداً. طابت لبتيسك بما سيد
كلومت.

ذهبت بسرعة في الممشى إلى البيت وقد تركتني أحديق
خلفها. ولم أعرف بماذا أفكر.

• • •

ولكن دعنا منه الآن. كيف تجري الأمور هنا؟ المزيد من المحارر
من يحمي محتويات خزانة الطرقة؟

- لا بأس بما صنع... بل إن إحداهن تقطن أنها وجدت
الطرقة.

- صديقتنا الأنسة ماريل، إيه؟

- نعم، صديقتنا الأنسة ماريل.

- إن النساء من أمثالها يحسن دوماً ألهن يطمئن كل شيء.

- ربما كان ذلك تداعلاً لا ضرورة له مني، ولكنني أحسب أن
أحداً قد قام باستحواب صبي بالغ السمك. أعني أن القتال - إن كان
قد غادر من الباب الأمامي - فربما شاهد ذلك الصبي.

- لقد استجوبه سلاك بما يكفي، ولكنه يقول إنه لم ير أحداً.
من الصعب أن يرى شيئاً، فما كان القتال ليثير حوله الالتباه، وهناك
الكثير مما يمكن أن يستره قرب يوانك الأمامية، ولا بد أنه تأكد
من حلو الطريق. لقد كان على الصبي أن يمر في ذلك اليوم بينك
وبنت الدكتور هيلوك وبنت السيدة رينلي، ولذا كان من السهل
مراقبته.

- نعم، أحسب ذلك كان سهلاً.

- ومن جهة أخرى فإن صدف وكان ذلك الشفي آرثر هو
الذي ترتكب الجريمة وراء الصبي قريباً من المكان فإني أشك
كثيراً في إمكانية بوجه بفلك؛ إذ أن آرثر قريب.

الفصل السابع والعشرون

لم تعد غريزنا وديتيس بعد. وأدركت أن التصرف الطبيعي كان
يقضي بأن أذهب مع الأنسة ماريل إلى بيتها وأعود بهما معي، ولكننا
كنا كلانا مستغرقين تماماً في اشتغالنا بهذا اللغز إلى حد نسينا معه
وجود أحد في هذا العالم سوانا.

كنت أفكر في المسألة متسائلاً إن كان عليّ أن أندرك الأمر
وأذهب الآن للانضمام إليهم عندما رن جرس الباب. وذهبت إليه
فوجدت رسالة في صندوق الرسائل المنيب فيه، فأخرجتها وأنا أفترض
أنها هي سبب قرع الجرس. ولكن الجرس عاد ليقرّع وأنا أخرجها.
فدعستها بسرعة في جيبي وفتحت الباب الأمامي.

كان القادم هو الكولونيل ميلتشيت. قال: مرحباً يا كليمنت.
كنت في طريقي من البلدة إلى البيت بمسارني، ولم قرّ بأية في
المرور عليك والتمتع بضيافتك.

- على الرحب والسعة... تفضل إلى غرفة المكتب.

نزع عنه معطف الجلد الذي يرتديه ونعني إلى المكتب وهو
يقول: إن لك عندي عمراً يا كليمنت من أكثر ما سمعته ببهاراً.

- هل تشكك جداً بارتشر؟

- إنك تعلم أن بروثيرو قد اضطهد أرتشر كثيراً، وبينهما الكثير من الضغينة. لم تكن الرحمة من صفات بروثيرو المميزة!

- نعم، لقد كان شخصاً قاسياً.

- إن مدلي هو أن يعيش المرء ويترك غيره يعيش. صحيح أن القانون هو القانون، ولكن لا ضرر من معاملة الناس بحسن نية. وهذا ما لم يفعله بروثيرو أبداً.

ساد شيء من الصمت، ثم سألت: ما هو ذلك الخبر "شديد الإبهار" الذي وعدتني به؟

- إنه مثير حقاً. أتعرف تلك الرسالة غير المكتملة التي كان بروثيرو يكتبها عندما قُتل؟

- نعم.

- عرضناها على جيمس ليفول إن كان الرقم ٦٠٢٠ قد أضاعه يد أخرى، وقد أرسلنا -طبعا- نماذج من خط بروثيرو. أتدري ما النتيجة؟ تلك الرسالة لم يكتبها بروثيرو أبداً!

- أعني أنها كانت مزورة؟

- نعم، مزورة. كما أنهم يرون أن الرقم ٦٠٢٠ قد كُتب يد أخرى أيضاً... ولكنهم غير متأكدين من ذلك، فقد كُتب على رأس الصفحة بحبر مختلف. الرسالة نفسها منحولة... لم يكتبها بروثيرو أبداً!

- أهم متأكدون من ذلك؟

- كأشد ما يكون الخبراء تأكيداً.

قلت: "مدهش؟"، ثم داهمتني ذكرى فقلت: أذكر أن السيدة بروثيرو قد ذكرت وقتها أن الكتابة لا تشبه خط زوجها أبداً، ولم أتبه لذلك.

- حقاً؟

- ظننت قولها إحدى الملاحظات السيدة التي تطلقها النساء، فلو كان لنا أن نتق بشيء واحد، لكان ذلك الشيء هو كتابة بروثيرو لتلك الرسالة.

تبادلنا النظرات، ثم قلت بنمهل: أمر غريب، لقد كانت الأنسة ماريل تقول هذا المساء إن تلك الرسالة لم تكن طليعة أبداً.

- إذن خُفد حبر تلك رسالة صاحبتا، لو أنها كانت هي التي ارتكبت الجريمة شخصياً لما عرفت عنها أكثر مما نعرف.

في تلك اللحظة رن جرس الهاتف. إن لرتين جرس الهاتف تأثراً نفسياً غريباً... أخذ برن الآن بإصرار ويشكل بنظر بشر مستطير. ذهبت إلى الهاتف ورفعت السماعة قائلاً: أنا الكاهن، من المتكلم؟

جاءني عبر الأسلاك صوت غريب همشري عالي النبرة: أريد الاعتراف. يا إلهي، أريد الاعتراف!

- نعم، نعم؟... يا بذالة... لقد قطعتم عني الخط. ما هو الرقم الذي كان يتكلم؟

جاءني صوت حامل يقول إنه لا يعرف، ثم أضاف إنه آسف على إزعاجي. وضعت السماعة والتفت إلى ميلشيت قائلاً: لقد قلت مرة إنك ستجن إذا تقدم شخص آخر للاعتراف بارتكابه للحرمة.

- ماذا تعني؟

- كان هذا شخصاً أراد الاعتراف، ولكن البذلة قطعت الاتصال.

اندفع ميلشيت وأخذ السماعة قائلاً: سأتحدث معهم.

- نعم، تحدث، فربما كان لك تأثير عليهم... سأتركك تقوم بذلك، أما أنا فأخرج... أتعتل أنني ميزت ذلك الصوت.

• • •

أسرعت نزولاً في شارع القرية. كانت السماعة قد بلغت الحادية عشرة، وفي مثل تلك الساعة من أيام الأحد ربما وجد المرء قرية مينت ميري ميد بأسرها ممتلئة، ولكني رأيت وأنا أمرت خوساً في أحد التوافد في الطابق الأول، فتوقفت إذ أمرت أن هاووز ما يزال ساهماً وقرعت حرس الباب.

وبعد مرور ما بدا لي وقتاً طويلاً قامت صاحبة منزل هاووز، السيدة سادلر، بمعالجة ففلين وسلملة، ثم أدارت المفتاح وأطلقت تنظر إليّ بارتياح، ثم هضت: من، الكاهن؟

- مساء الخير، أريد رؤية السيد هاووز. أرى الضوء من النافذة، ولذلك فإنه ما يزال ساهماً.

- ربما. فأنا لم أراه منذ أن صعدت إليه بالعمارة. كانت ليثة

هادلة... لم يأت أحد لرؤيته، كما لم يخرج.

أومأت برأسي ثم احتنيتها وصعدت الدرج بسرعة، إذ أن لهاووز غرفة نوم وغرفة جلوس في الطابق الأول. دخلت غرفة الجلوس. كان هاووز متمسداً على أريكة طويلة ناعماً، فلم يوقظه دحولي، وإلى جانبه كانت علبة كيمسولات دواء وكأس من الماء ممتلئ حتى نصفه. وغنى الأرض عند قدمه اليسرى رأيت ورقة مكتورة عليها كتابة. رفعت الورقة ومسدتها حتى اعتدلت فقرأت الكتابة فيها تبدأ بالقول: عزيزي كليمنت.

قرأت الورقة كلها، وأطلقت صوت تعجب ثم دمستها في حبي وتحتيت على هاووز وأمنت النظر فيه. بعدها عمدت إلى الهاتف الذي كان عند مرغه وطلبت رقم بيتي. لا بد أن ميلشيت ما زال يتابع مصدر المكالمة، لأن البذلة أخبرني أن الخط مشغول، ولذلك طلبت منها معاودة المحاولة والاتصال بي ثانية وأعدت السماعة.

وضعت يدي في حبي لأنظر مرة أخرى إلى الورقة التي أخذتها قبل قليل. وعندما أتممتها أخرجت معها الرسالة التي وحدثها في صندوق الرسائل والتي لم تكن قد فتحت بعد. كان مظهرها مألوفاً جداً، وكان خطها نفس خط الرسالة المغلفة من التوقيع التي جاءني بعد ظهر ذلك اليوم.

فتحتها. وقرأتها مرة... مرتين... غير قادر على إدراك فحولها. ركت على وشك البدء بقراءتها للمرة الثالثة عندما رن حرس الهاتف. رفعت السماعة كالحيائم وقلت: نعم؟ أهذا أنت يا ميلشيت؟

- نعم، أين أنت؟ تتبعك تلك المكالمات، وقد جاءت من الرقم...

- أعرف الرقم.

- أو، جيداً فهو المكان الذي تتكلم منه؟

- نعم.

- ماذا عن ذلك الاعتراف؟

- لقد حصلت على الاعتراف تماماً.

- أنعني أنك عرفت القاتل؟

نعمت وقتها لأقوى إغراء صادفني في حياتي. نظرت إلى تلعب الضمير الرديء الذي تركه صاحبه دون إضفاء، وإلى علة الكبسولات الفارغة وعليها اسم "الملائكة المضمار"، وتذكرت حديثاً عارضاً جرى. بذلك جهداً هائلاً، ثم قلت: لا أدري، الأفضل أن تأتي أنت.

أعطيت العنوان، ثم جلست على الكرسي المقابل لهارز لكي أفكر. كانت أمامي دقيقتان من الفراغ للقيام بذلك؟ بعد دقيقتين سيكون ميلنشوت قد وصل. أخرجت الرسالة المغلفة من التوقيع وقرأتها للمرة الثالثة. ثم أغمضت عيني وفكرت...

* * *

الفصل الثامن والعشرون

لا أدري كم بقيت جالساً هناك... وأظن أنها لم تكن سوى بضع دقائق في الواقع. ولكن بدا لي أن أهدئة كاملة قد مرت قبل أن أسمع الباب يفتح. التفت ورفعت نظري فראيت ميلنشوت يدخل الغرفة.

حدثني هارز التائم على أريكته، ثم التفت إلي وقال: ما هذا يا كليمنت؟ ماذا يعني هذا كله؟

اخترت واحدة من الرسالتين في جيبتي وأعطيتهما له... قرأها بصوت عالٍ يمكن سماعه:

عزيزي كليمنت،

إن ما أنا مضطر لقوله أمر مريض جداً. وأظن أنني نهاية الأمر - أمني أفضل كتابته، ويمكننا أن نتفحصه في موعد لاحق. إنه يتعلق بالاحتلاسات الأخيرة... إنني أسف للقول إنني لم أتمكن قناعة لا تشوبها أية شكوك بهزيمة الحائي، ورغم كل الإكتم الذي يسيبه لي اضطراري لانهام رجل دين مُرسم في الكنيسة فإن واهي واضح. ينبغي أن تكون في الأمر محيرة...

نظر إليّ متسائلاً، فعند هذه النقطة امتد الحيط ليصبح خطوطاً طويلة لا يمكن تمييزها حيث همدت يد شكاتب. سحب ميلشيت نفسه عميقاً ونظر إليّ هارز قادلاً: هنا هو الحل إذن! الرجل الوحيد الذي لم تفكر فيه محرد تفكير... وقد دفعه للندم للاعتراف!

- لقد كانت أطواراً باللغة المقرابة مؤخراً.

مشى ميلشيت فجأة إلى الرجل النائم هاتفاً بمحدة. أمسكه من كتفه وهزه برقى في البعيدة، ثم أخذ بهزه بعنف متزايد، وقال: إنه ليس نائماً... بل معتلراً ما معنى هذا؟

انتقلت عنده إلى علة الكبسولات الفارغة فقال: ترى هل؟...

- أظن ذلك. لقد أراني هذه الكبسولات بالأمس وأخبرني أن الطبيب يحذر من تناول جرعات مضاعفة. إنها ميتة، المستكين. ربما كانت هذه أفضل طريقة... ليس لنا أن نحكم عليه الآن.

ولكن ميلشيت كان وليس شرطة المفادمة قبل أي شيء أعسر. والأفكار التي تروق لي أنا قد لا تعني له شيئاً. انفض عليّ الهاتف بلمح البصر وأخذ بهز الساعة بصبر نافذ حتى تلقى جواباً. طلب رقم هينوك، ثم سادت فترة صمت كان خلالها يصف وأذنه على الساعة وعينه على الجسد المرتخي على الأريكة.

- ألو... ألو... الدكتور هينوك؟ فيمكن للدكتور أن يأتي فوراً إلى شارع هاي؟ منزل هارز. الأمر عاجل... ماذا؟... حسناً، ما الرقم إذن؟... أوه، آسف.

ضرب الساعة وهو يتميز غضباً وقال: الرغم خطياً، الرقم

خطياً... دائماً الأرقام خاطئة! وحياة إنسان متوقفة على ذلك... ألو... لقد أعطيني رقماً خاطئاً... نعم، لا تضع الوقت... أعطني ثلاثة ثلاثة خمسة... وليس خمسة.

مضت فترة أخرى من نفاذ الصبر... وكانت أقصر هذه المرة.

- ألو... أعذا أنت يا هينوك؟ ميلشيت يتكلم... نعال إلى شارع هاي، منزل ١٩ على الفور. لقد تناول هارز جرعة مضاعفة من عقار ما. بسرعة يا رجل، فالأمر يتعلق بموت أو حياة!

أعاد الساعة وأخذ يفرع الغرفة حية وفهاها ثم قال: لا أدري ماذا هناك بحيث لم تتصل بالطبيب فوراً يا كلينت. لا بد أن عقلك أخذ يشر.

ثم يحظر في بال ميلشيت - لحسن الحظ - أنه من الممكن أن تكون للناس آراء في التصرف الصحيح تختلف عن آرائه هو. لم أقل شيئاً فيما مضى هو يقول: أين وجدت هذه الرسالة؟

- كانت مذكورة ومرمية على الأرض... حيث سقطت من يده.

- أمر بالغ الغرابة... تلك المحور كانت مصيبة في نعمينها بأن الرسالة التي وجدناها لم تكن الرسالة الحقيقية. عجباً كيف توصلت إلى ذلك! ولكن يا لغباله إذ لم يتخلص من هذه الرسالة. كيف احتفظ بها... وهي أكبر دليل مدمر يمكن تحمله!

- إن الطبيعة البشرية مليئة بالمتناقضات.

- لو لم تكن كذلك لشككت في إمكانية قبضنا على أي مجرم

أبدًا! دائماً ما تراهم يرتكبون حماقة عاجلاً أم آجلاً. إنك تبدو على غير طبيعتك تماماً يا كليمنت. أحسب أن هذا الأمر كان أكبر صدمة لك؟

- فعلاً. لقد كان هاوز - كما ظلمت لك - غريب التصرفات منذ فترة، ولكني لم أتخيل أبداً...

- ومن الذي تخيل ذلك؟ اسمع، صوت سيارة.

ذهب إلى النافذة ففتح وأبعتها العنكبوتية وأطل منها ثم قال: نعم، إنه هيدوك.

بعد دقيقة دخل الطبيب الغرفة، وبضع كلمات مقتضبة شرح ميلتشيت الموقف. ليس هيدوك بالرجل الذي يظهر مشاعره. اكتفى بأن رفع حاجبيه وأرما برأسه ومضى إلى مريضه. جس نبضه، ورفع جفنه ونظر بإسماعيل إلى عينه، ثم ألقت إلي ميلتشيت وقال: تريد أن تنقله لتقدمه لحبل المشقة؟ ولكن حاله صعب تماماً. سيكون إنقاذه معازفة على كل حال... أشك في قدرتي على إعادته لوعيه.

- افعل كل ما في وسعك.

- حسناً.

انشغل بالحفنة التي أحضرها معه، وحضر حفنة حنظل في فراع هاوز، ثم انتصب واقفاً وقال: الأفضل أن نأخذك إلى تشيبيهام... إلى المستشفى هناك. ساعداني حتى ننزله إلى السيارة.

ساعدناه كلانا، وعندما ركب هيدوك خلف عجلة القيادة التفت وألقى بعبارته وداعية: لن نستطيع أن تشقه يا ميلتشيت.

- أتعني أنه لن يشفي؟

- شفي أم لم يشف... لم أقصد ذلك. أعني حتى إن شفي... فللمسكين لم يكن مسؤولاً عن أفعاله. سوف أظلي بشهادة بهذا المعنى.

قال ميلتشيت ونحن نصعد الدرج ثانية: ماذا عني بقوله ذلك؟

ترحت له أن هاوز كان ضحية التهاب في الدماغ بسبب النوم.

- مرض النوم، اليس كذلك؟ يوجد دوماً سبب جيد يُدال لتبرير كل فعل سيء يرتكب. ألا توافقني؟

- إن العلم يعلمنا الكثير.

- نأ للعلم! أسف يا كليمنت، ولكن كل هذا الحديث الطالع يزعمني، فأنا رجل واضح... بحسن بنا أن نقش هذا المكان.

ولكن في هذه اللحظة حدث قطع لحدثنا... وكان قطعاً مذهلاً. فتح الباب ودخلت الأنسة ماربل الغرفة. كانت محمرة الوجه مرتبكة قليلاً، وبدا أنها أدركت وقع المفاجأة علينا.

- آسف جداً... آسف جداً... على تدخلي. مساء الخير يا كولونيل ميلتشيت. كما قلت لكم، إني آسف جداً، ولكني - عندما سمعت أن السيد هاوز سقط مريضاً - شعرت أن علي أن آتي لأرى إن كان يوسعي المساعدة.

سكت، وكان الكولونيل ميلتشيت ينظر إليها ببعض الازدراء، ثم ما لبث أن قال لها بحفاوة: هذا لطف كبير منك يا آنسة ماربل، ولكن لا حاجة لأن تزعمي نفسك. بالمناسبة، كيف عرفت بالأمر؟

كان ذلك سؤالاً كنت أتوق لطرحه!

قالت الأنسة ماربل: الهاتف. إنهم شديرو الإحمال في مسألة الأرقام الخاطئة هذه، أليس كذلك؟ لقد تكلمت معي في البداية ظناً أنني الدكتور هيدوك... رقمي هو ثلاثة ثلاثة خمسة.

هتفت قائلاً: هكذا إذن!

يوجد دائماً تفسير جيد جداً ومنطقي لتبرير معرفة الأنسة ماربل بكل ما يدور. استمرت قائلة: وهكذا جئت لأرى إن كان بوسعي تقديم أية مساعدة.

قال ميلشيت مرة أخرى، بخطأ أشد هذه المرة: هذا لطيف منك، ولكن لا يوجد ما يمكن فعله. لقد أعده هيدوك إلى المستشفى.

- إلى المستشفى فعلاً؟ أوه، هذا مصدر ارتياح عظيم! يسعدني جداً سماع ذلك. سيكون في أمان تام هناك، ولكن هل يعني قولك "لا يوجد ما يمكن فعله" أنه لن يشفى؟

قلت لها: هذا موضع شك كبير.

كانت عينا الأنسة ماربل قد انتقلت إلى عيادة الكيولات، فقالت: أحسبه أخذ جرعة مضاعفة؟

أحسب أن ميلشيت كان يفضل البقاء متحفلاً في كلامه. وربما كان ذلك موقفسي أيضاً لو كانت الظروف غير الظروف، ولكن مناقشتني لل قضية مع الأنسة ماربل كانت أقرب عهداً في ذهني من أن أتبنى مثل هذا الموقف، رغم أن عليّ أن أعترف أن ظهورها

المفاجيء هنا وفضولها المتلهف أزعجاني قليلاً. قلت لها: الأفضل إن تري هذه.

وأعطيتها رسالة بروثيرو التي لم يكملها.

أخذتها وقرأتها دون أن تبدو عليها أية دهشة. سألتها: لقد سبق لك واستمتحت شيئاً من هذا الفيل، أليس كذلك؟

- نعم، نعم حقاً. هل لي أن أسألك يا سيد كليمنت ما الذي جعلك تأتي إلى هنا هذه الليلة؟ هذه نقطة تحيرني. أنت والكولونيل ميلشيت... ما كنت لأتوقع هذا أبداً.

شرحت لها مسألة المكالمة الهاتفية، وكيف خلست أنني ميزت صوت هاوز. أومات الأنسة ماربل برأسها تأملت وقالت: هذا مثير جداً. إنها العناية الإلهية إن كان لي أن أستعجم هذا التعبير. نعم، لقد جاءت بك إلى هنا في أخرج اللحظات.

قلت بمرارة: في أخرج اللحظات، لماذا؟

- لتتخذ حياة السيد هاوز طبعاً.

قلت لها: ألا تترين أن من الأفضل ألا يشفى هاوز مما هو فيه؟ الأفضل له... وأفضل للجميع. إنك تعرفين الحقيقة الآن و...

توقفت.. فقد كانت الأنسة ماربل تومس برأسها بحماسة عظيمة أصبح ما كنت أريد قوله. قالت: طبعاً، طبعاً هذا ما يريد هاوز أن يحصل نظراً أنك تعرف الحقيقة... وأن تلك الحال هي أفضل للجميع. أوه، نعم. الأمر كله اتضح الآن... الرسالة، والجرعة

المضاعفة والحالة الذميمة للمسكين هاوز واعتراه. أمور كلها
منسجمة مع بعضها البعض... ولكنها خطأ...

حدثنا فيها فقالت: لهذا أنا سعيدة جداً لأن هاوز آمن الآن
حيث لا يستطيع أحد الوصول إليه، وإذا تعافى فسيعيركم بالحقيقة.

- الحقيقة؟

- نعم... حقيقة أنه لم يلمس شعرة واحدة في رأس برونو.

قلت: ولكن ماذا عن المكالمات، والرسالة... والجرعة المضاعفة؟
الأمر كله واضح جداً.

- هذا ما يريدك أن تظنه. أوه، إنه ذكي جداً! إن الاحتفاظ
بالرسالة واستعدادها بهذا الشكل حركة ذكية جداً في الواقع.

قلت لها: من الذي تعنيه بقولك؟

- أعني القاتل.

ثم أضافت بهتوء شديد: أعني السيد لورنس ريدنفيلد؟

* * *

الفصل التاسع والعشرون

حدثنا فيها كلانا، وقد حسبنا سلوكه - أنها فقدت عقلها
فعلاً، فقد بدأ اتهامها أبعد ما يكون عن العقل والمنطق!

كان الكولونيل أولي من تحدث منا... تكلم بلطف وبنوع من
السامع المتفعل: هذا غير منطقي أبداً يا أنسة ماربل! فالشاب
ريدنفيلد تمت تربيته تماماً.

- هذا طبيعي، فقد حرص على ترتيب ذلك.

قال الكولونيل برود: على العكس، لقد فعل كل ما في وسعه
حتى يتهم بارتكاب الجريمة.

- نعم، وقد عذبنا جميعاً بذلك... عذبني أنا كما عذب
الآخرين جميعاً. لذلك تتذكر يا سيد كليمنت أنني فوجئت تماماً
عندما سمعت بأن السيد ريدنفيلد قد اعترف بالجريمة؛ فقد قلب ذلك
كل تفكاري وحطمتني أحسبه بريقاً... مع أنني كنت أشعر - حتى
ذلك الحين - أنه مذنب.

- إذن فقد كان لورنس ريدنفيلد هو من تشكك فيه؟

- أعرف أن القاتل في الروايات يكون دائماً أخطر من يمكن الشك به، ولكنني لم أجد هذه المساعدة تنطبق على الحياة الواقعية أبداً؛ ففي الواقع غالباً ما يكون الواضح المباشر هو الصحيح. ورغم أنني كنت أكن دوماً حياً كبيراً للسيدة برونيرو إلا أنني لم أملك إلا أن أصل إلى نتيجة مفادها أنها واقعة تحت التأثير الكامل للوروس ويدنغ، ومن شأنها أن تفعل كل ما يطلبه منها، وهو بالطبع ليس من أولئك الشباب الذين يمكن أن يحلموا بالهرب مع امرأة لا تملك شيئاً. كان ضرورياً - من وجهة نظري - أن يتم التخلص من الكولونيل برونيرو... وهكذا تخلص منه. إنه واحد من أولئك الشبان ذوي الفتنة الذين لا يملكون إحساساً خلقياً.

كان الكولونيل مهتشت يزأر منذ بعض الوقت، والآن انفجر قائلاً: هذا هراء تام... كل ما تقولونه هراء! إن لدينا تفسيراً كاملاً لتحركات ويدنغ حتى الساعة السادسة وخمسة دقائق، وهيدوك يؤكد حازماً أن برونيرو لا يمكن أن يكون قد قُتل وفُتِها. أمثالك تحمين نفسك أكثر معرفة من الأطباء... أم أنك تلمحين إلى أن هيدوك يكذب عامداً... لسبب لا يعلمه إلا الله؟

- أظن أن شهادة هيدوك كانت صحيحة تماماً، وهو رجل في غاية الاستقامة. إن السيدة برونيرو هي التي أطلقت النار على الكولونيل برونيرو... وليس السيد ويدنغ.

حدثنا فيها ثانية! عدلت الآنسة ماريل شالها وردت وشاحها الذي يغطي كتفها، وبدأت تلقي محاضرة رقيقة من محاضرات المعائز تحتوي على أكثر التصريحات إدهاشاً، وهي تلقىها في نفس الوقت - بأكبر قدر من الطبيعية.

قالت: لم أجد من المناسب أن أتكلم حتى الآن، فاعتقاد المرء حتى لو بلغ في قوته درجة المعرفة، لا يشكل بديلاً للدليل الدامغ. وما لم يكن لدى المرء تفسير يناسب كل الحقائق (كما كنت أقول للسيد كينيت هذا المساء) فإنه لا يستطيع طرحه بقتاعة حقبية. ولم يكن تفسيري الخاص مكتملاً تماماً... كان ينقصه شيء واحد فقط... ولكنني لاحظت فجأة - وأنا أعادر مكتب السيد كليمينت - أنيثة في الحوض قرب الباب الزجاجي للمكتب... وعندها انتصبت الحقيقة كاملة أمامي! واضحة ووضوح الشمس!

نعم مهتشت قائلاً لي: حقون... حقون مطبق!

ولكن الآنسة ماريل ابتسمت لنا بهلوه ومضت تقول بصوتها النسوي الهادي: كنت أسفة جداً للطونني التي طنتها... كنت أسفة جداً لأنني أحبهما كليهما... ولكنكما تعرفان طبيعة النفس البشرية! وفي البداية، عندما اعترف هو أولاً، ثم اعترفت هي بذلك بطريقة الحقائق... عندها شعرت بارتياح بالغ إذ ظننت أنني كنت مضطربة. وبدأت أفكر بأشخاص آخرين ممن يمكن أن يكون لهم دفع للتخلص من الكولونيل برونيرو.

تمتت قائلاً: المشبهون السيدة!

ابتسمت لي وقالت: نعم في الواقع. ذلك الرجل أرشتر... لم يكن محتملاً، ولكن من بدوي كيف يمكن أن يتصرف إذا ما ملأ خوفه خمسراً يلهب المشاعر؟ وعندها تلك ماري؟ فهي تخرج مع أرشتر منذ فترة طويلة، وهي ذات مزاج غريب، وقد توفر لها الدافع والفرصة... بل إنها كانت وحيدة في البيت! كان بإمكان السيدة

أرثر العجوز أن تحصل بسهولة على المستس من بيت السيد ويدفع
لنقله لأي من هذين الإثنين. وليس... وهي بحاجة إلى الحرية
والمال لتفعل ما تشاء. لقد عرفت حالات كثيرة كانت فيها قناعات
شديدات الجمال والرقّة يُظهرون افتقاراً رهيباً لأي وازع عقلي...
ورغم أن الرجال طبعاً لا يريدون تصديق ذلك!

طرفت بعيني، ومضت الأنسة ماربل تقول: ثم جاءت أيضاً
مسألة مضرب التنس.

- مضرب التنس؟

- نعم، ذلك الذي رأيته كلاً من خادمة السيدة برايس وهدلي
مرحاً على الحشب قرب بوابة بيتك أيتها الكاهن.. لقد دل ذلك على
أن دينيس قد عاد من مباراة التنس تلك أمكر مما ادهى. إن الفتيات
في سن السادسة عشرة شديداً التأثير بالآخرين ويفتخرون تماماً باللاتزرن.
وكأننا ما كان دافعه لذلك... من أجل لينس أو من أحلك أنت أيتها
الكاهن، فقد كانت تلك إمكانية قائمة. ثم بالطبع السيد هاوز المسكين
وأنت... ليس كلاهما بالطبع، ولكن أي واحد منكما.

هتفت بدهشة شديدة: أنا؟

- نعم، إنني آسفة... وأنا في الواقع لم أشك حقاً... ولكن
مسألة تلك المبالغ المالية المخفية لا بد أن يكون أحدكما - أنت
أو هاوز - مذنباً، وقد كانت السيدة برايس وهدلي تسور هنا وهناك
وفلتح إلى أنك أنت الملام... وذلك - بشكل رئيس - لأنك
اعترضت بقوة على إجراء أي تحقيق في المسألة. أنا شخصياً كنت
مقتنعة دوماً بأن القاعل هو السيد هاوز... فقد ذكرني كثيراً بذلك

العازف المسكين على الأورغ الذي أشرت إليه، ولكن المرء لا
يستطيع رغم ذلك أن يكون متأكداً تماماً.

أكملت أنا عبارتها بالقول: نظراً لطبيعة النفس البشرية.

- بالضبط! وتوجد العزبة غريزدا بالطبع.

قاطعتها ميتشيت قائلاً: ولكن السيدة كليمنت كانت خارج
الموضوع تماماً؛ فقد عادت بفطار السادسة وخمسين دقيقة.

- هذا ما قلته هي، على المرء ألا يعتمد على ما يقوله الناس.

لقد تأخر فطار السادسة وخمسين دقيقة لمدة نصف ساعة في ذلك
المساء، ولكنني رأيتها بأمر عيني في الساعة السابعة والرابع تنطلق إلى
أولاد حول، مما يعني أنها جاءت - دون ريب - في الفطار الذي سبق
فطار السادسة وخمسين دقيقة. والحقيقة أن بعضهم رأها، وربما
كنت نعرف ذلك؟

نظرت إليّ متسائلة.

دفعني شيء من القوة في نظرها لأن أعرج أخرج رسالة مفصلة
من التوقيع لذي، وهي الرسالة التي فتمتها قبل قليل. وتذكر الرسالة
بالتفصيل أن غريزدا شوهدت تخرج من الباب الخلفي لبيت لورنس
ريدنغ في الساعة السادسة والثلاث من ذلك المساء المشؤوم.

لم أغفل شيئاً وقتها (أو في أي وقت) عن الشك الرهيب الذي
دهم عقلي. رأيت الأمر كما لو كان كابوساً: علاقة سرية قديمة
بين لورنس وغريزدا، وتعلم غريزدا بأن الأمر قد وصل إلى مسامع
بروشيرو، وأنه قرر أن يطلعني على الحقائق... فغضب باليأس

وتسرق المسلس وتُسكت بروثيرو. كلان ذلك كايوساً كما قلت...
ولكنه اتخذ سلفائق طويلة معودة - شكل الواقع الرعب.

لا أدري إن كان لدى الأنسة ماريل طرف معرفة بذلك كله.
الأرجح أن تكون عارفة به، فقليلة هي الأمور التي تخفى عليها!

أعادت لي الرسالة وهي تومئ برأسها وقالت: لقد انتشر ذلك
في القرية كلها. ويبدو الأمر باعثاً على الشبهات، أليس كذلك؟
خاصة وأن السيدة أرنشر أقسمت في التحقيق أن المسلس كان ما
يزال في البيت عندما غادرت عند الظهيرة.

مكنت لحظة ثم لاهت تقول: ولكنني أبتعد كثيراً عن الموضوع.
ما أريد قوله - وأعتقد أنه من واجبي - هو أن أضع أمامكم تفسيرى
للقضية، غلّمْ تصدقوه... أكون قد قمت بأفضل ما يمكنى عمله.
وحتى في هذه اللحظة، فإن رغبتى في أن أكون واثقة تماماً قبل أن
أتكلم ربما كلفت السيد هاوز الممكن حياته.

مكنت مرة أخرى. وعندما ناهت حديثها كان لصوتها وقع
مختلف. كان صوتها أقل اعتذاراً وأكثر حزمًا: هذا هو تفسيرى
للحالة: مع حلول عصر يوم الخميس كانت الحريمة قد اكتملت
تعميطاً حتى أدق التفاصيل: فقام لورنس أولاً بزيارة الكاهن وهو
يعرف أنه خارج البيت. كان معه المسلس الذي أخفاه في حوض
البياتات ذاك عند الباب الزجاجي، وعندما جاء الكاهن، برر لورنس
زيارته بالإدعاء بأنه عزم أسره على السفر. في الخامسة والنصف
اتصل لورنس ريدينغ بالكاهن من غرفة البواب عند الجاية الشمالية
لمنزل أولد هول متحلاً بصوت امرأة (وأنتم تذكرون أنه كلان من

أبرع الممثلين الموهبة). كانت السيدة بروثيرو وزوجها قد انطلقا لتوهما
باتجاه القرية. والأمر الغريب جداً (رغم أن أحداً لم يترقب إليه بذلك
التمنى) أن السيدة بروثيرو لم تحمل معها حقيبة يد، وهو أمر غير
طبيعى أبداً من امرأة. وقبل السادسة والثلاث بقليل عبرت من أمام
حديقتي وتوقفت ونكلت معى بحيث تعطيني كل فرصة ممكنة حتى
ألاحظ أنها لا تحمل أي سلاح معها وأنها أيضاً تتصرف بشكل طبيعى
تماماً، فقد أدرك الاثنان أنني ممن يلاحظون الأشياء. اختفت علف
زاوية البيت ثم توجهت إلى الباب الزجاجي للمكعب. كان الكولونيل
المسكين جالساً إلى الطويلة يكتب لك رسالته، وهو شبه أصم كما نعلم
جميعاً. أخذت المسلس من الحوض حيث كان بانتظارها، وجاءت
من خلفه فأطلقت الرصاص على رأسه، ثم رمت المسلس وخرجت
كلصح البصر لتذهب عبر الحديقة إلى المرسم. من شأن أي امرئ
تقريباً أن يحلف أنها ما كانت تملك من الوقت ما يسمح لها بذلك!

تعرضت مبنيتي قاللاً: ولكن ماذا عن الطلقة؟ أنت لم
تسمي أي صوتٍ لطلقة؟

- ألا يرحد ابتكار جديد اسمه كاتم الصوت؟ هذا ما فهمته
من القصص البوليسية... أتساءل إن كانت العظمة التي سمعتها تلك
العمامة كالرا لا تبدو أن تكون في الواقع صوت الطلقة؟ ولكن لا
أهمية لذلك. تقابلت السيدة بروثيرو مع لورنس عند المرسم ودخلا
معاً... وأعشى أنهما أدركا - نظراً لطبيعة النفس البشرية - أنني لن
أغادر الحديقة حتى يخرجنا من المرسم ثانية!

لم يبق لي أن أحبيت الأنسة ماريل كما أحببتها هذه اللحظة،
باحتياها الهزلي لنقطة ضعفها الخاصة.

مضت تقول: وعندما خرجا بالفعل كان سلوكهما مرحاً وطبيعياً. وقد ارتكبا في هذه النقطة غلطة في الواقع! لأنهما إن كانا قد ودعا بعضهما البعض كما زعما لكان من شأنهما أن يظهر بمظهر مختلف تماماً. ولكن كانت تلك نقطة ضعفهما... فهما -بساطة- لا يهزون على الظهور بمظهر القلق المنزعج بأي شكل. وفي الدقائق العشر التالية كانا حريصين على تأمين دليل غياب عن مكان الجريمة لنفسيهما. وأخيراً ذهب السيد ريدنج إلى بيت الكاهن ليناديه في الوقت الذي يشاء. وربما رآه قادمًا من بعيد على الطريق الترابي واستطاع أن يوقت الأمور بشكل رائع. أخذ المسلس وكاتم الصوت، وترك الرسالة المزينة وقد كُتب عليها الوقت بحبر مختلف وبخط مختلف كما هو واضح. وعندما يُكتشف ذلك التزييف فمن شأنه أن يبدو محاولة خرقاء لإدانة إن برونير.

ولكنه -عندما ترك الرسالة- وجد تلك التي كتبها الكولونيل برونير غالياً... وكان ذلك شيئاً غير متوقع أبداً. ووصفه شاباً شديد الذكاء، وإدراكه أن هذه الرسالة قد تنفعه كثيراً في المستقبل، فإنه أعدّها، ثم غير وضع عقارب الساعة لتلائم الوقت المثبت على الرسالة... وهو يعرف أن الساعة تبقى سابقة ربع ساعة للوقت الحقيقي. وبذلك ستكون الفكرة نفسها... محاولة ساذجة لإحاطة السيدة برونير بالشبهات. ثم غادر المنزل لتفليك عمارج البوابة وبمثل دور من أخفله أمر ما عن نفسه. إنه ذكي جداً كما قلت... ما الذي سيحاول فعله محرم ارتكب جريمة قتل؟ سيحاول طبعاً الانصرف بشكل طبيعي. وهذا بالضبط ما لم يفعله السيد ريدنج. تخلص من كاتم الصوت، ولكنه ذهب إلى مركز الشرطة ومعه المسلس واتهم نفسه بشكل سخيف بخدع به الجميع.

كان في تلخيص الأنسة ماربل للقضية شيء ساحر ما. كانت تتكلم بشقة جعلتنا نشعر أن الجريمة ما كان لها أن ترتكب إلا بهذه الطريقة. سألتها: ماذا بشأن الطلقة التي سُحبت في الغابة؟ أكانت تلك هي المصادفة التي أُشرت إليها في وقت سابق من هذا المساء؟

هزت الأنسة ماربل رأسها بسرعة وقالت: أوه، لا يا عزيزي! تلك لم تكن مصادفة... بل كانت أبعد ما تكون عن المصادفة. كان من الضروري جداً أن تُسمع طلقة... وإلا لاستمر الشك في السبلة برونير. لا أدرى تماماً كيف رتب السيد ريدنج أمر ذلك. ولكنني فهمت أن حمض البكريك ينفجر إن ألقيت عليه ثقلاً، ولعلك تذكر -أيها الكاهن العزيز- أنك قابلت السيد ريدنج وهو يحمل حجراً كبيراً في نفس المكان في الغابة تقريباً حيث وجدت حمض البكريك لاحقاً. إن الرجال شديدو الذكاء في ترتيب الأمور... يُعلق الحجر فوق تلك القطعة الكريستالية، ثم يُستخدم جهاز توقيت صغير لوشيء من البارود بطيء الاشتعال يتطلب اشتعاله كاملاً نحواً من عشرين دقيقة بحيث يحدث الانفجار في حوالي السادسة والنصف، عندما يكونان (هو والسيدة برونير) قد خرجا من المرسوم وأصبعا على مرمى من الجميع. وهو إحسراء آمن جداً إذ ما الذي يمكن العثور عليه لاحقاً مجرد حجر كبير! ولكن حتى هذا الحجر حاول ريدنج نفيه... وذلك عندما فاجأته أنت.

هضت وقد تذكرت حفلة المفاجأة التي بدت على لورنس عند رؤيتي: أظنك محقة في ذلك.

كان الأمر قد بدا لي طبيعياً وقتها، أما الآن...

بدا أن الأنسة ماريل كانت تقرأ أفكاري، فقد أومأت برأسها بذلك وقالت: نعم، لا بد أن لقاءك بك في تلك اللحظة كان صدمة شديدة له. ولكنه تدارك ذلك بشكل جيد، متظاهراً بأنه يريد إحضار الحجر لي لأضعه في حديقتي الصغيرة.

أصبحت لهجة الأنسة ماريل فجأة شديدة الثقة وهي تقول: إلا أن الحجر كان من النوع الخطأ بالنسبة لحديقتي! وقد جعلني ذلك أضع قدمي على المسار الصحيح!

كان الكولونيل ميلنتيت يجلس طوال هذا الوقت كالمحور، وقد بدت عليه الآن علامات الصحو. شعر مرة أو مرتين، وتغنى بأفنه حيرة ثم قال: يا إلهي! يا إلهي!

ولكنه لم يلزم نفسه بعبارة غير هذه. أظنه كان - كما كنت أنا - متأثراً بتلك الثقة المنطقية لاستنتاجات الأنسة ماريل، ولكنه كان متردداً في الاعتراف مبدياً بذلك. وبدلاً من ذلك مد يده وأخذ الرسالة المكورة وصاح قائلاً: حسن جداً، ولكن كيف تفسرين أمر هاوز؟ لقد اتصل فعلياً واعترف.

- نعم، هذا هو ما توغرت له عناية ويانية؛ موعظة الكاهن جون شك. أنعلم يا عزيزي كلمنت؟ لقد أقيمت حقاً موعظة رائعة جداً. لا بد أنها أثرت بعمق في السيد هاوز. لم يجد بوسعك تحميل الأمر، وشعر أن عليه أن يعترف... بشأن إساءة استخدام أموال الكنيسة.

- ماذا؟

- نعم... وهذا ما أنقذ حياته. (لأنني أمل وأتقن أنه سيدين).

قال دكتور هيدوك ملهم جداً. تلخص القضية - كما أراها - في أن السيد ويدنغ احتفظ بهذه الرسالة (وفي ذلك محازفة عظيمة ولكنني أظنه خيالاً في مكان آمن) وانتظر حتى عرفت بشكل مؤكد هوية الشخص الذي نشر الرسالة إليه. سرعان ما تأكد أنها تشير إلى السيد هاوز. وقد فهمت أنه عاد إلى هنا ليلة أمس مع السيد هاوز وقضى وقتاً طويلاً معه، ولعله استبدل بعبارة كيمسولات السيد هاوز عبارة أخرى من عنده، ومن هذه الرسالة في جيب الرداء الليلي الذي يرتديه السيد هاوز. كان من شأن الشاب المسكين أن يتطلع للكمسولة الفاتلة بكل براعة... وبعد موته سيتم استعراض حاجبائه والمطور على الرسالة، وسيستنتج الجميع بأنه قتل الكولونيل برويسور ثم انتحر ندماً. يميل إلى أن السيد هاوز عثر - دون شك - على تلك الرسالة الليلة بعد تناوله للكمسولة الفاتلة نهماً، ولا شك أنها بدت له - وهو في حالته المضطربة - أمراً عارقاً للطبيعة يأتي بعد موعظة الكاهن، ولا شك أن ذلك دفعه للاعتراف بالأمر بالشكل الذي فعل.

هتف ميلنتيت: يا إلهي، يا إلهي! أمر غريب جداً! إنني... إنني لا أصدق كلمة من ذلك.

لم يسبق له أبداً أن قال عبارة أقل إقناعاً من عبارته هذه... ولا ريب أنها بدت كذلك حتى لسامعه هو، فقد تابع قائلاً: وهل تستطيعين تفسير المكالمة الهاتفية الأخرى... التي أجريت مع السيدة برايس وبنتي من بيت السيد ويدنغ؟

- آه! هذا هو ما أسبته المصادفة. العزبة غريزليدا هي التي أجرت تلك المكالمة... بالاتفاق مع السيد دينيس كما أظن. فقد

سمعا الإشاعات التي تروجها السبلة برايس ويملئ حول الكاهن،
وفكراً بهذه الطريقة (الغفولية بعض الشيء) لإسكاتها. وتكمن
المصادفة في حقيقة أن المكالمة يُفترض أن تكون قد أحرقت تماماً
في نفس وقت الطلقة الزائفة في الغابة، وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد
بأن بين الأمرين علاقة.

الفصل الثلاثون

حدثنا فيها كلانا وهتفا: فبخ؟ أي فبخ هذا؟

كانت الأنسة ماريل خجلة قليلاً، ولكن هذا واضحاً أن لديها
عجلة واضحة عاجزة. قالت: ماذا لو تم تحفيز السيد ريدنج هاتفياً؟

اتسم الكولونيل مبلشيت وقال: "لقد انكشف كل شيء،
أعرب بذلك". هذه حيلة قديمة يا أنسة ماريل... رغم أنها كثيراً
ما تنجح! ولكني أظن أن ريدنج في هذه الحالة أكثر حذراً من أن
يُستفك بهذه الطريقة.

قالت الأنسة ماريل: ينبغي أن يكون شيء محدد، أدرك ذلك
تماماً. اقترح - وهذا مجرد اقتراح - أن بأنه التحذير من شخص
معروف بأزمته غير التقليدية في هذا الشأن. إن أحداث الدكتور هيلوك
- مثلاً - تقنع أي امرئ بأنه ينظر إلى مسألة القتل من زاوية غير عادية.
فإذا ما لُتمح الدكتور إلى أن شخصاً - ولنقل السيدة سادلر مثلاً -
أحد أبنائها - صدف وشاهد استبدال علب الكبسولات... عندها إن
كان السيد ريدنج بريئاً قلن يعني له ذلك القول شيئاً، ولكن إن لم
يكن بريئاً...

تذكرت فجأة كيف أن كل من تكلم عن تلك الطلقة وصفها
بأنها "مختلفة" عن الطلقة العادية. كانوا جميعاً على صواب، ومع
ذلك كم هو صعب أن يشرح المرء وجه "الاختلاف" في هذا الأمر.
تجنب الكولونيل مبلشيت ثم قال: إن نظرتك معفولة تماماً يا
أنسة ماريل، ولكن اسمحي لي أن أشير إلى أنها تفتقر إلى أي دليل
ملموس.

- أعرف. ولكنك ترى أنها صحيحة، أليس كذلك؟

ساد بعض الصمت، ثم قال الكولونيل بتردد: نعم، لوها كذلك.
تبا، إنها الطريقة الوحيدة الممكنة لهذه الجريمة. ولكن ليس من
دليل... ولا ذرة منه.

تحدثت الأنسة ماريل وقالت: ولذلك فكرت بأنه... في مثل
هذه الظروف... ربما كان مسموحاً بنصب فخ صغير.

• • •

- قد تقدم على تصرف طائش.

- وبهذه الطريقة يوقع نفسه بين أيدينا. نعم، هذا ممكن.

ولكن هل يرضى هيدوك بذلك؟ إذ أن آرايه كما قلت...

قاطعت الأتيسة ماربل قائلة: أوه، من الناحية النظرية فقط؟
والنظرية مختلفة تماماً عن التطبيق، أليس كذلك؟ ولكن، ما قد جاء
هيدوك، يمكننا أن نسأله.

أظن أن هيدوك اندمى لرؤية الأتيسة ماربل معنا... كان يبدو
متعباً منها، وقال: أوشك الرجل أن يموت... كان نصف ميت،
ولكنه سيعيش بإذن الله. إن من واجب الطبيب أن يتخذ مرضاه، وقد
ألفذته، ولكني كنت أنمى بنفس الوقت ألا أنصح في ذلك.

قال ميلشيت: ربما هربت وأهلك حين نسمع ما سنخبرك به.

ثم وضع أمامه بالبحار واقتطاب نظرية الأتيسة ماربل منها
حديثه بعرض اقتراحها الأخير. وهنا سمح لنا أن نرى ما عنته الأتيسة
ماربل بحديثها عن الفارق بين النظرية والتطبيق، فيعد ساعه للقصّة
وأبت أنه يرغب برؤية رأس لورنس على طبق، ويحول لي أن ما أثار
حنقه لم يكن مثل الكولونيل برونيرو، بل الاعتداء على هاوز المسكين.

أخذ يقول: يا للشعير الشقي! إن لذلك المسكين هاوز أمّا وأحتاً
أيضاً، وميّة كونهما أمّا وأحتاً لقاتل كانت متلازمهما طوال الحياة،
ناهيك عن عذابهما المعنوي. ألم يجد غير هذه الحيلة العنيفة الجبانة!

إذا أردت أن ترى الغضب الساطع النهائي فانظر إلى رجل شديد
الإنسانية عندما يثور.

قال هيدوك: إن كان هذا صحيحاً فلکم أن تعتمدوا عليّ. هذا
الرجل لا يستحق الحياة؛ لم يجد إلا شيئاً مثل هاوز لا حول له ولا طول!
يمكن الاعتماد على شفقة هيدوك حتى تحاه كلب أعرج.
كان يرتب التفاصيل بلهفة مع ميلشيت عندما نهضت الأتيسة ماربل،
والحمت على إيصالها إلى البيت.

قالت الأتيسة ماربل ونحن نمشي في الشوارع العالية: إنه
لطيف بالغ منك يا سيد كلبشت. يا إلهي، لقد تجاوزت الساعة
الثانية عشرة. أرجو أن يكون ريموند قد نام ولم ينتظر عودتي.

- كان عليه أن يرافقت.

- لم أشعره بأنني ذاهبة.

انصرفت فجأة - وأنا أتذكر - التحليل النفسي العميق الذي عرضه
ريموند وست للمحرمة. قلت لها: إن تبين أن نظريتك صحيحة - وهو
ما لا أشك به لحظة واحدة - فستكون قد سجلت نقطة عليه.

انصرفت الأتيسة ماربل أيضاً ابتسامة محبة وغالت: إنني أتذكر
قولاً لصبة مستة كانت لي اسمها فاني. كنت وقتها في السادسة
عشرة ورأيت قولها شيئاً جذاً.

- نعم، وما هو؟

- كانت تقول دوماً: "يظن الشباب أن المسنين حمقى، ولكن
المسنين يعرفون أن الشباب حمقى".

• • •

للجميع، ولست أتوي الموضوع فيها. سأكتفي بالإشارة إلى أن الكثير من الفضل قد تم الاعتراف به للمفتش سلاك الذي أدى ذكائه إلى تقديم المعمرتين للعدالة. ومن الطبيعي أن شيئاً لم يُذكر عن دور الأنسة ماربل في القضية، وقد كان من شأنها -هي شخصياً- أن تفرغ لفكرة من هذا النوع.

الفصل الحادي والثلاثون

لم يبق إلا القليل مما يمكن أن يقال، فقد سمحت خطة الأنسة ماربل. لم يكن لورنس ريدنغ بريداً، وقد جعله ذكر وجود شاهد على استبدال الكبسولات يقوم فعلاً "بعمل طائش". تلك هي عاقبة الضمير المثقل بالأثام.

كان في موقف فريد بالطبع، ويحتمل إلى أن رد فعله الأولي كان أن يطلق ساقبه للريح، ولكن كان عليه أن يفكر بشريكه! إذ لا يستطيع المضادة دون أن يوصل لها عبراً بذلك، ولم يجرؤ على الانتظار حتى الصباح. وهكذا ذهب إلى أولد هول في تلك الليلة... وتبعه اثنان من عبدة رجال ميلشيث. رمى الحصص على نافذة أن بروثيرو فأيقظها وهمس لها همسة استعمال جعلتها تنزل للحدث معه. لا شك أنهما وجدا الحديث في الخارج أكثر أمناً منه في الداخل... حيث إمكانية استيقاظ ليتيس، ولكن ضابطي الشرطة استطاعا سماع الحديث كاملاً. انكشف الأمر: كانت الأنسة ماربل محقة في كل ما قالت!

وقد أصبحت محاكمة لورنس ريدنغ وآن بروثيرو معروفة

حاجت ليتيس لرؤيتي قبل المحاكمة تماماً. دخلتُ نالها من الباب الزجاجي لسكني أشبه بالشبح كما دلفتها، وأخبرتني -وقتها- أنها كانت مقتنعة طوال الوقت بأن زوجة أبيها كانت شريكة في الجريمة، وقد كان البحث عن القبة الصفراء مجرد عذر من أجل تفتيش المكب! كان لديها أمل بالنس بان نعد شيئاً أغفلته الشرطة. قالت بصوتها الحالم: أتتري، إنهم لم يكرهوها كما كرهتها.. والكراهية تجعل الأمور أسهل على المرء.

كانت قد رمت قرط السيدة بروثيرو على الأرض بعد أن بدست من العتور على شيء خلال بحثها. قالت: طالما أنني كنت أعرف أنها قد قتله، فما أهمية ذلك؟ كل الطرق صالحة بنفس الدرجة. فقد قَتَلْتَهُ بالفعل.

تحدثت قليلاً. بعض الأمور التي لن تراها ليتيس أبداً إن لديها -في بعض النواحي- عيني ألوان أخلاقياً.

- ما الذي ستفعله يا ليتيس؟

- عندما... عندما ينتهي الأمر كله سأسافر إلى الخارج.

ترددت قليلاً ثم قالت: سأسافر مع أمي.

رفعت بصري وقد حفلت.

لومات برأسها وقالت: ألم تخمن أبداً ذلك؟ السيدة ليسترينج هي أمي. إنها.. إنها مريضة جداً، وستموت عما قريب.. كانت تريد رؤيتي، وهكذا جاءت إلى هنا تحت اسم مستعار، وقد ساعدتها الدكتور هينوك. إنه واحد من أصدقائها القدامى... وكان شديد الإعجاب بها ذات يوم... يوسعك أن ترى ذلك! وهو ما يزال كذلك، بمعنى ما. كان الرجال دوماً يفتنون بأمي كما أظن، وهي ما زالت - إلى الآن - بالغة الحسن. على كل حال، فعل الدكتور هينوك كل ما يستطيع لمساعدتها. لم تأت باسمها الطبيعي بسبب الطريقة المفرقة التي تدور بها الأقاويل هنا. ذهبت لرؤية والدي في تلك الليلة، ولتقول له إنها تحتضر وإن بها شوقاً عظيماً لرؤيتي. كان والدي متوجساً... قال لها إنها قد سبق وتنازلت عن كل حق لها بي، وإنني أظنها ميتة... تلك كانت رواية أمي التي أراد لي أن أنسا عليها، ولكني لم أصدقها يوماً إن الرجال من طراز والدي لا يروون بوضوح واحدة أبعد من أنوفهم!

ولكن أمي لمست ممن يستلمون. كانت قد رأت أن من التزاهة أن تلجأ لوالدي أولاً، ولكن عندما عدتها بكل تلك القسوة أرسلت رسالة لي، وأجريت أنا ترتيباً بحيث ألتحق بمباراة التنس مبكراً وأقابلها عند نهاية الطريق الترابي في الساعة السادسة والربع... وقد اكتفينا بلقاء عاجل ورتبنا موعداً للقاء لاحق، ثم افترقنا قبل السادسة والنصف. وفيما بعد أزعجني احتمال اتهامها بقتل والدي؛ إذ أن لديها - في نهاية المطاف - ما يحفظها عنى هذا الفعل بسبب كراهيتها له، ولذلك شوهدت صورتها تلك في السقيفة لأخني ملامح

وجهها. كنت أحتش أن يأتي الشرطة ليدسروا أنوفهم في المنزل فيعدوا الصورة ويميزوا صاحبها. وقد شعر الدكتور هينوك أيضاً بالرعب... وأظنه ذهب أحياناً إلى حد الاعتقاد بأنها هي التي ارتكبت الجريمة! إن أمي من النوع... اليائس! فهي لا تحسب للعواقب حساباً.

سكنت قلباً ثم قلت: أمر غريب... إنني أشعر معها بالانتماء والتفارب، بينما لم أكن أشعر ذلك مع أبي. أما أمي... حسناً، إنني مسافرة معها على كل حال. وسأظل معها حتى... حتى النهاية.

نهضت فأمسكت بيدها وقلت: ليحفظكما الله. أمل أن نحتدي في يوم ما الكثير من السعادة يا ليتيس.

قالت وهي تتكلف التمس: لا بد أن أجد السعادة، فأنا لم أر منها الكثير حتى الآن، أليس كذلك؟ أوه، لا أظن ذلك مهماً. وداها با سيد كلمنت. لقد كنت دوماً في غاية اللطف معي... أليس غريزدا.

• • •

أوه غريزدا!

لقد اضطرت لأن أعترف لغريزدا بمقتدار الانزعاج الرهيب الذي سببته لي الرسالة المخفلة من التوقيع. ضحكت في البداية، ثم أمطرتني بمحاضرة جديفة انتهت بعدها إلى القول: ولكني سأكون بالغة الحدية والوقار والاعتزان في المستقبل.

لم أستطع نعيم غريزدا بوقار واعتزان!

مضت تقول: أتعلم يا لين، إن عامل استقرار يدخل حياتي هذه الأيام ليعدل منها ويثبتها، وهو يدخل حياتك أنت أيضاً، ولعله يكسبك نوعاً من الإحساس بعودة الشباب، أو هذا ما أمله على الأهل! لن تستطيع تسميتي طفلك العزيرة، إذ سيكون لنا طفل خاص بنا. وقد قررت يا لين أن أكون الآن "أماً وزوجة" حقيقة كما يقولون في الكتب... وينبغي أن أصبح ربة بيت جيدة أيضاً. لقد اشترت كتابين عن "إدارة البيت" و"حب الأم"، وإذا لم يحسنني هذان الكتابان مثلاً يتخذني فلا أدرى ما الذي يمكن أن يحسنني كذلك! إنهما كتابان ممتازان جداً، وخاصة الكتاب الخاص بتربية الأطفال.

سألتها فجأة: ألم تشتري كتاباً حول "كيف تعاملين زوجك؟"
- لا حاجة لذلك؛ فأنا زوجة ممتازة. إنني أحبك كثيراً، ما الذي تريده أكثر من ذلك؟

- لا شيء!

- أتعلم أن تقول لي - مرة واحدة فقط - إنك تحبني يحبون؟
- يا غريزelda! إنني أحبك، وأهواك، وأنا متيم ومفتون بك... ماذا أقول سوى ذلك؟

تهددت زوجتي بارتياح، ولكنها ابتعدت عني فجأة وهي تقول:
يا للإزعاج! ها هي الآنسة ماريل قادمة... لا تدعها تشك بشيء مما قلته لك عن الطفل القادم؛ فلا أريد أن يبدأ الجميع بإعطائي مخدات ومساند وتوصيتي برفع قدمي. قل لها إنني ذهبت إلى ملعب الغولف، فذلك سيضلل حاستها السادسة... وهو أمر صحيح فوق

ذلك، لأنني نسيت سترتي الصفراء هناك، وأريد إحضارها.

جاءت الآنسة ماريل إلى الباب الزجاجي وحيتني بشيء من الاعتذار وظلمت غريزelda.

قلت: لقد ذهبت غريزelda إلى ملعب الغولف.

ظهر على وجه الآنسة ماريل تعبير قلبي واهتمام. وقالت: "أوه، ولكن هذا تصرف يقتصر تماماً على الحكمة... في هذه الفترة". وبعدما احمر وجهها بطريقة لطيفة نسوية قديمة الطراز.

وللتغطية على الاضطراب الذي ساد تلك اللحظة تحدثنا بسرعة عن قضية برونيرو، وعن الدكتور ستون الذي تبين أنه كان لصاً شهيراً يتجمل عدة أسماء مختلفة.

وبالمناسبة فقد تمت تسمية ابنة الآنسة كرام من أي نواطر، وقد اعترفت أخيراً بأخذ الحقيقة إلى الغابة، ولكنها كانت تقوم بذلك بكل تبة حسنة بعد أن أخبرها الدكتور ستون بأنه يحسني منافسيه من علماء الآثار الذين لا يتورعون عن السرقة في سبيل الوصول إلى هدفهم المتمثل في دحض نظرياته. والظاهر أن هذه القصة التي يصعب حزمها قد انطلت على الفتاة. وهي الآن - ونحن ما نقوله أهل القرية - تبحث عن زبون أكثر صلحاً بأخذ شكل عازب في أواسط عمره يحتاج إلى سكريرة.

تساءلت في سرّي - فيما كنا نمشي أنا والآنسة ماريل - كيف قُدر لها أن تكشف سرنا العائلي الأخير، ولكن سرعان ما أعطتني الآنسة ماريل نفسها - بشكل ضمني - طرفاً يحيط لفهم ذلك؛ فقد

تمننت قائلة: أرجو ألا ترهق العزيرة غريزelda نفسها.

ثم أضافت بعد فترة صمت متحفظ: لقد كنت في المكينة في
متش بينهم بالأسر.

يا للمكينة غريزelda... لقد كان ذلك الكتاب عن "حب الأم"
سبب انكشاف سرها!

قلت فعلاً: أتساءل يا آنسة ماربل إن كان يوسع أحد أن
يكشف أمرك إن قُدر لك أن ترتكبي جريمة قتل.

قالت الآنسة ماربل مصدومة: يا لهذه الفكرة الفظيعة! أرجو
ألا أستطيع أبداً فعل مثل هذا الأمر.

تمننت قائلاً: ولكن نظراً لما تطوي عليه الطبيعة البشرية...

تفاعلت الآنسة ماربل مع لمزتي بضحكة عموز والعة وقالت
وهي تنهض: يا لدعابائك يا سيد كليمنت!... ولكن هذا طبيعي،
معتوياتك في أحسن حال.

ثم توقفت عند الباب وقالت: أبلغ حيي لغريزelda وغسل لها إن
أي سر صغير يكون في حوز أمين لدي.

يا للآنسة ماربل من امرأة عزيزة حقاً...

* * *